

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190471

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النويري

السفر الرابع

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م

دار الكتب المصرية

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الرابع

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م

فهرست

السفر الرابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوري

الباب الثالث :

صحيحة

- ١ في المجون والنوادر والفكاهات والملح
- ٣ ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٣ ذكر من أشتهر بالمزاح من الصحابة رضوان الله عليهم
- ٧ ذكر شيء من مجون الأعراب
- ٨ ذكر شيء من نوادر القضاة
- ١٣ ذكر شيء من نوادر النحاة
- ١٤ ذكر شيء من نوادر المتنبيين
- ١٦ ذكر شيء من نوادر المغفلين والحمقى
- ١٧ ذكر شيء من نوادر النبيذيين
- ١٨ ذكر شيء من نوادر النساء والجواري
- ٢٣ ذكر شيء من نوادر العميان
- ٢٣ ذكر شيء من نوادر السؤال

صفحة

٢٤	ذ كر شىء من نوادر من آشهر بالمجون
٢٥	ذ كر شىء من نوادر أشعب وأخباره
٣٧	ذ كر شىء من نوادر أبى دلامة
٤٨	ذ كر شىء من نوادر أبى صدقة
٥٢	ذ كر شىء من نوادر الأقيشر
٥٦	ذ كر شىء من نوادر ابن سيابة
٥٨	ذ كر شىء من نوادر مطيع بن إياس الكنانى وأخباره
٦٣	ذ كر شىء من نوادر أبى الشبل
٦٦	ذ كر شىء من نوادر حمزة بن بيض الحنفى
٦٩	ذ كر شىء من نوادر أبى العيناء عفا الله عنه
٧٣	ذ كر ماورد فى كراهة المزج
٧٥	ذ كر شىء من الشعر المناسب لهذا الباب والداحل فيه

الباب الرابع :

٧٦	فى الخمر وتحريمها ، وآفاتاها ، وجنباياتها ، وأسمائها ، وأخبار من تنزه عنها فى الجاهلية ، ومن حد فيها من الأشراف ، ومن آشهر بها ، وليس نوب الخلاعة بسببها ، وما قيل فيها من جيد الشعر ، وما قيل فى وصف آلاتها وآيتها ، وما قيل فى مبادرة اللذات ، وما وصفت به المجالس ، وما يجرى هذا المجرى ...
٧٦	ذ كر ما قيل فى الخمر وتحريمها
٨١	وأما ماورد فى تحريمها فى كتاب الله وبينته السنة
٨٢	ذ كر ما قيل فى إباحة المطبوع

صيفة

- ٨٣ ذكر آفات الخمر وجنباياتها
- ٨٦ ذكر أسماء الخمر من حيث تعصر الى أن تشرب
- ٨٨ ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترفعا عنها
- ذكر من حد فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها وليس
- ٨٩ فيها ثوب الخلاعة ومن آفتخر بشربها
- ٨٩ فأما من حد فيها من الأشراف
- ٩١ وأما من شربها منهم وأشتهر بها
- ١٠٢ وأما من آفتخر بشربها وسبائها
- ١٠٦ ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر
- ١٠٦ فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها
- ١٠٧ ومما قيل في وصفها وتسببها
- ١١١ وأما ما قيل في أفعالها
- ١١٢ وأما ما وصفت به عمر ما قدمناه
- ١١٤ ومما قيل فيها اذا مزجت بالماء
- ١١٧ ذكر ما قيل في مصادره اللذات ومجالس الشرب وطبها
- ١١٨ ومما وصفت به مجالس الشرب
- ١١٩ ومما قيل في طي مجالس الشرب
- ١٢٠ ذكر ما قيل في وصف آلاب الشرب وأوانها
- ١٢١ ومما قيل في الراوق
- ١٢٢ ومما وصفت به زقاق الخمر
- ١٢٢ ومما وصفت به الأباريق
- ١٢٣ ومما وصفت به الكاسات والأقداح

الباب الخامس :

صحيحة

في الدمان والسقاة ١٢٥

ومما قيل في السقاة ١٢٨

الباب السادس :

في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما أستدل به
من رأى ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ،
ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم
والأشراف والقواد والأكابر ، وأخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من

الفارسية الى العربية ، ومن أخذ عنهم ، ومن أشتهر بالغناء وأخبار القيان ١٣٢

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة ١٣٢

أما ما قيل في تحريم الغناء وما أستدل به من رأى ذلك ١٣٢

ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة ١٣٦

ذكر ما أستدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية ١٣٧

وأما ما ورد في الضرب بالآلة ١٣٩

وأما ما ورد في اليراع ١٤١

وأما ما ورد في القصص والأوتار ١٤٢

وأما ما ورد في المزامير والملاهي ١٤٤

ذكر ما ورد في توهين ما أستدلوا به على تحريم الغناء والسماع ١٤٥

أما ما أحتجوا به من الآبات ١٤٦

وأما ما أحتجوا به من الحديث ١٤٩

ذكر أقسام السماع وبواعثه ١٦٤

ذكر العوارض التي يحرم معها السماع ١٦٧

صحيفة

العارض الأول	١٦٨
العارض الثاني في الآلة	١٦٩
العارض الثالث في نظم الصوت	١٦٩
العارض الرابع في المستمع	١٧٠
العارض الخامس	١٧٠
ذكر آثار السماع وآدابه	١٧١
ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم	١٨٦
ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد	١٩١
ذكر من غنى من الخلفاء وأبنائهم ونسبت له أصوات من الغناء	
نقلت عنه	١٩٦
من غنى من الخلفاء	١٩٦
ومن غنى من خلفاء الدولة العباسية	١٩٧
وأما أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويد في هذا الفن	٢٠١
ذكر من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله	٢٢١
ذكر من غنى من الأعيان والأكابر والقواد ممن نسبت له صنعة في الغناء	٢٢٥
ذكر أخبار المغنيين الذين نعلوا الغناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ	
عنهم ومن آشتهر بالغناء	٢٣٢
ذكر أخبار سعيد بن مسجح	٢٣٣
ذكر أخبار سائب خاثر	٢٣٧
ذكر أخبار طويس	٢٣٩
ذكر أخبار عبد الله بن سريج	٢٤٣
ذكر أخبار معبد	٢٥٥

صحيفة

- ٢٦٠ ... ذكر أخبار الغريص وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ...
- ٢٧٣ ... ذكر أخبار محمد آبن عائشة ...
- ٢٨٠ ... ذكر أخبار آبن محرز ...
- ٢٨١ ... ذكر أخبار مالك بن أبي السمح ...
- ٢٨٥ ... ذكر أخبار يونس الكاتب ...
- ٢٨٦ ... ذكر أخبار حنين ...
- ٢٨٨ ... ذكر أخبار عبد الله أبي وهب المعروف بسياط ...
- ٢٩٠ ... ذكر أخبار عبيد الله بن القاسم الشخير بالأبحر ...
- ٢٩١ ... ذكر أخبار أبي زيد الدلال ...
- ٢٩٥ ... ذكر أخبار عطرد ...
- ٢٩٧ ... ذكر أخبار عمر الوادى ...
- ٢٩٨ ... ذكر أخبار حكم الوادى ...
- ٢٩٩ ... ذكر أخبار إسماعيل بن جامع ...
- ٣٠١ ... ذكر أخبار عمرو بن أبي الكثات ...
- ٣٠٤ ... ذكر أخبار أبي المهنا مخارق ...
- ٣١٢ ... ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكي ...
- ٣١٣ ... ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين ...
- ٣١٥ ... ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أمية ...
- ٣١٦ ... ذكر أخبار يزيد حوراء ...
- ٣١٩ ... ذكر أخبار فليح بن أبي العوراء ...
- ٣٢٠ ... ذكر أخبار إبراهيم الموصلى عفا الله عنه ...
- ٣٢٧ ... ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلى مع البرامكة رحمهم الله تعالى ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

الباب الثالث



من القسم الثالث من الفن الثاني

(في المجون والنوادر والفكاهات والملح)

وهذا الباب مما تجذب النفوس اليه وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحة للنفوس إذا تعبت وكَلَّتْ ، ونشاطا للخواطر إذا سَمِتْ ومَلَتْ ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح الى تنقل الأحوال ، فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ، ولاطفها بالفكاهات في أحد الأزمان ، عادت الى العمل الجِدِّ بنشطة جديدة ، وراحة في طلب العلوم مديدة .

١٠ . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أجموا هذه القلوب ، وآتمسوا لها طرق الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان ، والنفوس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوى ، جانحة الى

(١) أى أريحوها من تعبها .

اللهو ، أمارة بالسوء ، مستوطنة بالعجز ، طالبة للراحة ، نافرة عن العمل ، فإن^(١) أكرهتها أنصبتها ، وإن أهملتها أدبتها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه . وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

وقال هشام بن عبد الملك : قد أكلت الحلو والحامض ، حتى ما أجد لواحد منهما طعماً ، وشممت الطيب ، حتى ما أجد له رائحة ، وأتيت النساء ، حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حائط ؟ فما وجدت شيئاً ألد إلى من جليس تسقط بيني وبينه مروءة التحفظ . وقال أحمد بن عبد ربه : المَلَحَّ زهة النفس ، وربيع القلب ، ومرتع السمع ، وجلب الراحة ، ومعدن السرور . وقال أيضاً : إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين ، فكان يوحنا لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله ، فقال شمعون ليوحنا : ما أكثر ضحكك ! كأنك قد فرغت من عملك ! فقال له يوحنا : ما أكثر بكائك ! كأنك قد يئست من ربك ، فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام : أن أحب السيرتين إلى سيرة يوحنا .

والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا : هو ضحوك السن ، بَسَامَ العَشِيَّاتِ ، هَشُّ إلى^(٢) الضيف ، وإذا ذمته قالت : هو عبوس الوجه ، جهم الحياء ، كربه المنظر ، حامض الوجه ، كأنما وجهه بالخل منضوح ، وكأنما أُسْعِطَ خيشومه بالخردل . وقيل لسفيان : المزاح هُجْنَةٌ ، فقال : بل سَنَةٌ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق» ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

٢٠ (١) كذا بالأصل وفي العقد الفريد : فان أكرهتها أنصبتها ، وإن أهملتها أردبتها .

(٢) كذا بالأصل وفي العقد الفريد : بَسَامَ الثَنِيَّاتِ .

ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم
 لرجل أستحملة : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه
 وسلم لامرأة من الأنصار : « ألقى زوجك ففى عينه بياض » فسعت المرأة نحو
 زوجها مرعوبة ، فقال لها : ما دهالك ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : إن فى عينك بياضا ، فقال : إن فى عيني بياضا لا لسوء . وأنته عجوز
 أنصارية فقالت : يا رسول الله ، أدع لى بالمغفرة ، فقال لها : « أما علمت أن الجنة
 لا يدخلها العُجْز ! » فصرخت ، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : أما قرأت
 (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أعرابي قد صلى صلاة خفيفة فلما قضها
 قال : اللهم زوجنى بالحوير العين ، فقال عمر : يا هذا ! أسأت التقد ، وأعظمت
 الخطبة .

ذكر من أشهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نعيمًا ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج
 مع أبى بكر الصديق الى بُصْرَى وكان فى الحملة سُوَيْيَط ، وهو بدرى أيضا ، وكان
 سُوَيْيَط على الزاد ، فجاء نعيمان ، فقال له : أطعمنى ، قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر ،
 فقال نعيمان : والله لأغيظنك ، وجاء الى أناس جلبوا ظهرا ، فقال : آبتاعوا منى غلاما
 عربيا فارها ^(١) إلا أنه دعاء له إسان لعله يقول : أنا حرفان كتمت تاركه لذلك فدعوه ،

لا تفسدوا على غلامى، قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص ، فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلمها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو ، فقالوا : قد أشتريناك ، فقال سويبط : هو كاذب ، أنا رجل حر ، فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا فى عنقه حبلا ، وذهبوا به ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه ، فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردوا القلائص على أربابها وأخذوه ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك .
منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة عسل اشتراها من أعرابى ، وأتى بالأعرابى الى باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : خذ الثمن من هاهنا ، فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابى : ألا أعطى ثمن عسلى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إحدى هتات نعمان ، وسأله : لم فعلت هذا ؟ فقال : أردت برك يارسول الله ، ولم يكن معى شىء ، فبسم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابى حقه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى ، وهو ضيرير ، فقال له : قدنى حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخر المسجد ، قال له : أجلس ، فجلس مخرمة ليبول ، فصاح الناس : يا أبا المسور ، أنت فى المسجد ، فقال : ١٥ من قادنى ؟ فقليل له : نعمان ، قال : لله على أن أضربه بعصاى إن وجدته ، فبلغ ذلك نعمان ، فجاء يوما فقال : لمخرمة يا أبا المسور ، هل لك فى نعمان ؟ قال : نعم ، قال : هو ذا يصلى ، وأخذ بيده ، وجاء به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى ، فقال : هذا نعمان ، فعلاه مخرمة بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين ! فقال : من قادنى ؟ قالوا : نعمان ، فقال : لاجرم لا عرضت له بسوء أبدا . ٢٠

ومنهـم أبـن أبـى عـتيق ، وهـو عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الرحمن بن أبـى بـكر الصـديـق
رضـى الله عنـهـم ، وكـان ذا ورع وعفـاف وشرف ، وكـان كـثير المجـون ، ولـه نوادر
مستظرفـة ، منـها : أنـه لقي عبـد الله بن عمر بن الخطـاب رضـى الله عنـه فقـال : ما تقـول
فـى إنـسان هـجـانى بشـعر؟ وهـو

أَذْهَبَتْ مَالِكَ غَيْرِ مَسْتَرِكٍ * فـى كَلِّ مُؤَسَّسَةٍ وَفـى الْخَمْرِ
ذَهَبَ الْإِلَهِ بِمَا تَعِيشُ بِهِ * وَبَقِيتَ وَحْدَكَ غَيْرَ ذَى وَفِرٍ

٥

فقـال عبـد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح ، فقـال له عبـد الله بن
عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك ، فقـال : وما هـو ؟ قال : أرى أن أنـيكـه ، فقـال
أبـن عمر : سبحـان الله ما تترك الهزل ! وأفترقا ، ثم لقيـه بعـد ذلك ، فقـال له : أتـدرى
ما فـعلت بـذلك الإنـسان؟ فقـال : أى إنـسان؟ قال : الذى أعلمـتك أنـه هـجـانى ، قال :
ما فـعلت به؟ قال : كل مملوك لى حرّ إن لم أكن نكته ، فأعظم ذلك عبـد الله بن
عمر وأضطرب له ، فقـال له : آمرأتى والله التى قالت الشعر وهجنتى به ، وكـانت
أمـراتـه أتم إسمـحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

١٠

وقـد مدح الشعراء اللعـب فى موضعه ، كما مدح الجـد فى موضعه ، فقـال أبو تمام
الجـد شيمته وفيه فـكاهـة * طورا ولا جد لمن لم يلعب

١٥

وقال الأبيـرد رحمة الله عليه

إذا جدّ عند الجـدّ أرضاك جـدّه * وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله

ومن مجـون عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الرحمن ما حكي : أن جاريته قالت له :
إن فلانا القارئ ، وكان يظـهر النـسك ، قد قطع على الطريق وآذانى ويقول لى :
أنا احبك ، فقـال لها : قولى له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المتزل ، ففـعلت

٢٠

- وأدخلته المنزل ، وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل ، ودخلت الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاعتلت فوثب إليها [فاحتلمها ^(١) وضرب بها الأرض ، فدخل عليه ابن أبى عتيق وأصحابه ، وقد توزعوا فحبل وقام وقال : يا فُسَّاق ، ما تجتمع هاهنا إلا لرؤية ، فقال له ابن أبى عتيق : آستر علينا ستر الله عليك ، ثم لم يرتدع عن العبث بها ، فشكت ذلك الى سيدها ، فقال لها : هيئي من الطعام طحن ليلة الى الغداة ، ففعلت ، ثم قال لها : عيدي الليلة ، فإذا جاء فقولى له : إن وظيفتى الليلة طحن هذا كله ، ثم أخرجنى الى البيت وأتركه ، ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدر الرحى حتى أفقد سيدى فإذا نام وأمنا أن يأتينا أحد ، صرت إلى ما تحب ، ففعل ومضت الجارية الى مولاه ، وأمر ابن أبى عتيق عدة من مواليه أن يتراوحن على سهر ليلتين ويتفقذن أمر الطحن ويحثن عليه ، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن : يا فلانة إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كففت عن الطحن فيقوم إليك بالعصا كما دته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكففت عن الطحن ، فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن أجتهد فى العمل والجارية لتفقده وتقول له : استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير الى ما تحب وهو يطحن حتى أصبح وفرغ القمح فأنته الجارية بعد فراغه ، فقالت له : قد أصبح فانج بنفسك ، فقال : أو قد فعلتها يا عدوة الله ؟ وخرج تعباً نصبا ، وأعقبه ذلك مرضا شديدا أشرف منه على الموت وعاهد الله أن لا يعود الى كلام الجارية ، فلم ترمه بعد ذلك شيئا تكرهه . قال : وتعشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر فى الدار ووقع آخر وثالث ، فقال للجارية :

(١) الكلام الذى ينتدى بهذا المريع [وينتهى فى صحيفة ١١ بهذا المريع] ساقط من الأصل وموجود بالنسخة الراجية .

أخرجني فانظري، أذنوا المغرب أم لا ؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة، وقالت : قد
أذنوا وصلّوا، فقال الرجل الذي كان عنده : أليس قد صلّينا قبل أن تدخل الجارية ؟
قال : بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرجعنا الى الغداة، أفهمت ؟ قال :
نعم قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة^(١)
من رسولي الى الثريا فإني * ضقت ذرعا بهجرها والكاتب

فركب بغلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ الخليفة قيل له : أحرم، قال :
ذو الحاجة لا يحرم، وجاء حتى دخل على الثريا، فقال لها : أبن عمك يقول
* ضقت ذرعا بهجرها والكاتب *

ثم ركب بغلته وعاد .

ذكر شيء من مجون الأعراب

١٠

سئل أعرابي عن جارية له، يقال لها زهرة، فقيل له : أيسرك أنك الخليفة
وأن زهرة ماتت ؟ فقال : لا والله تذهب الأمة وتضيع الأمة . وجد أعرابي امرأة
وكان قبيح الصورة، فنظر فيها، فرأى وجهه فاستقبحه فرمى بها وقال : لشرّ ما
طرحك أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال :
لأنا نجيع كبد، ونعري جلده، ونطيل كده . وتزوج أعرابي على كبر سنه، فقيل له
في ذلك، فقال : أبادره باليتم، قبل أن يادرنى بالعقوق . ومرة أعرابي وفي يده
دغيف برجل في يده سيف فقال : يعني هذا السيف بهذا الرغيف فقال : أجنون
أنت ؟ فقال الأعرابي : ما أنكرت مني ؟ أنظر أيهما أحسن أثرا في البطن .

١٥

وحكى أن المهديّ خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به إلى خباء لأعرابيّ، فقال :
يا أعرابيّ، هل من قرى ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلة من مئة فأكلمها وفضلة من
لبن فسقاه، ثم أتى بنبيذ في زُكوة فسقاه قعباً، فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟
قال : لا والله، قال : أنا من خدم الخاطصة ، قال : بارك لك الله في موضعك ،
ثم سقاه آخر، فلما شربه، قال : أتدرى من أنا؟ قال : نعم زعمت أنك من خدم
الخطاصة، قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين ، فقال له الأعرابيّ : رحبت بلادك
وطاب مزادك ومزادك، ثم سقاه قدحا ثالثا، فلما فرغ منه قال : يا أعرابيّ،
أتدرى من أنا؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكني
أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابيّ الزكوة فأوكأها وقال : والله لئن شربت الرابع لثقلون :
إنك لرسول الله، فضحك المهديّ ثم أحاطت بهم الخيل ، فنزل أبناء الملوك والأشراف ،
فطار قلب الأعرابيّ فقال له المهديّ : لا بأس عليك وأمر له بصلّة ، فقال : أشهد
أنك صادق ، ولو أدعيت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابيّ على يزيد بن المهلب وهو على فرشه والناس سباطان فقال : كيف
أصبح الأمير؟ قال يزيد : كما تحب ، فقال الأعرابيّ : لو كنت كما أحب كنت
أنت مكاني وأنا مكانك فضحك يزيد .

ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عدىّ بن أرتاة شريحا القاضى ومعه امرأة له من أهل الكوفة
يخاصمها إليه فلما جلس عدىّ بين يدي شريح، قال عدىّ : أين أنت؟ قال : بينك

(٢) القعبُ : القدح الضخم .

(١) الزكوة بالضم : زقّ للممر .

(٣) أوكأها : ربطها .

وبين الحائط، قال : إني امرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد الدار، قال : وإني
 قدمت العراق ، قال : خير مقدم، قال : وتزوجت هذه المرأة، قال : بالرفاء
 والبنين، قال : وإنها ولدت غلاما ، قال : ليهنك الفارس، قال : وقد أردت أن
 أنقلها إلى داري، قال : المرء أحق بأهله، قال : كنت شرطت لها دارها، قال :
 الشرط أملك، قال : أقض بيننا، قال : قد فعلت، قال : فعلى من قضيت ؟
 قال : على ابن أملك .

ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته، وكانت المرأة من أجمل
 النساء، فاختصا إليه، فأدلت المرأة بحجتها، وقويت ببيتها ، فقال للزوج : هل
 عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا * رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
 فَتَنَّهُ بِدَلَالٍ * وَتَخَطَّى حَاجِبَهَا
 قَالَ لِلْجُلُوزِ قَرَّ * بِهَا وَقَدَّمَ شَاهِدَهَا
 فَقَضَى جُورًا عَلَى الْخَصْمِ * وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

١٠

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما نظر إلى تبسم، وقال

فَتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا * رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

١٥

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين
 بما آتتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وما آفترى به عليّ، قال : أحسنت .

وأحضر رجل امرأته إلى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المنتقب، قبيحة
 المسفرة، فمال القاضي لها على زوجها وقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيترجوها

ثم يسىء اليها، ففطن الرجل لميله اليها، فقال : أصلح الله القاضى، قد شككت فى أنها أمرأتى، فمرها تسفر عن وجهها، فوقع ذلك يوافق من القاضى، فقال لها : أسفرى رحمة الله، فسفرت عن وجه قبيح، فقال القاضى لما نظر الى قبح وجهها : قومى عليك لعنة الله، كلام مظلوم، ووجه ظالم .

- ٥ قيل بينا رَقَبَة بن مَصْقَلَة القاضى فى حلقتة، إذ مرّ به رجل غليظ العنق، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله، هذا أعبد الناس، فقال رَقَبَة : إني لأرى لهذا عنقا ما دَقَّتْهُ العبادة، فقال : فضى الرجل وعاد قاصدا اليهم، فقال رجل لرقبة : يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبة، قال : نعم، أخبره أنت حتى تكون نيمة . ودخل رَقَبَة الى المسجد الأعظم فألقى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال : قتيل فالودج رحمة الله، قالوا : عند من؟ قال : عند من حكم فى الفرقة وقضى فى الجماعة، ١٠ يعنى : بلال بن أبى بردة .

- وأختصم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز فى مطرف خَزْ وَأَنْجَبَانِيّ، وآدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأَنْجَبَانِيّ لصاحبه، فدعا إياس بمشط وماء، فبّل رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما : سرح رأسك، فسرحه، ١٥ فخرج فى المشط عفر المطرف، وفى مشط الآخر عفر الأَنْجَبَانِيّ فقال : يا خبيث! الأَنْجَبَانِيّ لك، فأقز، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى علىّ من بأس إن أكلت تمرا؟ قال : لا، قال : فهل ترى علىّ من بأس إن أكلت معه كَيْسُومًا؟ قال : لا، قال : فإن شربت عليهما ماء؟ قال : جائز، قال : فلم تحزم السكر وإنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو صببت عليك ماء هل

كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فلو ثرت عليك ترابا هل كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فإن أخذت ذلك فخلطته وعجنته وجعلت منه لبنة عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك؟ قال : كنت تقتلني ، قال : فهذا مثل ذلك .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فأفتاه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال [إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح ، فقال : عجّلوها له ، فقيل : إن الخازن في بيته ، والأبواب مغلقة ، فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة ، فلم ادعيتُ فتحاً ، فقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السواد ، فقال : يا أمير المؤمنين ولم ؟ وليس في بدني شيء أعزّ منه ، قال : وما هو؟ قال : السواد الذي في عيني .

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد فقال : لا أحرّمه ، ولكني أكرهه ، قال : ولم ؟ قال : لأنه لا تجلي فيه عروس ، ولا يلبي فيه محرم ، ولا يكفن فيه ميت ، فالتفت الرشيد الى أبي يوسف ، وقال : ما تقول أنت في السواد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور في السواد ، فاستحسن الرشيد ذلك ، ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين ، قال : وما هي ؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به ، فاهتر الرشيد لذلك .

تقدم رجل الى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني قاضي المعتمد ، وقدم أباه يطالبه بدين له عليه ، فأقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس والده ، فقال القاضي : هل لأبيك مال ؟ قال لا أعلمه ، قال : فذ كم دايته بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا ، قال قد فرضت عليك نفقة أهلك من وقت المدانية ، فحبس الابن وخلي الأب .

كان عبد الملك بن عمر قاضى الكوفة، فهجاه هذيل الأشجعيّ بأبيات منها
إذا ذات دَلَّ كَلَّمْتَهُ بِحَاجَةٍ * فَهَمَّ بَانَ يَقْضَى تَتَخَنَحُ أَوْ سَعْلُ
فكان عبد الملك يقول : قاتله الله ، والله لربما جاءتنى النحنة وأنا فى المتوضأ
فأذكر ما قال فأردّها .

- وقيل شهد سلمى الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل ، فقال : هو — أصلحك
الله — ناصبيّ ، رافضيّ ، قدرىّ ، مجيرىّ ، يشتم الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة على
على بن أبى سفيان ، فقال له جعفر : ما أدرى على أى شىء أحسدك ! على علمك
بالمقالات ، أم على معرفتك بالأنساب ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، ما خرجت من
الكتاب ، حتى حذف هذا كله ورأى .
- وَأَسْتُفْتِي بَعْضَ الْقَضَاةِ وَقَدْ نُسِبَتْ إِلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ فُرَيْعَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَقُولُ
سَيِّدُنَا الْقَاضِي أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي رَجُلٍ بَاعَ حِجْرًا مِنْ رَجُلٍ فَمِنْ رَفَعِ ذَنْبَهَا لِقَلْبِهَا ، خَرَجَتْ مِنْهَا
رِيحٌ مَصُوتَةٌ أَتَصَلَّتْ بِحِصَاةٍ فَفَقَاتَ عَيْنَ الْمُشْتَرِي ؟ أَفْتَنَا فِي الدِّبَةِ وَالرَّدِّ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ،
فَأَجَابَ : لَمْ تَجِرِ الْعَادَةُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبِدَائِعِ ، بَيْنَ مُشْتَرٍ وَبَائِعٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبِتْ فِي كُتُبِ
الْفُقَهَاءِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ فِي فِتْوَى الْعُلَمَاءِ ، لَكِنْ هَذَا وَمَا شَاكَلَهُ يَجْرِي بِمَجْرَى الْفُضُولِ ،
الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقُولِ ، وَالْقَوْلِ فِيهِ — وَبِاللَّهِ الْعَصْمَةِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْخَطَلِ — :
أَنْ دِيَّةَ مَا جَتَّهُ الْحِجْرُ مَلْنَى فِي الْهَدَرِ عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ الْخِتَارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
الْأَطْهَارِ ، « جُرْحُ الْعَجَّاءِ جُبَّارٌ » لَا سِيَّامًا وَالْمُشْتَرَى عِنْدَ كَشْفِهِ لِعَوْرَتِهَا ، أَسْتَنَارَ
كَامِنَ سَوْرَتِهَا ، وَعَلَى الْبَائِعِ لَهَا آرْتَجَاعُهَا ، وَرَدَّ مَا قَبِضَ مِنْ ثَمْنِهَا ، لِأَنَّهُ دَلَّسَ حِجْرًا
مُضِيقًا مَنَجْنِقَهَا ، وَإِذَا كَانَتْ السَّهَامُ طَائِثَةً ، فَهِيَ مِنَ الْعُيُوبِ الْفَاحِشَةِ ، وَكَيْفَ
يَتَمَنَعُ رَدَّهَا ، وَأَغْرَاضُهَا نَوَاطِرُ الْحَدَقِ ، وَقَلَمًا يَسْتَظْهِرُ الْمُقَلَّبُونَ الْخَلِيلَ بِالْأَدْرِقِ .

ذكر شيء من نوادر النحاة

قدم رجلٌ من النحاة خصماً الى القاضي، وقال : لى عليه مائتان وخمسون درهماً، فقال لخصمه : ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ، الطلاق لازم له ، إن كان له إلا ثلثائة، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نحويّ .

ومرّ أبو علقمة بأعدال قد كُتِبَ عليها : رَبُّ سُلَمٍ لأبو فلان، فقال لأصحابه : لا إله إلا الله، يلحنون ويربحون .

وجاء رجل الى الحسن البصريّ فقال : ما تقول في رجل مات، فترك أباه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، فقال : ما لأباه وأخاه ، فقال الحسن : ما لأبيه وأخيه ، فقال الرجل : إني أراك كلما طاوعتك تخالفني . وقيل سكر هارون بن محمد ابن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق ، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام في المضرب ، فلما أنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه ، وقال : يا هارون أنصرف ، فقال : هارون لا ينصرف ، فأعاد راشد القول على هارون ، فقال هارون : سل مولاك فهو يعلم أن هارون لا ينصرف ، فسمع الموفق فقال : هارون لا ينصرف ، فتركه راشد ، فلما أصبح الموفق ، وقف على أن هارون بات في مضربه ، وقال : يا راشد ، يبيت في مضربي رجل لا أعلم به ؟ فقال : أنت أمرتني بهذا ، فقلت : هارون لا ينصرف ، فضحك ، وقال : ما أردتُ إلا الإعراب وظننتُ أنت غيره .

وقيل : قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك فقبل له : تحفظ من مسامة فإنه يقول : لَأَن يُلَقِّنِي رجلٌ بحجر أحبّ إلىّ من أن يسمِعني رجلٌ لحناً ، فأنابه العريان ذات يوم فسلم عليه ، فقال له مسامة : كم عطاءك ؟ قال : ألفين ، فنظر الى رجل عنده وقال له : لحن العراقيّ ، فلم يفهم الرجل عن مسامة ، فأعاد مسامة القول على

العريان ، وقال : كم عطاءؤك ؟ فقال ألفان ، فقال : ما الذى دعاك الى اللحن أولا والإعراب ثانيا ؟ قال : لحن الأمير فكرهت أن أعرب ، وأعرب فأعربت ، فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

ووقف نحويّ على بقال يبيع الباذنجان فقال له كيف تبيع ؟ قال : عشرين بدائق ، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدائق ؟ فقدر البقال أنه يستريده ، فقال ثلاثين بدائق ، فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ، فقال : وما عليك أن تقول : سبعون ؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبدا .

ذكر شىء من نوادر المتنبيين

قيل : أدعى رجل النبوة فى أيام المهديّ ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بعثت ؟ فقال : ما تركتمونى أذهب الى من بعثت اليهم ، فإني بعثت بالعداة وحبستمونى بالعشى ، فضحك المهديّ منه ، وأمر له بجائزة وخلق سبيله .

وتبنا رجل وأدعى أنه موسى بن عمران ، فبلغ خبره الخليفة فأحضره وقال له : من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم ، قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال : نعم ، قال : فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى ، قال : قل أنت (أَأَرْبُكُمْ الْأَعْلَى) كما قال فرعون حتى أصير عصاى ثعبانا كما فعل موسى ، فضحك الخليفة منه واستظرفه ، وأحضرت المسائدة فقيل له : أكلت شيئا ؟ قال : ما أحسن العقل ! لو كان لى شىء آكله ، ما الذى كنت أعمل عندكم ؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .

وآدعت امرأة النبوة على عهد المأمون فأحضرت اليه ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا فاطمة النبية ، فقال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ، قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق ، فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لا نبيّ بعدى » قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لانية بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أما أنا فقد آنقطعتُ ، فمن كانت عنده حجة فليأت بها ، وضحك حتى غطى على وجهه .

٥ وأدعى رجل النبوة ، ف قيل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنبئكم بما فى نفوسكم ، قالوا : فما فى أنفسنا ؟ قال : فى أنفسكم أننى كذبت ولست بنبيّ .

وتنبأ رجلٌ فى أيام المأمون فأُتِى به إليه ، فقال له : أنت نبيّ ؟ قال : نعم ، قال : فما معجزتك ؟ قال : ماشئت ، قال : أخرج لنا من الأرض بطيخة ، قال : أمهلنى ثلاثة أيام ، قال المأمون : بل الساعة أريدها ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفنى ، أنت تعلم أن الله ينيبها فى ثلاثة أشهر ، فلا تقبلها منى فى ثلاثة أيام ! فضحك منه ، وعلم أنه محال فاستتابه ووصله .

١٥ وأدعى آخر النبوة فى زمانه فطالبه بمعجزة ، فقال : أطرح لكم حصاة فى الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئا واحدا ، قالوا : قد رضينا ، فأخرج حصاة كانت معه فطرحها فى الماء فذابت ، فقالوا : هذه حيلة ، ولكن أذب حصاة غيرها نأتيك بها نحن ، فقال لهم : لا تتعصبوا فاستم أضل من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى ، ولم يقل فرعون لموسى : لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا ، فضحك المأمون منه وأجازه .

وأدعى رجل النبوة فى أيام المعتصم ، فأحضر بين يديه ، فقال له : أنت نبيّ ؟ قال : نعم ، قال : إلى من بُعثت ؟ قال : إليك ، قال : أشهد أنك لسفيه أحمق ، قال : إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم ، فضحك منه وأمر له بشيء .

وآدعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له : ما معجزتك؟ قال : سل ما شئت، وكان بين يديه قُفْلٌ، فقال خذ هذا القفل فافتحه، فقال : أصلحك الله، لم أَقْلُ إلى حدّاد، فضحك منه وأستتابه وأجازه .

- وآدعى آخر النبوة، فطلب ودعى له بالسيف والنطع، فقال : ما تصنعون؟ قالوا : تقتلك، قال : ولم تقتلوني؟ قالوا : لأنك آدعت النبوة، قال : فلست أدعيها، قيل له : فأى شيء أنت؟ قال : أنا صديق، فدعى له بالسياط، فقال : لم تضربوني؟ قالوا : لأدعائك أنك صديق، قال : لا أدعى ذلك، قالوا : فمن أنت؟ قال : من التابعين لهم بإحسان، فدعى له بالدرة^(١)، قال : ولم ذلك؟ قالوا : لأدعائك ما ليس فيك، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبيّ تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام، لا أَقْلُ مما تصبرون علىّ إلى غد حتى أصير لكم ما شئتم .
- وآدعى آخر النبوة، وسمى نفسه نوحا، فنهاه صديق له عن ذلك، فلم ينته، فأخذه السلطان وصلبه، فتر به صديقه الذي كان ينهاه، فقال : يا نوح ! ما حصل لك من السفينة غير الدقل .

ذكر شيء من نوادر المغفلين والحمقى

- قال بعضهم : رأيت آبن خلف الهمدانيّ في صحراء وهو يطلب شيئا، فقلت له : ما تبغي ها هنا؟ قال : دفنتُ شيئا ولست أهدى إليه، قلت : فهلا علمت عليه بشيء؟ قال : جعلت علامة قطعة من النعم كانت فوقه، وما أراها الساعة . ونظر مرة في الحُبِّ وهو الزير، فرأى وجهه، فعدا إلى أمه، فقال : يا أُمّى في الحبِّ لص، بغفأت أمه وتطلعت فيه، فقالت : إى والله ومعه حبة . ورئى في وسط داره

وهو يعدو عدوًّا شديدًا ويقرأ بصوت عال، فسئل عن ذلك، فقال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد؛ ودخل إلى رجل يعزيه، فقال عظم الله مصيبتكم، وأعانت أخاك على ما يريد عليه من يأجوج ومأجوج، فضحك الناس، فقال : تضحكون مما قلت، وإنما أردت هاروت وماروت .

٥. وقيل كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا، فدخل عليه أبو زياد التميمي، وكان مغفلا، فقال أصلحك الله : آكتبني في القواعد، فقال له : عافاك الله، القواعد هنّ النساء اللاتي قعدن عن أزواجهنّ، فقال : فأكتبني في العميان . قال : آكتبوه منهم، فإن الله تعالى يقول : (فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) قال أبو زياد : وآكتب آبني في الأيتام، قال : نعم، من كنت أباه فهو يتيماً . ١٠

وسئل بعضهم عن مولده، فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام، فاحسبوا الآن كيف شتم .

ذكر شيء من نوادر النبذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبذ : وجهت إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجداك، فقال : ذاك وقت لا أجده فيه نفسي . ١٥

وقيل لبعضهم : كم الصلاة؟ فذكر الغداة والظهر، قالوا : فالعصر؟ قال : نعرف وننكر، قالوا : فالعشاء؟ قال : يبلغها الجواد، قالوا : فالتمة؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

٢٠. شرب الأقيشر في حانوت تخار حتى نفذ ما معه، ثم شرب بئياه وبقى عرياناً، جالس في تين يستدفئ به، فترجل ينشد ضالة، فقال الأقيشر : اللهم آردد عليه،

وأحفظ علينا، فقال له الخمار : سحنت عينك ، أى شئ يحفظ عليك ربك ؟ قال :
هذا التبن ، لئلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .

وباع بعضهم ضيعة له ، فقال له المشتري : بالعشى أشهد عليك ، فقال : لو كنت
من يفرغ بالعشى ما بعت ضيعتى .

ذكر شئ من نوادر النساء والحوارى

قال رجل : قلت لجارية أريد شراءها : لا يُرِيكَ شَيْءٌ فَإِنِ عِنْدِي قُوَّةٌ ،
فقلت : أيسرك أن عندك عجوزا مفتامة ؟

أَدْخِلْ عَلَى الْمَنْصُورِ جَارِيَتَانِ فَأَعْجِبْنَاهُ ، فقالت التى دخلت أولا : يا أمير المؤمنين ،
إن الله فضلى على هذه بقوله : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) ، وقالت الأخرى : لا ، بل
الله فضلى عليها بقوله : (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) .

وعُرض على المعتصم جارتان بكر وثيبٌ ، فال إلى البكر ، فقالت الثيب : ما بيننا
إلا يوم واحد . فقالت البكر : (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) .

قيل لامرأة ظريفة : أبكر أنت ؟ قالت : أعوذ بالله من الكساد .

وقال المتوكل لجارية آسترضها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير

المؤمنين .

وآسترض رجل جارية فآستقبح قدميها فقالت : لا تُبَالٍ ، فإنى أجعلهما وراء

ظهرك .

وقال الرشيد لنعيس جاريته : إنك لدقيقة الساقين ، قالت : أحوج ما تكون

اليهما لا تراهما .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق : أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة ، وقد مضى شَطْر الليل ، قال : فأخرج جارية كأنها مَهَاءة ، فأجلسها في حجره ، ثم قال غنّيني ، فغنّته

جَنُّنٌ مِنَ الرُّومِ وَقَالِقِلَا * يَرْفُلْنَ فِي الْمِرْطِ وَلَيْنِ الْمَلَا

مُقَرَّطَقَاتُ بَصْنُوفِ الْحُلَى * يَاحْبِذَا الْبَيْضُ وَتِلْكَ الْحُلَى

٥

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم آستؤذن للفضل بن الربيع فأذن له ، فلما دخل ، قال : ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى لي الساعة سببٌ لم يميز كتمانهُ ، قال : وما ذاك ؟ قال أُخْرِجْ لِي فِي هَذَا الْوَقْتُ ثَلَاثُ جَوَارٍ : مَكِّيَّةٌ ، وَمَدْنِيَّةٌ ، وَعِرَاقِيَّةٌ ، فَقَبِضْتُ الْمَدْنِيَّةَ عَلَى ذَكَرِي ، فَلَمَّا أَنْعَظُ ، وَثَبَتِ الْمَكِّيَّةُ فَقَعَدْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهَا الْمَدْنِيَّةُ : مَا هَذَا التَّعْدِي ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَالَكَا حَدَّثَانِ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَالِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ » ؟ فَقَالَتِ الْآخَرَى : أَوْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الصَّيْدُ لِمَنْ صَادَهُ ، لَا لِمَنْ أَتَاهُ » فَدَفَعْتُهَا الْعِرَاقِيَّةَ عَنْهُ ، وَوُثِبَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : هَذَا لِي وَفِي يَدِي حَتَّى تَصْطَلِحَا ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ ، وَأَمَرَ بِمَجْلِهِنَّ إِلَيْهِ ففعل وحظينَ عنده ، وفيهِنَّ يَقُولُ

١٠

١٥

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عَنَانِي * وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ

طُلبت جارية محمود الوزاق للمعتصم بسبعة آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشترى له بعد ذلك من ميراثه بسبعائة دينار ، فذكر المعتصم ذلك لها ، فقالت :

إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهواته المواريث فسبعون ديناراً في ثمنى كثير فكيف
بسبعائة .

أقترح بعضهم على جاريته أن تغنى له

سرى وسرك لم يسمعهما أحد * إلا الإله وإلا أنت ثم أنا

فقلت : يا سيدى والقوادة لا تنساها فهى الأصل .

وأستعرض رجل جارية فقال لها : فى يدك عمل ؟ قالت : لا ، ولكن فى رجل .

وحكى أن بعض الحُجَّان كان يعشق جارية أبحن منه ، فأضاق يوماً ، فكتب إليها :

قد طال عهدى بك يا سيدتى وأقلقنى الشوق إليك ، فإن رأيت أن تستدركى رمقى

بمُضْغَةٍ علك وتجعليه بين دينارين وتتفديه إلى لأستشفى به فعلت إن شاء الله ،

ففعلت ذلك وكتبت إليه : ردُّ الظرف من الظرف ، وقد سارعتُ إلى إنفاذ

ما طلبت فإنعم بردَّ الطبق والمكبة ، وأستعمل الخبر : استدروا الهدايا بردَّ الظروف .

وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها ، فقلت : يا سيدى ، هذا ذهب وأخاف

أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود حتى تعود .

وكتب رجل الى عشيقته : مرى خيالك أن يلم بى ، فكتبت اليه ، أبعث إلى

بدينارين حتى آتيك بنفسى .

قدم بعضهم عجوزاً دلالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى ، زوجتني هذه امرأة

فكلما دخلت بها ، وجدتها عرجاء ، فقلت : أصلح الله القاضى ، زوجته امرأة

يجامعها ، ولم أعلم أنه يريد أن يمحج عليها أو يسابق بها فى الحلبة أو يلعب عليها بالكرة

والصوبلحان .

كتب رجل الى عشيقته رقعة ، قال في أولها : عصمنا الله وإياك بالتقوى ،
فكتبت اليه في الجواب : يا غليظ الطبع ، إن أستجاب الله دعائك لم نلتق أبدا .

قال عقيل بن بلال : سمعتي أعرابية أنشد

وكم ليلة قد تبها غير آثم * بمهضومة الكشحين ريانة القلب^(١)

فقلت : هل لا أئمت ؟ أخزأك الله !

كان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه ، فخرجت عليه جارية بيضاء ، عليها ثياب
خضر ، فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى ، فقلت : وما
رأيت ؟ قال : ألك معرفة بعلم التعبير ؟ قالت : ولا أعرف غيره ، قال : رأيت كأنى
راكب دابة شهباء ، وعليها جل أخضر ، وهى تمرح تحنى ، فقلت : إن صدقت رؤياك
فستدخل بخللة . وقد روى أن هذه الحكاية أنفقت له مع عنان جارية النطاف .

وكان بعضهم جالسا مع امرأته فى منظره ، فتر غلام حسن الوجه ، فقلت : أعيد
هذا بالله ما أحسنه وأحسن وجهه وقده ! فقال الزوج : نعم لولا أنه خصى ،
فقلت : لعنه الله ، ولعن من خصاه .

ولما زفت عائشة بنت طلحة إلى مصعب ، قال : والله لأقتلنها الليلة جاعا ،
فواقعها مرة ونام فلم ينتبه الى السحر ، فحركته وقالت : أنتبه يا قتال .

قال أبو العيناء : خطبت امرأة فاستقبحتنى ، فكتبت اليها

فإن تنفري من قبج وجهى فإنى * أريب أديب لا غي ولا قدم

فأجابتنى : ليس لديوان الرسائل أريدك .

وخطب ثُمَامَةُ العوفِيَّ امرأة فسألت عن حِرْفَتِهِ ، فكتب اليها يقول
وسائلةٌ عن حِرْفَتِي قلت حِرْفَتِي * مقارعة الأبطال في كل ما زِرِي
وضرِبِي طُلَى الأبطال بالسيف معلما * إذا زحف الصفان تحت الخوِافِي
فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك أنت أسد فاطلب لك لبؤة ،
فإني ظلية أحتاج الى غزال .

خرجت حُجَيُّ المدينة في جوف الليل فلقبها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا
الوقت ؟ قالت : ما أبالي ، إن لقيني شيطان فانا في طاعته ، وإن لقيني رجل فانا
في طلبه ، وجاءت الى شيخ يبيع اللبن ، ففتحت ظرفا فذاقته ، ودفعته إليه ، وقالت :
لا تعجل بشده ، ثم فتحت آثر فذاقته ، ودفعته إليه ، فلما أشغلت يديه جميعا ،
كشفت ثوبه من خلفه ، وجعلت تَصْفِقُ ^(١) بظاهر قدميها آسسته وخصييه ، وتقول :
يا نارأت ذات النحينِ ، والشيخ يستغيث فلم يخلص منها إلا بعد جهد .

غاب رجل عن أمرأته فبلغها أنه أشتري جارية ، فاشتريت غلامين ، فبلغه ذلك ،
بغاء مبادرا ، وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرحي الى بغلين أحوج من
البغل الى رحبين ، ولكن بع الجارية حتى نبيع الغلامين ، ففعل ذلك ففعلت .

ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه اعتمَ ونظر في المرأة ، فقالت له أمرأته :
كأنك قد هممت بِخِطْبَةِ امرأة ، قال : قد كان ذلك ، قالت : فإذا فعلت فاعلم أن
المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى امرأتين ، فنقض عِمته وترك ما كان قد هم به .
نظر المتوكل الى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها ، فقال لها : إنك لرسحاء ،
فقالت يا أمير المؤمنين ، ما تقصناه من الطسبِ زدناه في المسينة ^(٢) .

(١) تصفّق : تضربُ ، والصفق الضرب يُسمّى له موتٌ .

(٢) كذا بالأصل ولم تقف لها على معنى .

ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيّابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمته إلا عوضه عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت ، فما الذى عوضك الله عن عينيك ؟ قال : فقد النظر لبغيض ثقیل مثلك ^(١) .

ونظير هذه الحكاية ، ما حكى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شأني ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ، وبیده سراج ، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر ، وملاً جرتّه وعاد ، قال : قفلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلك ، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العتاهية أن المتوكل يقول : لولا عمى أبي العتاهية لاستكثرته منه ، فقال : قولوا للأمير المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلّة ، ونظم الآلئ واليوافيت ، وقراءة نقوش الخواتيم ، فأنا لا أصلح لذلك ، وإن كان يريدني للحاضرة والمذاكرة والمسامرة ، فهايك بي ، فاتمى ذلك إلى المتوكل فضحك منه ، وأمر بإحضاره ، فحضر وناداه .

تزوج بعض العميان بسوداء ، فقالت له : لو نظرت إلى حسنى وجمالى وبياضى لأزددت فى حبا ، فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصر .

ذكر شيء من نوادر السّؤال

سأل أبو عروى رجلا فمنعه ، فألحّ عليه فأعطاه ، فقال : اللهم أجربنا وإياهم ، نسألهم إلفا ويعطوننا كرها ، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها .

(١) هكذا في الأصل . والذي في إحدى النسخ الخطية : الراحة من النظر...

وقف أعرابي سائل على باب وسأل ، فأجابه رجل وقال : ليس ها هنا أحد ، فقال : إنك لأحد لو جعل الله فيك بركة .

❦ ووقف سائل على باب ، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة ، فسمع السائل صوت بولتها فظنه نشيش المقل ، فقال : أطعمونا من هذا الذي تفلونه ، فضرطت المرأة وقالت : حَطْبُنَا رَطْبٌ لَيْسَ يُشْعَلُ .

وقف سائل على باب وقال : تصدقوا علىّ فأنى جائع ، قالوا : إلى الآن لم نخبز ، قال : فكفّ سويق ، قالوا : ليس عندنا سويق ، قال : فشربة من ماء فأنى عطشان ، قالوا : ما أأنا السقاء ، قال : فيسير دهن أجعله في رأسي ، قالوا : من أين لنا دهن ، فقال : يا أولاد الزنا ، فما تعودكم هنا ؟ قوموا واشتخوا معي !

— — —

ذكر شيء من نوادر من أشتهر بالمجون

١٠

كان مُزَبَّدٌ ممن أشتهر بالمجون والنوادر ، وله نوادر ، فمنها قيل : إنه أخذه بعض الولاة ، وقد آتهم بالشرب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ، فقال : فيثوه ، فقال مزبد : ومن يضمن عشائي أصلحك الله ، فضحك منه وأطلقه . وهبت ريح شديدة فصاح الناس : القيامة ، القيامة ، فقال مزبد : هذه قيامة على الريق بلا دجال ، ولا دابة ، ولا القائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا يأجوج ومأجوج . وقيل له : لم لا تكون كفلاً ؟ يعنون رجلاً موسراً ، فقال : بأبي أتم ، كيف أشبه بمن يضطرب فيسُمّت^(١) ، وأعطس فأطعم . وقيل له : ما بال حمارك يتبلّد إذا توجه نحو المنزل ، وحير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المقلب . ونظرت امرأته وهي حبلى الى قبح وجهه ، فقالت : الويل لي ، إن كان الذي في بطني يشبهك ،

٢٠

(١) التسميت بالشين المعجمة والسين المهملة : الداء اللعاطس .

فقال لها : الويل لك ، إن لم يكن يشبهنى . وسمع رجلا يقول عن ابن عباس :
 من نوى حجة ، وعاقه عائق ، كُتِبَتْ له ، فقال مزبد : ما خرج العام كراء أرخص من
 هذا . وحكى عنه : أنه جمع بين رجل وعشيقته فى منزله ، فعاتبها ساعة ومد يده اليها ،
 فقالت : ليس هذا موضعه ، فسمع مزبد قولها ، فقال : يا زانية ! فأين موضعه ،
 بين الركن والمقام ؟ هذه الدار ما بنيت إلا للقطاب والقيادة ، ولا آخذ ثمن أخشابها
 إلا من القهار ، ولا موضع أحقّ منها بهذا .
 ومن أشهر بالمجون أشعب .

ذكر شىء من نوادر أشعب وأخباره

- هو أشعب بن جبّير ، وأسمه شُعَيْب وكُنِيته أبو العلاء ، وأمه أُمّ الجَلْدَنح ، وقيل
 أُمّ حميد حميدة^(١) ، وهى مولاة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها ، وكان أبوه
 قد خرج مع المختار بن أبى عبيد ، فأسره مصعب بن الزبير ، فقال له : ويلك ،
 تخرج علىّ وأنت مولاى ؟ وقتله صبّرا ، وقد قيل فى ولائه : إن أباه مولى عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه ، وأن أمه كانت مولاة أبى سفيان بن حرب ، وإن ميمونة
 أُمّ المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تدخل على
 أزواج النّبى صلى الله عليه وسلم ، فيستظرفنها ، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهنّ الى
 بعض ، وتغرى بنهن ، فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت . وقد حكى
 عن أشعب : أنه جلس يوما فى مجلس فيه جماعة ، فتفاخروا وذكروا كل واحد منهم
 مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتمدح به الناس ويتفاخرون ، فوشب
 أشعب ، وقال : أنا ابن أُمّ الجَلْدَنح ، أنا ابن أُمّ المحترشة بين أزواج النّبى صلى الله
 عليه وسلم ، فقيل له : ويلك ، أو بهذا يفتخر الناس ؟ قال : وأى آفتخار أعظم
 (١) كذا بالأصل وعبارة الأغاني : كان يقال لأمه أُمّ "الجلدنج" وقيل أُمّ جميل وأسمها حميدة .

من هذا، لو لم تكن أُمى عندهن ثقة لما قبان روايتها في بعضهن بعضا . وقد حكى :
 أنها زنت ، فحُكِّت ، وطُيف بها على جمل ، فكانت تتأدى على نفسها : من رآنى فلا
 يزني ، فقالت لها امرأة : نهانا الله عز وجل عنه فعصناه ، ونطيعك ، وأنت
 مجلودة مخلوقة ، راكبة على جمل . ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ،
 وكفلته وتولت تربيته عائشة بنت عثمان ، وعمر أشعب عمرا طويلا . وحكى عنه
 أنه قال : كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار لما حُصر ، فلما جرد ماله
 السيوف ، ليقاتلوا ، كنت فيهم ، فقال عثمان : من أغمد سيفه فهو حرٌّ ، فلما
 وقعت في أذى ، كنت والله أول من أغمد سيفه ، فعتقت ؛ وكانت وفاته بعد
 سنة أربع وخمسين ومائة ، وهذا القول يدل على انه كان مولى عثمان بن عفان
 رضى الله عنه .

١٠

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه الى إبراهيم بن المهدي عن عبيد
 ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من
 ممالك عثمان بن عفان ؛ وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت
 في أشعب خلل ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ،
 وكان أقوم أهل دهره للحجج المعترلة ، وكان أمراً منهم . وقال مصعب بن عبد الله :
 كان أشعب من القراء حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نسك وغزا ؛ وقد روى
 الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبى الزناد
 في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . وقال إسحاق
 ابن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتا يجيدها ، وفيه يقول عبد الله
 ابن مصعب الزبيري عفا الله عنه

٢٠

إذا تمزّزت صُراحِيَّةٌ * كمثل ريح المسك أو اطيبُ
ثم تفنّى لى بأهزاجه * زيد أخوال أنصار أو أشعبُ
حبّبت أنى ملك جالس * حفّت به الأملاك والموكبُ
وما أبالى وإله العلا * أشرق العالمُ أم غرّبا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة ، وقد آن أن نذكرها ، فمنها :
ما حكى ، أنه كان يقول : كلبي كلب سوء ، يصبص للأضياف ، وينبح على أصحاب
الهدايا ؛ وقيل له : قد لقيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو حفظت
أحاديث تتحدث بها ! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث ، قيل : فحدثنا ، قال : حدثني
عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ، قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل
الجنة ، ثم سكت ، فقيل له : هات ما الخلتان ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ، ونسيت
أنا الأخرى ؛ وكان أشعب يحدث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فيقول :
حدثني عبد الله ، وكان يبغيضني في الله ؛ وكان أشعب يلزم طعام سالم بن عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهم ، فأشتهى سالم أن يأكل مع بناته ، فخرج الى البستان ، فجاء
أشعب الى منزل سالم على عادته ، فأخبر بالقصة فاكترى جملا بدرهم ، وجاء الى
البستان ، فلما حاذى الحائط ، وثب ، فصار عليه ، فغطى سالم بناته بثوبه ، وقال :
بناتي بناتي ! فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْت مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ) .

قال أشعب : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين منى
الفراش ، فجاءت بعد أيام وقالت : بأبي أنت ، الدينار ، فقلت أرفعي فراشي وخذي
ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت الى جنبه درهم ، فأخذت الدرهم ، وتركت

(١) الصراحِيَّةُ : آية لخمر . (٢) في الأصول : العلا ، والننى في الأغاني : الوري .

الدينار، وعادت بعد أيام، فوجدت معه درهماً آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك ، وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتهما بكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالنفاس .

- ومن أخباره المستظرفة ما حكاها المدائني ، قال : قال أشعب : تعلّقت
 بأستار الكعبة ، فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ، فررت
 بالقرشيين وغيرهم فلم يُعطني أحدٌ شيئاً ، فبُغت إلى أمي ، فقالت : مالك قد جئت
 خائباً ؟ فأخبرتها بذلك ، فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك ،
 فرجعت ، فبعلت أقول : يا رب أقلني ، ثم رجعت ، فما مررت بمجلس لقريش
 ولا غيرهم إلا أعطوني ؛ ووُهب لي غلام فبُغت إلى أمي بجمال موقرة من كل شيء ،
 فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً إن قلت : وهو لي ،
 فقالت : أيّ شيء هذا ؟ فقلت : غين ، قالت : أيّ شيء ؟ قلت : لام ، قالت :
 أيّ شيء ؟ قلت : ميم ، قالت : وأي ميم ؟ قلت : غلام ففُغشي عليها ، ولو لم أقطع^(١)
 الحروف لمأت الفاسقة فرحاً . قال : وجلس أشعب يوماً إلى جانب مروان بن
 أبان بن عثمان ، فانفلتت من مروان ريح لها صوت ، فانصرف أشعب يومهم الناس أنه
 هو الذي خرجت منه الريح ، فلما آنصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب ، فقال له :
 الدية ، قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحمّلتها عنك ، وإلا شهرك ، فلم
 يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحه عليه .

- وقال محمد بن أبي قيسلة : غلّى أشعب جدّاً بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غايَةً ،
 ثم قال لزوجه أمّ أبنه وردان : إني أحبّ أن ترضعيه بلبنك ، ففعلت ، ثم جاء به
 (١) كذا بالأصل ، وفي الأغانى : قالت : رأى شيء لام ، قلت : ألف . قالت رأى شيء ألف ،
 قلت : ميم الخ .

الى إسماعيل بن جعفر بن محمد، فقال : تالله إنه لأبغى، رضع بلبن زوجتى،
 قد حبوتك به، ولم أر أحدا يستأهله سواك، فنظر إسماعيل إليه وأمر به، فذُبح
 وُسِيط، فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة، فقال : ما عندى والله اليوم شيء،
 ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما ينس أشعب منه، قام من عنده،
 فدخل على أبيه جعفر، ثم آندفع فشقق حتى التقت أضلاعه، ثم قال : أخلنى،
 قال : ما معنا أحد يسمع، ولا عليك عين، قال : وثب أبنتك إسماعيل على أبى
 فذبحه، وأنا أنظر اليه، فارتاع جعفر وصاح، ويلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال :
 أما ما أريد، فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك، فجراه خيرا
 وأدخله منزله وأخرج اليه مائتى دينار، فقال : خذ هذه، ولك عندنا ما تحب،
 قال : وخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مسترسل فى مجلسه
 فلما رأى وجه أبيه أنكره، وقام إليه، فقال : يا إسماعيل فعلتما بأشعب ! قتلت
 ولده ؟ قال : فاستضحك، وقال : جأنى، وأخبره الخبر، فأخبره أبوه بما كان منه،
 وما صار إليه، قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رعتنى راعك الله، فيقول :
 روعة أبنتك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمائتى دينار .

قال المدائنى : دخل أشعب على الحسين بن على رضى الله عنهما، وعنده أعرابى
 قبيح المنظر، مختلف الخلق، فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين : أبى أنت وأمى،
 أناذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال : إن شئت، ومع الأعرابى قوس وكثانة، ففوق
 نحوه سهما، وقال : والله لئن فعلت، لتكونن آخر سلحة أسلحتها، فقال أشعب
 للحسين : جعلت فداك، أخذنى القولنج . وعنه، قال : توضع أشعب ففسل رجله
 اليسرى وترك اليمنى، فقيل له : لم تركت غسل اليمنى ؟ فقال : لأن النبى صلى الله عليه
 (١) القولنج : بضم القاف أو فتحها وفتح اللام أو كسرها : مرض معوى مؤلم يصبر معه خروج الثقل والريح .

وسلم قال : « أمتي عُثْرٌ محبّلون من آثار الوضوء » ^(١) وأنا أحب أن أكون أغرّ محبلاً مطلق اليمين . وقال : سمع أشعب حُجّي المدينة تقول : اللهم لا تمنني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسأل الله تعالى المغفرة، وإنما سأله عمر الأبد، يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا .

وقال الزبير بن بكار : كان أشعب يوما في المسجد يدعو، فإذا هو قد قبض وجهه فصيره كالشعرة المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فخصبه ، وناداه : يا أشعب إنما أنت تناجي ربك فناهجه بوجه طليق ، قال : فأرني لحية حتى وقعا على زُورِهِ، قال : فأعرض عنه، وقال : ولا كلّ ذا . ^(٢)

وقال مصعب : بلغ أشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة أستطابوه ، فرقبهم حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم ، فصار إليهم ، ثم قال : قد بلغني أنك قد نحوت نحوي ، وشغلت عني من كان يالفتي ، فإن كنت مثلي فأفعل كما أفعل ، ثم غَضَن وجهه وعرضه وشنجه ، حتى صار عرضُه أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره ، وصار كأنه وجه الناظر في سيف ، ثم نزع ثيابه وتحدب ، فصار في ظهره حدة كسنام البعير ، وصار طوله مقدار شبر ، ثم نزع سراويله ، وجعل يمد جلد خصيه حتى حك بهما الأرض ، ثم خلاهما من يده ، وجعل يمس ، وهما يخطان الأرض ، ثم قام فتناول وتمتد وتمطى ، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال ، فضحك القوم حتى أغمى عليهم ، وقطع بالغاضريّ فما تكلم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره أبدا ، إنما أنا عبدك وتخريجك ، ثم أنصرف أشعب وتركه .

٢٠

(١) هكذا في الأصل . والذي في الجامع الصغير : « أمتي يوم القيامة عُثْرٌ من السجود محبّلون من الوضوء » .

(٢) الزُّورُ : وسط الصدر .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي ، قال : لقي أشعبَ صديقاً لابيه ، فقال له :
ويلك يا أشعب ! كان أبوك ألقى وأنت أقط^(١) ، فإلى من خرجت تشبهه ؟ قال :
إلى أمي .

وقال المهيم بن عدي : لقيت أشعبَ ، فقلت له : كيف ترى أهل زمانك
هذا؟ قال : يسألوني عن أحاديث الملوك ، ويعطوني عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعبَ سالمُ بن عبد الله بن عمرو ، فقال له :
يا أشعب ، هل لك في هريس أُعِدَّ لنا؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، ففضي أشعب
إلى منزله ، فقالت له أمراته : قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك ، قال :
ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها ، وعبد الله بن عمرو في يدي
متى شئت ، وسالم إنما دعوته للناس فلتة ، وليس لي بد من المضى إليه ، قالت :
إذا يغضب عبد الله ، قال : آكل عنده ، ثم أصير إلى عبد الله ، بخاء إلى منزل سالم ،
بفعل يا كل أكل متعالي ، فقال له : كل يا أشعب ، وأبعث ما فضل عنك إلى

منزلك ، قال : ذلك أردت ، بأبي أنت وأمي ، قال : فقال : يا غلام ، أحمل هذا
إلى منزله ، فحمله ، ومشى أشعب معه ، فقالت أمراته : نكثت أملك ، قد حلف
عبد الله لا يكلمك شهراً ، قال : دعي وإياه ، هاتي شيئاً من زعفران ، فأعطته ،
فأخذه ودخل الحمام ، فمسحه على وجهه وبدنه ، وجلس في الحمام حتى صفّره ، وخرج
متوكئاً على عصا يردد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلما رآه حاجبه ،
قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى ؟ ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له فلما دخل
عليه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد في الرعدة ، ويقارب الخطو ، فجلس

- وما كاد أن يستقل ، فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك ، فقال له سالم : ويحك مالك ! ألم تكن عندى آنفا ؟ أكلت هريسة ! قال : لقد شُبه لك ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : لعل الشيطان ينشبه بك ، قال أشعب : على وعلى إن كنت رأيتك منذ شهر ، فقال له عبد الله : أعزب ويحك عن خالي ! أتبهته ؟ لا أتم لك ! قال : ما قلت إلا حقا قال : بحياتي أصدقني وأنت آمن من غضبي ٥ قال : وحياتك لقد صدق ، وحديثه بالقصة فضحك حتى أستلقى على قفاه .

- وقال المدائني والهيثم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أشعب بعد ما طلق أمرأته سعدة ، فقال له : يا أشعب : لك عندى عشرة آلاف درهم ، على أن تبلغ رسالتى سعدة ، فقال له : أحضر المال حتى أنظر اليه ، فأحضر الوليد بدرة ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك ، قال : قل لها يقول لك ١٠

أسعدة هل إليك لنا سبيل * وهل حتى القيامة من تلاق

بلى ! ولعل دهرنا أن يؤاتى * بموت من حليلك أو طلاق

فأصبح شامتا وتقر عيني * ويجمع شملنا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب ، فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففرش لها فرش وجلست

- وأذنت له ، فدخل فأنشدها ، فلما أنشد البيت الأول ١٥

أسعدة هل إليك لنا سبيل * وهل حتى القيامة من تلاق

قالت : لا والله ، لا يكون ذلك أبدا ، فلما أنشد البيت الثانى

بلى ! ولعل دهرنا أن يؤاتى * بموت من حليلك أو طلاق

قالت : كلا إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به ، فلما أنشد البيت الثالث

- فأصبح شامتا وتقر عيني * ويجمع شملنا بعد افتراق ٢٠

قالت : بل تكون الشاة به، ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق، فقال :
يا سيدتي، إنها عشرة آلاف درهم، قالت : والله لا تقتلنك أو تبغنه كما بلغتني، قال :
وما تهين لي، قالت : بساطي الذي تحتي، قال : قومي عنه، فقامت، فطواه، ثم قال :
هاتي رسالتك، جعلت فداك، قالت : قل له

أتبكي على لبي وأنت تركتها * فقد ذهبت لبي فما أنت صانع؟

فأقبل أشعب، حتى دخل على الوليد، فأنشده البيت، فقال : أوه قاتني والله،
فما تراني صانعا بك يا ابن الزانية؟ آخر إما أن أدليك منكسا في بر، أو أرميك من
فوق القصر منكسا، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، قال له : ما كنت
فاعلا بي شيئا من ذلك، قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عيني قد نظرنا
الى السعدة، قال : صدقت يا ابن الزانية .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده الى إبراهيم بن المهدي عن ابن أشعب عن
أبيه، قال : دُعِيَ ذات يوم بالمغنين الى الوليد بن يزيد، وكنت نازلا معهم، فقلت
للرسول : خذني فيهم، قال : لم أؤمر بك، إنما أمرت بإحضار المغنين، وأنت
بطل لا تدخل في جملتهم، فقلت له : أنا والله أحسن غناء منهم، ثم أندفعت فغنيت،
فقال : لقد سمعت حسنا، ولكن أخاف، قلت : لا خوف عليك، ولك مع ذلك
شرط، قال : وما هو ؟ قلت : كل ما أصبت فلك شطره، فأشهد على الجماعة،
ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن فلم يتحرك
ولم ينشط، فقام الأجير الى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره، فقال
بينه وبين أمراته شر، لأنه عشق أختها ففضبت عليه، وهو الى أختها أميل، وقد
عزم على طلاقها، وحلف أن لا يذكرها أبدا بمراسلة ولا مخاطبة، فخرج على هذه
الحال من عندها، فماد الأجير البنا، وجلس ثم أندفع يغني

فبني فاني لا أبالي وأيقنى * أصعد باقي حاكم أم تصوبا
المعلمي أنى عزوف عن الهوى * اذا صاحبي من غير شىء تغضبا

فطرب الوليد وأرتاح، وقال للأجير : أصبت والله يا عبيدة ما فى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشىء سوى الأجير، فلما أيقنت بأنقضاء المجلس وثبت فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربنى مائة سوط الساعة بحضرتك، فضحك ! ثم قال : قبحك الله ! وما السبب فى ذلك ؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له : إنه بدأنى بالمكروه فى أول يومه، فاتصل على الى آخره فأريد أن أضرب مائة سوط، ويضرب بعدى مثلها، فقال : لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التى أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وأنصرفت .

١٠

وقال عبيدة بن أشعب : غضبت سكينه على أبى فى شىء خالفها فيه، خلفت لتحلق لحيته، فقال له الحجام : أنفخ أشداقك حتى أتمكن منك، فقال له أشعب : يا ابن البظراء، أمرتك أن تحلق لحيتى أو تعلمنى أزمرك ؟ أخبرنى عن أمرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه ؟ فغضب الحجام وحلف أن لا يحلق لحيته وأنصرف، فبلغ سكينه الخبر، فضحكت وعفت عنه .

١٥

قال ابن ربيع^(١) : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم، فبينما نحن ذات يوم عنده، وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى، والشر^(٢) بين فى وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان : هذا والله من البابة^(٣)، ادعوه لى، فدعوه له، وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان

٢٠

(١) كما بالأصل وصوابه : زبج بفتح الزاى والباء وفتح النون مشددة وهورافية بن هرمة .
(٢) البابة : أسم بلدة .

يدعوك ، فأتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن سببه ، فانتسب له ، فقال له أبان :
حيّاك الله يا خال ، أجلس ، بفلس ، فقال له : إني أطلب جملا مثل جملك هذا
منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف ،
والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه ، أتبعنيه ؟ فقال : نعم أيها الأمير ،
قال : إني قد بذلت لك به مائة دينار ، فطمع الأعرابي وسرّ وأنتفخ . وبان
الطمع في وجهه ، فأقبل أبان على أشعب ، ثم قال له : ويلك يا أشعب ! إن خالي
هذا من أهلك وأقاربك ، يعني : في الطمع ، فأوسع له مما عندك ، فقال : نعم ،
بأبي أنت وزيادة ، فقال له أبان : يا خال ، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل
يساوي ستين دينارا ، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا ، وإني أعطيك
عروضا تساوي مائة دينار ، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير ،
وأسرّ أبان إلى أشعب فأخرج شيئا مغطى ، فقال له : أخرج ما جئت به ، فأخرج
جرّد عمامة تساوي أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب ، فقال : عمامة الأمير
يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ! نحسون دينارا ، قال : ضعها بين يديه ،
وقال لأبن زبّج : أثبت قيمتها ، فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي ،
فكاد يدخل بعضه في بعض غيظا ، ولم يقدر على الكلام ، قال : هات قلنسوتي ،
فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم ،
قال : قوم ، فقال : قلنسوة الأمير تملوها منته ، ويصلي فيها الصلوات الخمس ،
ويجلس فيها للحكم ! ثلاثون دينارا ، قال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووضعت القلنسوة
بين يدي الأعرابي فأربد وجهه وبحظت عيناه وهمّ بالوثوب ، ثم تماسك وهو
مقلقل ، ثم قال لأشعب : هات ما عندك فأخرج خفين خلقيين قد نُقبا وتقشرا
وتفتتا ، فقال : قوم ، فقال : خُفّا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبيّ

٥

١٠

١٥

٢٠

صلى الله عليه وسلم! أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه، ثم قال للأعرابي: أضرم اليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: أَمْضْ مع الأعرابي وأقبض ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي، فأخذ القماش، فغضب به وجوه القوم لا يالو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أى شيء أموت؟ قال: لا، قال: كيف لا أدركت أباك عثمان فأشرك والله في دمه إذ ولد مثلك؟ ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه، فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلى يابن الحبيشة، حتى أكافئك على قيمتك المتاع، يوم قومت، فيهرب منه أشعب.

ونقل الزبير بن بكار عن عمه: نظمت امرأة أشعب منه الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فقالت: لا يدعى هذا من كثرة الجماع، فقال له أشعب: أترانى أعلف ولا أركب؟ فلكفف ضرماً لأكف أرى.

وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة، قال: كانت امرأة شديدة العين، لا تنظر الى شيء فتستحسنه إلا عاتته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لأبنته: يا بنية، إذا أنا ميت فلا تدبيني، والناس يسمعونك، وتقولين: وأبنته، أندبك للصوم والصلاة، للفقهاء والقراء، فيكذبك الناس ويلعنوني، ثم ألفت فرأى المرأة فغضى وجهه بكه، وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت أستحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني، فغضبت المرأة، وقالت: سخنت عينك، وفي أى شيء أنت مما يستحسن؟ أنت في آخر رمق، قال: قد علمت، ولكن قد لا تكونين قد أستحسنت خفة الموت على، وسهولة التزع، فيشتد ما أنا فيه، فخرجت من عنده وهي تسبه، وضحك من كان حوله من كلامه ومات.

ذكر شيء من نوادر أبي دلالة

هو أبو دلالة زندي بن الجون وزندي بالنون، وهو كوفي أسود مولى لبنى أسد، كان أبوه عبداً لرجل منهم، يقال له : قصاص، فاعتقه وأدرك آخر زمن بنى أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبت في أيام بنى العباس فانقطع إلى أبي العباس السفاح وأبى جعفر المنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيون مجالسته ونوادره .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو دلالة رديء المذهب، مرتكباً للحرام، مضيقاً للفروض، متجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه، ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله، وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها، وإنما ثبت في هذا الموضع ماله من نادرة أو حكاية مستظرفة، فن ذلك : أنه دخل على أبى جعفر المنصور، وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلائس الطوال، وتدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، فلما دخل عليه أبو دلالة في هذا الزي، قال له المنصور : ما حالك؟ قال : شر حال يا أمير المؤمنين، وجهى في نصفى، وسيفى في آستى، وقد

صبغت بالسواد ثيابى ونبتت كتاب الله من وراء ظهري، ثم أنشد

وكنا زبجى منحة من إمامنا * بجاءت بطول زاده في القلائس

تراها على هام الرجال كأنها * ديار يهود جلت بالبرائس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

وحكى عنه : أنه كان واقفا بين يدى السفاح أو المنصور، فقال له : سلى حاجتك، فقال أبو دلالة : كلب صيد، قال : أعطوه إياه، قال : ودابة أنصيد

عليها، قال : أعطوه، قال : و غلام يقود الكلب ويتصيد به، قال : أعطوه غلاما، قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه، قال : أعطوه جارية، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال^(١) فلا بد لهم من دار يسكنونها، قال : أعطوه دارا تجمعهم، قال : فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال : قد أقطعك مائة جريب عامرة، ومائة جريب غامرة، قال : وما الغامرة؟ قال : ما لا نبات فيه، قال : قد أقطعك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد، فضحك وقال : أجمعوا المائتين كلها عامرة، قال : فائذن لي أن أقبل يدك، قال : أما هذه فدعها، فإني لا أفعل، قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقل عليهم ضررا منها . وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها

- ١٠ إن الخليط أجدوا البين فأتجمعوا * وزودوك خبالا، بس ما صنعوا
والله يعلم أن كادت، لينهم * يوم الفراق، حصاة القلب تنصدع
عجبت من صيتي يوما وأمهم * أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
ونحن مشتبها الألوآن، أوجهنا * سود قباح، وفي أسمائنا شنع
١٥ إذا تشكت إلى الجوع، قلت لها * ما حاج جوعك إلا الرى والشع
قالت أذاك قد صارت عيالتنا * على الخليفة منه الرى والشع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة في أسبابها الرع
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله * دوني ودون عيالي ثم تضطجع

(٧)

(١) في الأغاني : عبيدك .

(٢) الجريب : المزرعة .

(٣) كذا في الأصل وعبرة الأغاني : وروى وهو الجيد

أذاك الجوع مذ صارت عيالتنا * على الخليفة منه الرى والشع

شوهاء مشناة ^(١) في بطنها ^(٢) مجل * وفي المفاصل من أوصافها فذع ^(٣)
 ذكرتها بكاب الله ^(٤) حرمنا * ولم تكن بكاب الله ترنجع ^(٥)
 فانرظمت ثم قالت وهي مصغية * أنت نتلو كتاب الله يا لكع
 أخرج تبغ لنا مالا ومزرعة * كما بليرانا مال ومزدرع
 وأخدع خليفنا عنا بمسالة * إن الخليفة للسؤال يخدع

قال فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتي جريب عامرة ويروى ستمائة
 جريب عامرة وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة
 فيما بين الحيرة والنجف وإن شئت زدتك فضحك وقال : أجعلوها كلها عامرة .
 قال : ولما توفى السقاح دخل أبو دلالة على المنصور والناس عنده يعزونه فقال

أسميت بالأنبار يا ابن محمد * لم تستطع عن عُقرها تحويلا
 ويلي عليك وويل أهلى كلهم * ويلا وعولا في الحياة طويلا
 فلتبكين لك السماء بعبرة * ولتبكين لك الرجال عويلا
 مات الندى إذمت يا ابن محمد * فجعلته لك في التراب عديلا
 إني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمع من سألت بخيلا
 الشقوتي أنثرت بعدك للتي * تدع العزيز من الرجال ذليلا ؟
 فلا حلفن يمين حق برة * تالله ما أعطيت بعدك سولا

(١) مشناة : فيحة .

(٢) الثجل : عظم البطن وأسترخاؤه .

(٣) الفذع : اعوجاج الرسغ في اليد أو الرجل .

(٤) انرظمت : رفضت ألقها استكبارا أو غضبا .

(٥) كذا في الأصل وعبارة الأغاني " منضبة " وهي الأصم .

- قال : فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : إن سمعتك تشدد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما وهو الذى جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف اليه فقل كما قال يوسف (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فسرّى عن المنصور وقال : قد أفلدك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، قال : يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس •
- أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن : يا سليمان أذهبها اليه وسيّره الى هذا الطاغية ، يعنى عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين أعيدك بالله ١٠ أن أخرج معهم والله إنى مشؤم ، قال المنصور : امض فإن يئني يغلب شؤمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يجرّب ذلك منى على مثل هذا العسكر ، فإنى لا أدرى أيهما يغلب ، يملك أو شؤمى ؟ إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعنى وهذا ، فما لك من الخروج بد . قال : فإنى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلّها هزمت ، وكنّت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل ، فضحك المنصور وأمره أن يتخلّف مع عيسى بن موسى بالكوفة . وعن جعفر بن حسن المهلبى ^(١) قال : حدثني أبو دلامة ، قال : أتى بي المنصور أو المهلبى وأنا سكران خلف ليخرجنى فى بعث حرب فأنخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراء ^(٢) فلما ألتقى الجمع ان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك ٢٠
- (١) كذا بالأصل ، وفى الأغاني : جعفر بن الحسين المهلبى . (٢) الشراء : اسم مدينة بالشام .

وقال : والله العظيم لأقدمن إليك ذلك ولا أخذتك بالوفاء بشرطك ، فنزل عن فرسه
وزرع سلاحه ودفع ذلك الى ودعا بغيره فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي
قلت : أيها الأمير هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبيتا فاسمعها ، قال : هات فأنشدته

إني أستجرتك أن أقدم في الوغى * لتطاعين وتنازل وضراب
فهيب السيوف رأيها مشهورة * وتركتهام مضيت في التهراب
ما ذا تقول لما يحيى ولا يرى * من بادرات الموت بالنشاب

٥

١٨

فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال : اخرج
اليه يا أبا دلامة ، فقال : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فقال : والله لتخرجن ،
فقلت : أيها الأمير ، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع
ما تنبعث مني جراحة من الجوع فرلى بشئ آكله ثم أخرج ، فأمر لي برغيفين
ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رآني الشاري أقبل نحوي وعليه
فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعل^(١) وعيناه تقدان فأسرع الى ،
فقلت : على رسلك يا هذا ! فوقف فقلت : أتقتل من لا يقا تلك ؟ قال : لا ،
قلت : أتستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أقتستحل ذلك قبل
أن تدعوني تقاتله الى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني الى لعنة الله ، فقلت :
لا أفعل أو تسمع مني ، قال : قل ، فقلت : هل كانت بيننا عداوة أو ترّة أو تعرفني
بحال تحفظك علي أو تعلم بني وبين أهلك وترّا ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله
لك إلا على جميل ، فإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء إن أرادك ،
فقال : يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف ، قلت : إن معي زادا أريد أن آكله وأريد

١٥

مؤاكلتك لتؤكد المودة بيننا ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا ، قال : فافعل ،
 فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل
 والناس قد غلبوا ضحكا ، فلما استوفينا ودعنى ثم قلت له : إن هذا الجاهل ، إن أقمت
 على طلب المبارزة ندبني اليك فتتعب وتتعبني ، فإن رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ،
 قال : قد فعلت ، فأنصرف وأنصرف ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيْتُك قرني ٥
 فقل لغيري يكفيك قرنه كما كفيْتُك ، وخرج آخر يدعو الى البراز فقال لى : اخرج
 اليه ، فقلت

إني أعوذ بروح أن يقدمني * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
 إن البراز الى الأقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
 قد حالفتك المنايا إذ رصدت لها * وأصبحت لجميع الخلق كالرصد ١٠
 إن المهلب حب الموت أورتكم * فما ورثت اختيار الموت عن أحد
 لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكانها خلقت فردا فلم أجِد
 قال : فضحك روح وأعفانى ؛ قال : وشرب أبو دلالة فى بعض الحانات وسكر
 فمشى وهو يميل فلقبه العسس فأخذه ، فقبل له : من أنت؟ وما دينك؟ فقال :

دينى على دين بنى العباس * ما ختم الطين على القوطاس ١٥
 إذا اصطبحت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسى
 * فهل بما قلت لكم من بايس *

فأخذه وخرقوا ثيابه وساجه ، وأتى به الى أبى جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج
 فى بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريتة أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو

مع ذلك يسمع صوت الدجاج، وُزْقَاءُ^(١) الديك فلما أكثر، قال له السجان : ماشأنك؟
قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان السجان ،
قال : ومن حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن خرق طيلسانى ؟ قال :
الحرس ، فطلب أن يأتية بدواة وقرطاس ، ففعل فأناه ، فكتب الى أبى جعفر
المنصور يقول

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتِكَ نَفْسِي * عَلَامَ حُبْسَتْنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمَزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النُّطْفِ النُّضَاجِ
تَهْتَشُ لَهَا الْقُلُوبُ وَتُسْتَهْيَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرْقُقُ فِي الزَّجَاجِ
أَفَادُ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عَمَّالِ الْخِرَاجِ ؟
فَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تَخْبِرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَتَى وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا * لَخِيرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

١٠

فاستدعاه المنصور، وقال : أين حبست يا أبا دلامة؟ قال : مع الدجاج قال :
فما كنت تصنع؟ قال : أفوقى معهم الى الصباح، فضحك وخلقى سبيله وأمر له
بجائزة، فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله :
وقد طبخت بنار الله؟ — يعنى الشمس — قال : لا والله ، ما عנית إلا نار الله
الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود

١٥

١٦

(١) الزقاة : الصباح .

(٢) أفوق : أصبح ، من فوقات الدجاجة أى صاحب .

التعرض له . وروى عن المدائني قال : دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن عليّ وعيسى بن موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال له المهديّ : أنا أعطى الله عهدا إن لم تهج واحدا من في البيت ، لأقطعن لسانك أو لأضربن عنقك ، فنظر اليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأن عليّ رضاك ، قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمة من عزماته .
لا بد منها ، فلم أر أحدا أحقّ بالهجاء مني ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامة * فلست من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قردا * وخزيرا إذا نزع العمامة^(١)

جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم يتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه . قال : وخرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد ، فسمح لهما قطع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ورمى المهديّ سهمًا فأصاب ظبيا ورمى عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة

قد رمى المهديّ ظبيا * شك بالسهم فؤادة

وعليّ بن سليمان * نرمى كلبا فصادة

فهنيئا لهما كل أمرئ يأكل زادة

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة سنوية ، فلقب عليّ بن سليمان بعد ذلك : صائد الكلب ، فغلب عليه . قال :

(١) كذا في الأصل وفي الأغاني "كان" بدل "قلت" .

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال : أبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة أبنة عيسى يحاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

قال الهيثم بن عديّ رحمة الله عليه : حجت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح أبو دلامة : جعلني الله فداك ، الله الله في أمري ، فقالت : من هذا؟ قالوا : أبو دلامة . فقالت : سلوه ما أمره ، قالوا له : ما أمرك؟ قال : أدنوني من محلها ، قالت أدنوه ، فأدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم ، قالت : فمه ، قال : تهبني جارية من جوارك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عبوز عندي ، قد أكلت رفدي ، وأطالت كذي ، فقد عاف جلدي جلدها ، وتشوّقتُ فقدّها ، فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقّاها وأذكرها ونخرج معها الى بغداد فأقام حتى عرض ، ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع اليها رقعة قد كتب بها الى الخيزران ، فيها

أبلغني سيدتي بالله* يا أم عبيدَه
أنها أرشدها الله* وإن كانت رشيدَه
وعدتني قبل أن تخرج* للرج وليدَه
فتأيتُ وأرسلتُ بعشرين قصيدَه*
كلما أخلقن أخلفت* لها أخرى جديدَه
ليس في بيتي لتمهيد* فراشي من قعيدَه
غير عجفاء عجز* ساقها مثل القديدَه

٥

١٠

١٥

وجهاً أقبح من حو * تطرى في عصيدة

ما حياة مع أننى * مثل عرسى بسعيدة

فلما قرئت عليها، ضحكت ودعت بجارية من جوارها فائمة الجمال، فقالت لها :

خذى كل مالك فى قصرى ، ففعلت ، ثم دعت بعض الخدم وقالت له : ساهبا

الى أبى دلامة ، فانطلق الخادم بها فلم يصادفه فى منزله ، فقال لأمراته : اذا رجع

أبودلامة فادفعها اليه وقولى له : تقول لك السيدة : أحسن صحبة هذه الجارية ، فقد

أمرت لك بها ، فقالت له : نعم ، فلما خرج الخادم دخل أبنا دلامة فوجد أمته



تبكى فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرئى يوماً من الأيام فالיום ،

قال : قولى ما شئت فإنى أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالکها وتطوؤها

فتحزمها عليه وإلا ذهبت بعقله بخفانى وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها

ووافقها ذلك منه ، وخرج ، فدخل أبو دلامة فقال لأمراته : أين الجارية ؟ قالت :

فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محطم ذاهب ، فمذ يده اليها وذهب ليقلبها ، فقالت :

مالك ويحك ! تنح وإلا لطمتك لكمة دققت منها أنفك ، فقال : أهذا أوصتك

السيدة ؟ قالت : إنها بعثت بى الى قى من هيئته وحاله كيت وكيت ، وقد كان

عندى آنفا ونال منى حاجته ، فلم أنه قد دُهِىَ من أم دلامة وأبنا ، فخرج أبو دلامة

الى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أن لا يفارقه إلا الى المهدي فضى متلبباً به

حتى وقف بباب المهدي ، فعرف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال فأمر بإدخاله ،

فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ولا يرضينى

إلا أن تقتله ، قال : ويحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر فضحك حتى استلقى

ثم جلس ، فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف

والنيطع، فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين ، فاسمع حجتي ، قال : هات ! قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، هو يفعل بأمرى منذ أربعين سنة ما غضبْتُ ، فعلتُ أنا بجاريته مرّة واحدة غضب وصنع بى ما ترى ، فضحك المهديّ أشد من ضحكه الأول ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة ، وأنا أعطيك خيرا منها ، قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه ، فنقدّم الى دلامة أن لا يعاود مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ثم وهب له جارية .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ابن أبي دلامة يوما الى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته فجلس بين يديه ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ورقّ جلده ودقّ عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشئ يمسك ريقه ويبقى قوّته فيخالفى فيه وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته فأسعفوني بمسألته معى ، فقالوا : نفعل حبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبي دلامة بالسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه ، وهو ساكت ، قال : قولوا له الخبيث فليقل ما يربد فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليّة فقالوا له : قل ، فقال : إن أبى إنما قتله كثرة الجماع فتعاونونى حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصى فيكون أصحّ لجسمه وأطولّ لعمره ، فعجبوا بما أتى به وضحكوا ثم قالوا لأبى دلامة : قد سمعت فأجب ، قال : قد سمعت أنتم فعرّفتكم أنه لم يأت بخير ، قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلت أمه حكما فيما بينى وبينه ، فقوموا بنا إليها ، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها وقصّ أبو دلامة القصّة عليها وقال : قد حكّمتك ، فأقبلت على الجماعة فقالت : إن أبى هذا أبقاه الله قد نصّح أباه ولم يال جهدا ، وما أنا إلا الى بقاء أبيه أحوج منى الى بقاءه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة منا

٥

١٠

١٥

٢٠

ولا جرى بمشله عادة لنا، وما أشك في معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا آستعمله أبوه، فضحك أبوه والقوم وأنصرفوا يعجبون من خبثهم جميعا .
ومنهم أبو صدقة .

ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش، قال أبو الفرج :
وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة ، من أكثر الناس نادرة
وأخفهم روحا وأشدهم طمعا وألحهم مسألة وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد ﴿٤١﴾
من المجاز في أيامه، قيل : إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة، فقال: وما يمنعني
من ذلك ، وأسمي مسكين وكنتي أبو صدقة وآبتي فاقة وآبني صدقة ، فمن أحق
١٠ بهذا مني ؟ وكان الرشيد يعبت به كثيرا ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لأبن جامع
وإبراهيم الموصلي وزير بن دحمان وزلز و برصوما وآبن أبي مرير المديني : إذا رأيتوني
قد طابت نفسي، فليسأل كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل
واحد منهم مبلغ ذلك وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور
ما أمر به الرشيد ، ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم ، فلما جلس قال له :
١٥ يا أبا صدقة، لقد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم ضجير وأحببت أن أنفزع
وأفرح ولست آمن أن تنقص علي مجلسي بمسألتك ، فلما أن تعفيني أن تسألني اليوم
حاجة وإلا فانصرف، فقال له : لست في يومى هذا الى شهر أسألك حاجة، فقال
له الرشيد : أما إذ شرطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوارجك بمخمائة
دينار وما هي ذه فخذها طيبة معجلة فإن سألني شيئا بعدها في هذا اليوم فلا لوم عليّ
٢٠

إن لم أصلك سنةً بشيء ، فقال : نعم وسنتين ، فقال له الرشيد : زدنى فى الوثيقة ، فقال : قد جعلت أمر أتم صدقة فى يدك فطلقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك فى يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك ، فذفع إليه المال ثم أذن للجلساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم فلما طابت نفس الرشيد ، قال له أبن جامع : يا أمير المؤمنين قد نلت منك ما لم تبلغه أمنتى وكثرت إحسانك الى حتى كبت أعدائى وقتلتهم وليس لى بمكة دار تشبه حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبنى به دارا وأفرشها ببقاياه لأفقا عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل ، فقال له : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلى فقال : يا أمير المؤمنين قد ظهرت نعمتك على وعلى الكبار من ولدى ، وفى أصاغرهم من أحتاج ختانه ، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتى على ذلك فعل ، فأمر له بمثل ما أمر به لأبن جامع ، وجعل كل واحد منهم يقول فى الشاء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته وأبو صدقة ينظر الى الأموال تُمرق يمينا وشمالا فوثب قائما ورمى بالدنانير من كتمه وقال للرشيد : أقتلى أقال الله عثرتك ، فقال الرشيد : لا أفعل ، فجعل يستحلفه ويضطرب وبلغ الرشيد يضحك ويقول : مالى الى ذلك سبيل ، الشرط أملك ، فلما عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كنها قد رددتها عليك وبذلك أتم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا وإن لم تلحقنى بمجائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد عمرو الغزال وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار ، فضحك حتى استلقى ثم ردة عليه الخمسةائة دينار وأمر له بألف أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه الى أن مات ، رحمة الله عليهم .

٢٠

- وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : مُطَرْنَا ونحن مع الرشيد بأُورَة مع الفجر فاتصل الى غد ذلك اليوم وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أم ولده المسماة : سحر، فتشاورنا عنه في منازلنا، فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كل واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه فيخبره الى أن انتهى الى جعفر ابن يحيى فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور اليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركانه وشمائله ويفطن أبو زكار لذلك فيُجنّ ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك الى أن توسطنا الشرب وسئنا من عبته به، فقلت له : دع هذا عنك وعنّ غناءك، فعنّى رَمَلًا ذكر أنه من صناعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين وزمان وهو



فتنتنى بفاحم اللونِ جعيد * وبغير كأنه نظمٌ درّ

وبوجه كأنه طلعة البدر * روعين في طرفها نقتُ سحر

- فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال : ياسيدي إني قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لما فرشا فافرشها لي، فتعافلت عنه وعاد الغناء فتعمدتُ لأن قلت : أحسنتَ، فسألني فتعافلت فقال : ياسيدي، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحقّ أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بستم، فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بغيض، أسكت يا بغيض، وأكفف عن هذه المسألة المألحة، فوثب من بين يديّ، فقلت إنه قد خرج لحاجة فاذا هو قد نزع ثيابه وتجود منها خوفا من أن تبتلّ ووقف تحت

السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : يارب أنت تعلم أنى مله
ولست نأثما وعبدك الذى قد رفعته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنت
لا يقول لى : أسأت ، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت ، فيحلف
بك جرة عليك أنى بغيض فاحكم بينى وبينه فأنت خير الحاكمين ، فغلبنى الضحك
وأمرت به فتتحنى وجهدت به أن يغنى فامتنع حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش له
داره يا أمير المؤمنين وخدعته فلم أسم له بما أفرشها فقال له الرشيد : طيب والله !
الآن تم لنا به اللهو ، آدعوه فإنه اذا رآك سوف يتجزك الفرش لأنك حلفت له
بحياتى فهو يقتضيك ذاك بحضرتى ليكون أوفى له فقل له : أنا أفرشها لك بالبورى^(١)
وحاكمه الى ، ثم دعا به فحضر فلما استقر فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى
حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى ، تقدم به ، فقال له جعفر : اختر
إن شئت فرشها لك بالبورى وإن شئت فبالبردى من الحصر ، فصاح وأضطرب
فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره فقال له : أخطأت يا أبا صدقة
إذ لم تسم النوع وتحد القيمة فاذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد برئ يمينه ،
ولمّا خدعك ولم تفتن أنت ولا توثقت وضيعت حقك ، فسكت ثم قال : نوفر
أيضا البردى والبورى عليه أعزّه الله ، وغنى المغنون حتى انتهى الدور اليه فأخذ يغنى
غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء فقال له الرشيد : أى
شىء هذا الغناء ؟ قال : من فرش داره بالبورى والبردى فهذا الغناء كثير منه أيضا
لمن هذه صلته ، فضحك الرشيد وطرب وصفتى وأمر له بألف دينار من ماله ، وقال
له : أفرش دارك بهذه فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا أخذها أو تحكم لى على

٥

١٠

١٥

جعفر بما وعدني وإلامت والله أسفا لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به ،
فحكم له على جعفر بخمسة دینار أخرى فأمر له جعفر بها .

ذكر شيء من نوادر الأقيشِر

هو أبو معرِض المغيرة بن عبد الله بن معرِض بن عمرو بن معرِض بن أسد بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، والأقيشِر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه .
(١) أقيشِر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعمر الأقيشِر عمرا طويلا ، ولعله ولد في الجاهلية
ونشأ في الإسلام وكان أبعد بنى أسد نسبا ، قال : وكان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا
للخمر ، وهو الذي يقول لنفسه

فإن أبا معرِضٍ إذ حسا * من الزاح كأسا على المنبر
خطيبٌ لبيبٌ أبو معرِضٍ * فإن ليم في الخمر لم يصبر
أحل الحرام أبو معرِضٍ * فصار خليعا على المكبر
يحب اللثام ويلجى الكرام * وإن أقصروا عنه لم يقصر

قال : وشرب الأقيشِر في بيت نحات بالحيرة بغاء الشرط ليأخذوه فتحرز
منهم وأغلق الباب وقال : است أشرب فما سبيلكم علي ؟ قالوا : قد رأينا العس
في كفك وأنت تشرب ، فقال : إنما شربت من لبن لقحة لصاحب هذه الدار ، فما
برحوا حتى أخذوا منه درهمين فقال

إنما لقحتنا باطية^(٢) * فاذا ما مَرِجتِ كانت عَجَب

(١) قوله : أقيشِر هو تصغير أقيشِر وهو الشديد الحرة .

(٢) الباطية : إناء من الزجاج للحمر يوضع بين الشرب يفترون منه .

لَبْنٌ أَصْفَرُ صَافٍ لَوْنُهُ * يَنْزِعُ الْبَاسُورَ مِنْ تَجَبُّبِ الذَّنْبِ^(١)
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أُمُورِنَا * فَسَلُوا الشَّرْطَى مَا هَذَا الْغَضْبُ؟

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وغيره قال : كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين في كراء بغل الى الحيرة ، وكان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكرهه فكان يعطيه درهمين وياخذ بغله فيركبه الى الحيرة حتى يأتي به بيت الخمار فينزله عنه ويربطه ثم يجلس للشرب حتى يمسي ثم يركبه ، وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال : وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها : الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا ، فأتى الى رأس البغل وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفاني المجوسى^(٣) ”هم“ الرباب * فدى للمجوسى^(٣) خال وعم
شهدت بأنك ”بظر اللسان“ * ”وأنتك بحر“ جواد خضم
وأنتك سيد أهل الجحيم * اذا ما تردت فيمن ظلم
تجاوز ”هامان“ في قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال له المجوسى : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتني فأعطيتك بخزيتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك

(١) العَجَبُ : أصل الذنب .

(٢) الدهقان بالكسر والضم : رئيس الاقليم .

(٣) الكلمات المرقومة برقم (٣) وردت هكذا في الأصل ووردت في الأغاني بحسب ترتيبها هكذا :

مهر . رطب المشاش . وأن أباك . قارون .

وقرين أبى جهل؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربيع التميمي فسأله فلم يعطه شيئا، فقال فيه

سألت ربيعة من شَرها * أبا ثم أما فقالوا : لِمه

فقلت : لأعلم من شَركم * وأجعل للسب فيه سمه

فقالوا : لعكرمة المخزيات * وماذا يرى الناس في عكرمه؟

فإن يك عبدا زكا ماله * فما غير ذا فيه من مكرمه

قال الأصمعي : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر فأنشده قوله

ترك القذى من دونها وهى دونه * لوجه أخيها في الإناء قطوب

كبت إذا شجبت^(١) وفي الكأس وردة . لها في عظام الشارين ديب

فقال له : أحسنت والله يا أبا معرض ، لقد أجدت في وصفها وأظنك قد شربتها ،

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه ليريني معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر يأتي

إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهم فأمر له بخمسة درهم فأخذها ومضى

الى الحانة فدفعها الى صاحبها ، وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه ، ففعل ، فانضم اليه

رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفذت الدراهم ، فاتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه يوما ويومه ،

فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا اليه من بعيد ، فقالوا لصاحب الحانة : أصعد بنا

الى الغرفة ، وأعلم الأقيشر أننا لم نأت اليوم ، ففعل ، فلما جاء الأقيشر أعلمه بما قالوا ،

فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن ، فطرح اليه بعض ثيابه وقال له :

أقم لى ما أحتاج اليه ، ففعل ، فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول

(١) كذا بالأصل وفي الاغانى "قضت" .

يا خليلي أسقياني كاسا * ثم كاسا حتى آخر نعاسا
إن في الغرفة التي فوق رأسي * لأناسا يخادعون أناسا
يشربون المعتق الراح صرفا * ثم لا يرفعون للزور راسا^(١)

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بأبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له : إما أن
تصعد إلينا وإما أن تنزل إليك فصعد إليهم . ومراً الأقيشر بخمارة بالحيرة يقال لها :
دومة ، فنزل عندها واشترى منها نبيذا ثم قال : جودى الشراب حتى أجود لك
المدح ، ففعلت ، فأنشأ يقول

ألا يا دوم دام لك النعيم * وأسمر مثل كفك مستقيم
شديد الأسر ينض حالباه * يُحْمُ كأنه رجل سقيم
برؤيه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم

قال : فسرت به الخمارة وقالت : ما قال في أحد أحسن من هذا ولا أسر إلى منه .
قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دراهم ،
بغاه مرة فوجده قد أصيب بآبئه ، فردته أمرأته عنه ، ثم عاد بعد ذلك بيومين
فردته عنه أيضا ، فكتب إليه بيتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصلها إليه
فقرأها ، فاذا فيها

ألا أبليغ لديك أبا هشام * فإن الريح أبردها الشمال
عدائك في الهلال عداة صديق * فهل سمتت كما سمن الهلال

فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال : لقد سمتت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له
بها وزادها خمسة دراهم . وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه السير ويسخطه .

- وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأفيشر قتيلا ،
وقيل : إنه مدح عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فهجاه ،
فزعوا أن غلمانا لعبد الله بن إسحاق قتلوه فاجتمع بنو أسد وآذعوا عليه قتل الأفيشر
فافتدى منهم بديته ، وقال ابن الكلبي : كان الأفيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إسحاق
ومدح أخيه زكريا ، فقال لغلماناه : ألا تريجونني منه ؟ فانطلقوا بجمعوا بعرا وقصبا
بظهر الكوفة وجعلوه في وسط ^(١) إبرة وأقبل الأفيشر سكرانا من الحيرة على بغل أبي المضاء
المكارى ، فأنزلوه عن البغل وشدّوه رباطا ثم وضعوه في تلك الإبرة وألهبوا النار
في القصب والبر فمات ، ولم يعلم من قتله والله أعلم .

ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

- ١٠ هو إبراهيم بن سيابة مولى بن هاشم كان يقال : إن جدّه حجام أعتقه بعض
الهاشميين ، قدمه إبراهيم الموصلي وأبسه إسحاق لأنه مدحهما فرعفا من قدره وغنى
بشعره ونوّها بذكره ، وكان خليعا ماجنا حسن الدارة ، وله نوادر نذكر منها نبّدا
فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني ، منها ما رواه عن إسحاق الموصلي قال : أتى إبراهيم
ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد فعانقه وقبله وكان معه
داية ، يقال لها : رخاص ، فقيل لها : إنه لم يقبله تقبيل التسليم ، وإنما قبله شهوة ،
فلحقته الداية فشتمته وأسمته كلّ ما يكره ، وهجره الغلام بعد ذلك ، فقال

لئن لثّك سرّا * فأبصرتنى رخاص

وقال في ذاك قوم * على أنتقاصي حراض

هَجَرْتَنِي وَأَتَتْنِي * شَتِيمَةً وَأَنْتَقَاصُ

فهاك فاقْتَصْ مِنِّي * إِنَّا لَجُرُوحَ قِصَاصُ

٢٠

وقد قيل : إن رَحَاصَ هذه كانت مغنّية كان الغلام يهواها ، وإنه سكر ونام فقبله
أبن سيّابة ، فلما آتته قال للغنّية : ليت شعري ! ما كان خبرك مع أبن سيّابة ؟ فقالت
له : سل عن خبرك أنت معه ، وحدثته بالقصة فهجره الغلام ، فقال هذا الشعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان أبن سيّابة عندنا يوما مع جماعة نتحدث ونتناشد
وهو ينشد شيئا من شعره ، فتحرك فصرط فصرط بيده على آسته غير مكترث وقال :
إما أن تسكتي حتى أتكنم ، وإما أن نتكلمي حتى أسكت .

وقال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيّابة الشاعر : إذا كان عند
جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فإن المصيبة عندك أكبر
منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأثم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :
قدم على إبراهيم بن سيّابة بنيسابور فأنزلته على ، فجاء ليلة من الليالي فجعل يصيح :
يا أبا أيوب ، فخشيت أن يكون قد غشيه شيء فقلت : ما تشاء ؟ فقال

* أعياني الشادُّ الربُّ *

قلت بماذا؟ فقال

* أكتبُ أشكو فلا يُحِبُّ *

فقلت : داره وداه ، فقال

من أين أبغى شفاء قلبي ؟ * وإنما دائي الطيبُ

فقلت : لا دواء إذا إلا أن يفرج الله عز وجل عنك ، فقال

يارب فرج إذا وعجل * فإنك السامعُ المحيِبُ

ثم أنصرف وقد تقدّمت هذه الحكاية والسلام .

ذكر شىء من نوادر مطيع بن إياس الكافى وأخباره

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفا خليعا ماجنا حلو العشرة مابح النادرة قال : وكان متهما فى دينه بالزندقة ، وكان مولده ومنشؤه بالكوفة ، وكان منقطعا الى الوليد بن عبد الملك ، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد وكان سبب ذلك ما حكى عن حكم الوادى ، قال : غيّت آبن .
يزيد الوليد وهو غلام حديث السن بشعر مطيع بن إياس وهو

إكليلها ألوانٌ * ووجهها فتانٌ
وخاؤها فريدٌ * ليس له جيرانٌ
إذا مشت نثنتُ * كأنها نعبانٌ
قد جدلتُ بجاءتُ * كأنها عنانٌ

١٠

فطرب حتى زحف عن مجلسه الى واستعادنى الصوت حتى صهل صوتى^(١)
ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت عبد لك يا أمير المؤمنين أَرْضاه لخدمتك ،
قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن إياس قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ، فأمر
أن يُحْمَلَ اليه مع البريد ، فحُمِلَ اليه فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقلت :
عبدك أنا يا أمير المؤمنين ، فقال له : أدن منى ، فدنا منه فضمه الوليد اليه وقَبَّلَ فاه
وبين عيذه ، وقَبَّلَ مطيعٌ رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه حتى جلس فى أقرب
المجالس اليه ، وأصطباح معه أسبوعا متوالى الأيام على هذا الصوت ، وكان فى خلال
الدولة الأموية ينقطع الى أوليائها وعلمائها ، ثم انقطع فى الدولة العباسية الى جعفر
آبن أبى جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر ، ومات مطيع فى خلافة الهادى

١٥

بعد ثلاثة أشهر مضت منها؛ وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها فلنقتصر
ها هنا من أخباره عليها دون غيرها .

قيل : سقط لمطيع حائطٌ فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة
قال : أحمد الله أنت إذ لم ترك هديته ولم يصبك غباره ولم تنرم أجرة بنائه .
ومن أخباره مارواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع
أبن إياس ، قال : قال لي حماد بن محمد يوما : هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقي
وهي المعروفة بظبية الوادي؟ قلت : نعم قال : إنك إن بعدت عنها وحقت عينيك
في النظر أفسدتها عليّ ، فقلت : لا والله لا أتكلم بكلمة تسوءك ولا تسرك ، فضى بي
وقال : والله لئن خالفت ما قلت لأخرجك ، قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره
فاصنع بي ما أحببت قال : أمض بنا ، فمضينا فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم
وأحسنهم وجها ، فلما رأيته أخذني الزعم^(١) وفطن لي ، فقال : آسكت يابن الزانية ،
فسكت قليلا ، فلحظتني ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه ،
وكانت صلغته حمراء كأنها آست قرد ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعا ، فقلت

﴿٧٧﴾

وإن السوءة السوءا * يا حماد عن خُشَّة

عن الأثرجة الغضّة والتفاحة المشّة

فالتفت إلى وقال : فعلتها يابن الزانية ، فقالت له : أحسن ، فوالله ما بلغ صفتك
بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فسبته وتساورا ، فشقت قميصه وبصقت
في وجهه وقالت له : ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية ، وخرجنا وقد لقي كل
بلاء ، وقال لي : ألم أقل لك يابن الزانية إنك ستفسد عليّ مجلسي ؟ فأمسكت عن

جوابه، وجعل يهجوني ويسبني ويشكوني الى أصحابنا، فقالوا لى : آهجه ودعنا وإياه، فقلت

ألا يا ظبيَّةَ الوادى * وذات الجسد الرادى

وزينَ المصير والدارِ * وزينَ الحى والنادى

وذات الميسم العذبِ * وذات الميسم البادى

أما بالله تستحيين من خلَّة حمادِ

فحمادٌ قى ليس * بذى عنز فتقادى

ولا مالٍ ولا طريفٍ * ولا خلطٍ لمترادِ

فتوبى وآتى الله * وبى حبل عجرادِ

فقد مُيزت بالحسينِ * عن الخلق بـأفراد

وهذا الينُّ قد حُمَّ * بنجودى لى بالزادِ

قال : فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رآها قرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية وساعدتموه، قال : وأخذها حكم الوادى فغنى بها فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكارٍ إلا غنى فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتانى فما سلم على حتى قال لى

أما بالله تستحيين من خلَّة حمادِ

قتلتنى قتلك الله، والله ما كلمتنى حتى الساعة قال : قلت : اللهم أدم هجرها له وسوء رأيها فيه وأسفه عليها وأغوه بها فشتمنى ساعة، قال مطيع : ثم قلت له : قم أمض بنا حتى أريك أختى، وكانت لمطيع صديقةٌ يسميها أختى وتسميه أختى وكانت مغنية، فلما خرجت إلينا، دعوتُ قِيمةً لها فأسررت إليها فى أن تصلح لنا طعاما

وشربا، وعرفتها أن الذي معي حماد، فضحكت ثم أخذت صاحبتى فى الغناء وقد
علمت بموضعه وعرفت فكان أول ما غنت

أما بالله تستحيين من خلّة حماد

فقال لها : يا زانية ! وأقبل على وقال : وأنت يا زانى يا ابن الزانية ! أسررت هذا
الى قيمتها، فقلت : لا والله كذبت وشاتمته صاحبتى ساعة ثم قامت فدخلت وجعل
يتغيط على ، فقلت أنت ترى أنى أمرتها أن تغنى بما غنت، فقال : أرى ذلك
وأظنه ظننا لا والله وإكنى أتيقنه، خلفت له بالطلاق على بطلان ظنه وأنصرفنا .

وحكى ، قال يحيى بن زياد المحاربى لمطيع وكان صديقا له : أنطلق بنا الى فلانة
صديقتى فإن بينى وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت، قال :
فدخلنا عليها، فأقبلا يتعاتبان ومطيع ساكت حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسكتك ؟
أسكت الله نامتك ، قال مطيع ^(١)

أنت معتلة عليه وما زالا * ل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى وهش له ، فقال مطيع

فدعيه وواصل ابن إياس * جعلت نفسه الغداة فذاك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول : ألهذا جئت بك
يا ابن الزانية ؟ ومطيع يفوئ حتى ملّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ثم تركه .
^(٢)

وروى عن محمد بن الفضل السكونى قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن
مطيع بن إياس زنديق وأنه يلازم أبنة جعفر وجماعة من أهل بيته ويوشك أن

(١) جاء فى القاموس : أسكت الله تعالى أمره ويقال : نائمته مشددة ، أى أماته .

(٢) يفوئ : يستغيث .

- يفسد أديانهم أو يُنسبوا إلى مذهبهم ، فقال له المهديّ : أنا به عارف أما الزندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلّ للمعاصي ، قال : فأحضره ونهاه عن صحبة جعفر وسائر أهله فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقد أفسدت أُنحى ومن تصعبه من أهل ، والله لقد بلغني أنهم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررهم وشهرتهم في الناس ، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك ، يا ربيع أضربه مائة سوط وأحبسه ، قال : ولم يا سيدي ؟ قال : لانك سكتير نخير
- قد أفسدت أهل كلهم بصحبتك ، فقال له : إن أذنت لي وسمعت آحتججت فقال له : قل ، فقال : أنا أمرؤ شاعر وسوق إنما تنفق على الملوك وقد كسدت عندكم وأنا في أيامكم مطوّح وقد رضيّت منها مع سَعَتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفينه على ذلك شكري وشعري ، فإن كان ذلك غالبا عندك تبّت منه ، فأطرق المهديّ ثم رفع رأسه ، فقال : قد رفع إلى صاحب الخبر أنك تُتاجن على السؤال ، وتضحك منهم ، قال : لا والله ما ذاك من فعلى ولا شأني ولا جرى مني قط إلا مرة واحدة ، فإن سائلا أعمى أعترضني وقد عبرت الجسر على بغلي ، فظنني من الجند فرفع عصاه في وجهي ، ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يعطي للجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وترج التجار عليهم فتدّر أموالهم فيجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا علىّ منها ، فنفرت بغلي من صياحه ورفع عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر فضولا منك ، سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ورفع علىّ في الخبر

(١) [قولى له هذا] فضحك المهديّ وقال : خَلَوْه ولا يُضْرَب ولا يُحْبَس ، فقال له :
أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتى وأنصرف بلا جائزة ، قال :
لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينار ، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجدد عنده ذنوبه ، وقال له :
أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسأك أمير المؤمنين ثم عد إلى فقال له :
فأين أقصد؟ قال : أكتب إلى سليمان بن عليّ فيوليك عملاً ويحسن إليك قال :
قد رضيت ، فوفد إلى سليمان بكتاب المهديّ فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود
أبن أبي هند فعزله به .

وأخبره في هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

ذكر شيء من نوادر أبي الشبل

هو عاصم بن وهب بن البراء بن مولى الكوفة ، نشأ وتآدب بالبصرة ، وفد إلى
سامراء أيام المتوكل ومدحه ، وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون ، فنفق عند
المتوكل وخدمه واختص به وأتمدحه بقوله

أقبل فأنخير مُقْبِل * وأتركي قول المَعْلَل

وثقي بالتجع إب * أبصرت وجه المتوكل

ملك يُنصف يا ظا * لمتي فينا ويعدل

فهو الغاية والمأ * مول يرجوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدل على
ظرفه سنذكر منها طرفاً . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق ، وقدر

(١) الزيادة عن الأعاني .

(٢) سامراء : لغة في سمرن رأى وهي مدينة كانت بين بغداد ونكرت .

أَنْ يعطيه ألف درهم، فبعث إليه بصره مخنومة فيها مائة دينار فظن أنها دراهم
فردّها إليه وكتب معها

فليت الذي جادت به كُفّ مالك * ومالك مدسوسان في آست أم مالك
وكان إلى يوم القيامة في آستها * فأيسر مفقود وأيسر هالك

- وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر وقال :
- ما هذا؟ ظلمتنا وأعتديت علينا، فقال : قدّرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم
فقال : أفتحها ففتحها فإذا فيها مائة دينار فقال : أقلني أيها الأمير، فقال : قد أقتك
ولك كل ما تحب أبدا ما بقيت وقصدتني . قال وكان له جار طيب أحق فوات فرناه
فقال

- ١٠ قد بكاه بولُ المريض بدمع * واكف فوق مقلتيه ذروف
ثم شقت جيوهين القواريرُ عليه ونُحِنَ نوحَ اللهيّف
يا كساد الخيار شنبَر والأقْـرَاص طرّاً وبأ كساد السفوف
كنت تمشي مع القوى فإن جا * ء ضعيفٌ لم تكثرث بالضعيف
لطف نفسي على صنوف رقاعا * يَ تَ تولّت منه وعقلٍ سيخيف

- ١٥ وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هُبيرة يشرب النبيذ وكان يغشانا، وكانت له
جارية صفراء مغذية يقال لها : هَلَب، وكانت تغشانا معه وكانت أعبت بها كثيرا فقام
مولاهما يوما إلى الجابية يستقي نبيذا فاذا قيصه قد أنشَق فقلت فيه

قالت له هَلَبُ يوما وجاد لها * بالشعر في باب فعلاّن ومفعول

أما القميصُ فقد أزرى الزمانُ به ^(١) * فليت شعري ما حال السراويل؟



قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضط على صوت العيدان وغيرها
في الإيقاع فقلت فيه

في الحى من لا عدمت خلته * فقى إذا ما قطعته وصلا
له عجوزٌ بالحِيقِ أبصر من * أبصرته ضاربا ومرتجلا
بأدمته مرةً وكنت فقى * ما زلت أهوى وأشتهى الغزلا
حتى إذا ما أمالها سكرٌ * شعث في قلبها لها مثلا
إتكاثٌ يسرة وقد خرقت * أشراجها كى تقوم الرملا
فلم تزل إستها تطارحنى * إسمع الى من يسومنى العيلا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى ، وكان إذا حضر أضحك
الكل بنوادره ، فقال له أبى يوما : حدثنا ببعض نوادرِكَ وطرائفِكَ قال : نعم ، من
طرائفِ أمورى : أن أبى زنى بجارية سندية لبعض جيرانى فحبلت وولدت وكانت
قيمة الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبت ، الصبي والله أبنى ، فساومتُ فيه
فقبل لى : خمسون ديناراً ، فقلت : ويلك ! كنت تخبرنى وهى حبل فاشتريها
بعشرين ديناراً وتربح الفضل بين الثمنين ، وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى
أشتريته من القوم بما أرادوا ، ثم أحبلها ثانياً ، فولدت ابناً آخر ، فبغى يسألنى أن
أبتاعه فقلت : عليك لعنة الله ، أى شئ حملك على أن تُحبل هذه ، هل لا عزلت
عنها ؟ فقال : إنى لا أستحلّ العزل ، ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول : شيخ
كبير يأمرنى بالعزل ويستحلّه ، فقلت له : يابن الزانية تستحلّ الزنا وتُخرج من
العزل ؟ فضحكك منه وقلنا له : وأى شئ أيضاً ، قال : دخلت أنا ومحمود الوزاق الى
جار له يهودى نحّار ، فقلت : أريد نحراً بنت عشر قد أنضجها المهجير ، فأخرج لنا

(١) الحيق : الصراط .

شيئا عجيبا، فأبتعاه منه وشربنا، فقلت : أشرب معنا، فقال : لا أستحل شرب الخمر، فقال لي محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هذا ؟ يهودى يتخزج من شرب الخمر ونشرها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل والله، لا نفلح أبدا ولا يعبا الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا وقنا بالليل ففعلنا بأبنته وأمراته وأخته وسرقنا ثيابه ونحرينا في تيغارات النبد وأنصرفنا .

ذكر شيء من نوادر حمزة بن ببيض الحنفى

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية وهو كوفى خليف ماجن، وكان منقطعا الى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى أبان بن الوليد وبلال بن أبى بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق وحلان وغير ذلك ألف ألف درهم، وله نوادر، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني عنه :
أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثا شديدا فوجه اليه ليلة برسول وقال : خذه على أى حالة وجدته وحلقه وغلظ عليه الإيمان على ذلك، فضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال له : أجب الأمير فقال : ويحك ! إني أكلت طعاما كبيرا وشربت نبيذا حلوا وأخذنى بطني، فقال : والله ما تفارقنى أو أمضى بك اليه ولو سلحت فى ثيابك، فجهد فى الخلاص فلم يقدر عليه ومضى به فوجده قاعدا فى طارمة^(٢) له وجارية جميلة جالسة بين يديه، وكان يتخطاها، تسجر الند^(٣) بفلس حمزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيه قال حمزة : فعرضت لى ربح فقلت : أسرحها وأسترجم لعل ربحها لا يظهر مع هذا الند فاطلقتها

(١) التيغارات : جمع تيغار وهو الخوض .

(٢) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٣) تسجر : تحرق .

- فغلبت والله ريح البخور وغمرته فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : على عهد الله وميثاقه وعلى المشي والهدى إن كنت فعلتها وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة ، فغضب ونجلت الجارية فما قدرت على الكلام ، ثم جاءتني أخرى فسرحتها فسطع والله ريحها ، فقال : ما هذا ؟ ويلك ! أنت والله الآفة ، فقلت : أمرأتى طالق ثلاث إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه إيمين لازمة إن كنت فعلتها وما هو إلا عمل هذه الجارية وقال لها : ما قصتك ؟ ويلك ! قومي إلى الخلاء إن كنت تجددين شيئا فزاد نجلها وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض فقد نغصت على ليلتي فأخذت بيدها وخرجت ، فلقيني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أمضى بهذه الجارية ، فقال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضا لا تنتفع به بعده أبدا ، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يتعظاها ، وسيندم على هبته إياها لك ، فأبيت إلا بخمسمائة دينار ، فقال : ليس غير ما ذكرت لك ، فأخذتها وترك الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلما قربت من داره لقيني الخادم وقال لي : هل لك في مائة أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذا ؟ قال : إذا دخلت فادع الفسوات الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأضح عن الجارية ما قرقتها به ، فأخذتها ودخلت على عبد الملك ، فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحكك ، قال : لك الأمان ، فقلت : رأيت ليلة كذا وكذا وما جرى ؟ قال : نعم قلت : فعلى وعلى إن كان فسا تلك الفسوات غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال : فقلت : أردت بذلك خصالا ، منها : أنى قتت فقصيت حاجتى وقد كان رسولك معنى من ذلك ، ومنها : أنى أخذت جاريتك ، ومنها : أنى كافأتك

على أذاك لي بمثله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها الى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار، فسر بذلك وأمر لي بمائتي دينار أخرى، وقال : هذه لجميل فعلك في وتركتك أخذ الجارية . قال حمزة : ودخلت اليه يوما وكان له غلام لم ير اللاس أتتني إبطا منه ، فقال لي : يا حمزة، سابق غلامي هذا، حتى يفروح صنانكما فأيكما كان صنانه أتتني فله مائة دينار، فطمعت في المائة ويئست منها لما أعلمه من تنن إبط الغلام، فقلت : أفعل، وتعادينا ساعة فسبقني، فسلحت في يدي ثم طليت إبطي بالسلاح وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما، فلما دنا الغلام منه وشمته وثب وقال : هذا والله لا يشاكله شيء، فصحت به : لاتعجل على بالحكم، مكانك ! ثم دنوت منه فألقيت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط دماغه، وأنا ممسك رأسه تحت يدي، فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنف أشبه منه بالإبط، فضحك عبد الملك ثم قال : أحفكت له ؟ قال : نعم فأخذت الدنانير . قال : ودخلت يوما على سليمان بن عبد الملك فلما مثلت بين يديه قلت

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ شَتْنَتْ خَرًّا * عَلَى بِنَفْسَجَا وَقَضَيْتُ دَيْنِي

فَصَدَّقْ بِأَفْدَتِكَ النَّفْسُ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ لَدَيْكَ عَيْنِي

قال سليمان : يا غلام، أدخله خزانة الكسوة وأشتن عليه كل ثوب خز بنفسجي، فخرجت كأني مشجب ثم قال كم دينك ؟ قلت عشرة آلاف فأمر لي بها وما أعلم والله أني رأيت من ذلك شيئا .

(١) شتنت بمعنى نسجت وحكت .

(٢) المشجب : حشبات تصب ليوضع عليها الثياب .

ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عنى الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بنى حنيفة أهل اليمامة وأسر ياسر في سبيل في خلافة المنصور، فلما صار في يد المنصور أعتقه، فهم موالى بنى هاشم. وكان أبو العيناء ضرير البصر يقال: إن جده الأكبر لقي على بن أبي طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب؛ وهو ممن آشتهر بالمجون، وله نوادر وحكايات مستظرفة ومراسلات عجيبة سأورد منها طرفاً، وأسطر طرفاً. فمن ذلك: أن بعض الرؤساء قال له: يا أبا العيناء لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً، فقال بديهة

أردت مذمتي فأجدت مدحي * بحمد الله ذلك لا بمجديك

فلا تك واثقا أبداً بعمدي * فقد يأتي القضاء بغير عمديك

ثم قال: أجل! الناس قد ذهبوا فلورأوني الموتى لطربوا لدخول مثلى عليهم، وحلول عقتى لديهم، ووصول فضلى اليهم؛ فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونى بكم. وقال: وآتصلت أشغال أبى الصقر الوزير فأخر توقيعه عن أبى العيناء برسومه فكتب اليه: رقتى أطال الله بقاء الوزير، رقعة من علم شغلك، فأطرح عدلك، وحقق لمرك، فتبسط عذرك، أما والليل إذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما والصبح إذا تنفس، فالبنان للعبان، ومؤامرات السلطان، فمن أبو العيناء القرنان؟ فوق أبو الصقر تحت سطوره: لكل طعام مكان، ولكل معوز إمكان؛ وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظاً من المقسوم، وكفيتنا أنفسنا عذرك الذى هو تعزير، ولسانك الذى هو تحذير، والسلام. ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبه فقال: طاعة شيك، لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على ذنوبى اليك، وتجننى خلقى عليك، فقال

أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك ، فدعا له وأنصرف شاكرا . قال :
 وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين ، فقال له فقي من أبناء الكتاب
 كانت فيه جرأة : كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبي عليّ البصير ،
 فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين فحواك ، ثم نظرت في شكوك دعواك ،
 وقد طلقت الناس كلهم سواك ؛ ذلك أدنى أن لا نعول ، وفيك ما يروى الفحول ،
 ويتجاوز السول ، قال : ففضحه بهذا الكلام فلم يجبه . قال : وكان في بني الجراح
 فقي خلع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء فنهاه نصحاؤه فأبى ، فقالوا : شأنك ! فقال له :
 يا أبا العيناء متى أسلمت ؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له
 الفقي : إذا قد علمت أنك ما أسلمت ، فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ،
 وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أئمة السطّانين أقوى ؟ وأئمة الشيطانين أغوى ؟
 وسيعلم أهلك ، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فبرأ من ذمته ، ودفعه إليه
 برمته ، فقال له أبو العيناء : قد وهبت جوره لعدلك ، وتصدّقت بحمقه على عقلك .

ومن أخبار أبي العيناء أيضا : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على بردون زعم
 أنه غير فار ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا عليّ محمد أراد أن
 يترى فعقني ، وأن يركبني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ،
 كالقضيبي اليابس عجفاء ، وكالعاشق المجهود دنفا ؛ يساعد أعلاه لأسفله ، حبّاقه^(١)
 مقرّون بسعالة ؛ فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ؛ ولكنه يجمعهما في الطريق
 المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله
 النسوان ، ويتناغم من فعله الصبيان ، فن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن
 قائل يقول : نقّ له من الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء

(١) الحباق : الصراط .

في الأمصار ، فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي ، وإنما أبيت من كاتبه الأعور ، الذي اذا آختر لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا آختر لغيره أخبت وأزهر ، فإن رأى الوزير أن يبدلني ، ويريني بمركوب يضحكني كما يضحك مني ، يحو بحسنه وفراسته ، ما سطره العيب بقبحه ودماسته ،

﴿ ٣٣ ﴾

ولست أرد كرامته ، سرجه وجمامة ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه ، فوجه اليه عبيد الله برذونا من براذينه بسرجه وجمامه ، ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه فقال عبد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه ليشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا تستك ، فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستريدا ، لم أنصرف مستفيدا ، وإنى وإياه لكما قالت امرأة العزيز :

(الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فضحك عبيد الله

وقال : حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة . ودخل أبو العيناء على أبي الصقر وكان قد تأخر عنه فقال : ما أترك عنا ؟ قال : سرق حمارى قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم تأت على غيره ؟ قال : أبعدنى عن الشراء فلة يسارى ، وكهت ذلة المكارى ، ومنه العوارى ، قال :

وصار يوما الى باب صاعد بن مخلد فقبل له : هو مشغول يصلى فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة ، وقال له صاعد يوما : ما الذى أترك عنا ؟

قال بلى ، قال : وكيف ؟ قالت لى : يا أبت قد كنت تغدو من عندنا فتأتى بالخلمة السرية ، والجائزة السنية ، ثم أنت الآن تغدو مسدفا ، وترجع معتما ، فإلى من ؟ قلت : الى أبى العلاء ذى الدرايتين قالت : أعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيشفك ؟

قلت : لا ، قالت : أرفع مجلسك ؟ قلت : لا ، قالت : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ؟ . ولأبى العيناء مع المتوكل أخبار وحكايات ،

٥

١٠

١٥

٢٠

- فنها : أن المتوكل على الله قال له يوما : يا أبا العيناء هل رأيت طالبيًا حسن الوجه قط ؟ قال : يا أمير المؤمنين أرايت أحدا يسأل ضريرا عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريرا فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ! قال المتوكل : تجده كان مؤابرا ويحك قوادا عليه . فقال أبو العيناء : أوفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ؟ أتاني أدع موالئ على كثيرهم وأقود على الغرباء ؟ قال : ٥
- أسكت يا مابون ، قال : مولى القوم منهم ، فقال المتوكل : أردت أن أشتني به منهم فاشتني لهم منى . وقال له رجل من بنى هاشم : بلغني أنك بقاء قال : ولم أنكرت ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ « مولى القوم منهم » قال : إنك دعى فينا قال : بغائى صحح نسبي فيكم ، وسأل أبو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك فى شفاعة لصاحب له ، فكتب الكتاب وناولوه الرجل ، فعاد به الى أبي العيناء وقال : ١٠
- قد أسعف ، قال : فهل قرأته ؟ قال : لا لأنه مختوم ، قال : ويحك ! فضّه لا يكون صحيفة المتلمس ، ففضّه فاذا فيه : موصول كتابي سألني فيه أبو العيناء وقد عرفت سفهو وبذوء لسانه وما أراه لمعرفك أهلا فإن أحسنت اليه فلا تحسبه على يدا وإن لم تحسن اليه لم أعدده عليك ذنبا والسلام ، فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان فنجعل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء هذه ١٥
- علامتى فيمن أعتنى به ، قال : فاذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء : مررت يوما بدرب بسامراء فقال لى غلامى : يا مولاي ، فى الدرب حمل سمين والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلسانى وصرت به الى منزلى ، فلما كان من الغد جاءتى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنا بالأمس حمل فأخبرنى صبيان دربنا أنك ٢٠
- أنت سرقته فأمر برده متفضلا ، قال أبو العيناء فكتبت اليه : أى سبحان الله !

ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنّا يزعمون أنك بغاء وأكذبهم ولا أصدقهم ،
وتصدق أنت صبيان دربكم أنى سرفت الجمل ؟ قال فسكت وما عودنى .
ولأبى العينا أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب
وتركنا ما سواه .

ذكر ما ورد فى كراهة المزح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مزح استُخِفَّ به » .
وقال حكيم : خير المزاح لا يبال ، وشره لا يقال ، سكرات الموت به مُحَدِّقَةٌ ، وعيون
الآجال إليه مُحَدِّقَةٌ . وقال آخر : تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح فإنهما بابان إذا فتحا
لم يغلقا إلا بعد عسر ، وفلان إذا لقحا لم يتجا غرضا . وقالوا : المزاح يضع قدر
الشرىف ، ويذهب هبة الجليل . وقالوا لا تنقل ما يسوءك عاجله ، ويضرّك آجله .
وقالوا : إياك وما يستقبح من الكلام ، فإنه ينقر عك الكرام ، ويحسر عليك اللثام .
وقال عمر بن عبد العزيز : أنقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة . وقال حكيم لابنه :
يا بنى إياك والمزاح فإنه يذهب ببهاء الوجه ويحط من المروءة . قال شاعر

(٣٤)

إكره لنفسك ما لغيرك تكره * وأفعل لنفسك فعل من يتنزه
وأرفع بصمتك عنك سبّات الورى * خوف الجواب فإنه بك أشبه
ودع الفكاهة بالمزاح فإنها . تودى وتسقط من بها يتفكّه

وقيل

ألا رب قول قد جرى من ممّازح * فساق إليه الموت فى طرف الجبل
فإن مزاح المرء فى غير حينه . دليل على فرط الحماقة والجهل

وقيل

فإياك إياك المزاح فإنه * يُجَرَّى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورثُ بعد العز صاحبه ذُلا

وقال بعض البلغاء : المزاح حرف ، والاقتصاد فيه ظرف ، والإفراط فيه ندامة .

- وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفافٍ به أو حقدٍ عليه ؛ ويقال : أكثر
أسباب القطيعة المزاح ، وإن كان لا غنى للنفس عند الجمام ، فيلكن بمقدار الملح
في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله

أفد طبعك المكدودَ بالهم راحة * تراح وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يُعطى الطعام من الملح

١٠

وقيل

إِمرح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحا تضاف به الى سوء الأدب
لا تُغضِبن أخا إذا ما زحته * إن المزاح على مقدمة الغضب

وقيل

مازح صديقك ما أحبّ مزاحا * وتوق منه في المزاح جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة * كانت لبدء عداوة مفتاحا

١٥

وقال سعيد بن العاص لولده : يا بني أقصد في مزحك فإن الإفراط فيه يذهب
البهاء ، ويمجرئ السفهاء . ويقال : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح . قال أبو العاتية

وترى الفتى يلقى أخاه وخذنه * في بعض منطيقه بما لا يُفقر
ويقول : كنتُ ملاعبا وممازحا * هيات ! نارك في الحشا لتسعر

٢٠

ألفتها وطفقت نصحك لاهيا * وفؤاده مما به يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب * أن المزاح هو السباب الأكبر

فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه الشئون، فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزاحين .

ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رفقت معانيه، في حلل أنفاسها، على صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه، بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها، من بديع يناسبها، يضحك سامعه وإن كان ثكلاً، ويستوفيه وإن كان تجللاً، هذا مع ما فيه من غش القول الذي إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود اللالي، وإن لمحتته في غيره كان أقفر من ظلم الليالي، نسأل الله المسامحة لكتابه وقائمه، ومستمعه وناقله، فمن ذلك ما كتب به آبن حجاج لمن شرب دواء

يا أبا أحمد بنفسي أفديك * وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان أنخطأ جعسك في طاء * عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى سبال مبعرك الند * ل غريقا في المزة الصفراء
وقال الحسن بن هاني

للظمة يلطمني أمرؤ * تأخذ مني العين والفككا
أطيب من تقاحة من يدي * ذى حية محشوة مسكا
وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجاج

قومي تتحى فلسيت من شاني * قومي آذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهرٌ عليك حصنني * ولا زمانٌ اليك أبلحاني
قعدت تفسين فوق طنفتي * ما بين راحي وبين ريجاني
فما عدنا من الكنيف وقد * حضرت إلابنات وردان^(١)

(١) بنات وردان : دوات حمراء اللون وأكثر ما تكون في الحمامات وفي الكنف .

وقال أبو بكر محمد الخوارزمي

فسا الشيخ سهرًا وفي كفه * شرابٌ فلمناه لوما قبيحا
فقال : لي الدخُلُ والخرجُ لي * فأدخلتُ راحا وأخرجتُ ريحًا
وقال ابن سكرة

وبات في السطح معي صاحبٌ * من أكرم الناس ذوى الفضل
أفسو فيفسو فهو لي مسعدٌ * وإنما أُملي وَيَسْتَملي

الباب الرابع

من القسم الثالث من الفن الثاني

في الخمر وتحريمها وآفاتُها وجنباياتُها وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية،
ومن حدّ فيها من الأشراف ومن أشتهر بها، ولبس ثوب الخلاعة بسببها، وما قيل
فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلائها وآيبتها، وما قيل في مبادرة اللذات،
وما وُصِفَتْ به المجالس وما يجري هذا المجرى .

ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها

أجمع الناس على أن الخمر المحرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ هي المتّخذة من عصير
العنب بعد أن يغلى ويقذف الزّبد من غير أن يمسّها نارٌ وإذا أنقلبت بنفسها وتخلّلت
طهرت من غير أن يتسبّب في ذلك بشيء يُلقَى فيها، وطهارتها: إذا غلبت عليها
المخوضة وفارقتها النشوة، والخمر المتّخذة أيضا من التمر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم

فما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : « الخمر من هاتين الشجرتين
 النخلة والعنب » وفي حديث آخر « من هاتين الشجرتين الكرم والنخلة » وعن عبد الله
 ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : « أما بعد ، أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة ، من التمر
 والعنب والعسل والحنطة والشعير » ؛ والخمر ما خامر العقل ولا خلاف بين أحد من
 الأئمة في أن الخمر حرام لما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ؛ أما ما ورد في كتاب الله
 عز وجل فأربع آيات ، منها ما يقتضى الإباحة ، ومنها ما يقتضى الكراهة والتحريم ،
 فأول ما نزل فيها بمكة قوله عز وجل : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ
 سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهى حلال لهم ، ثم أنزل الله
 عز وجل بالمدينة : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفي
 من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أفتنا في الخمر
 والميسر فإنهما مذهب للعقل مسلبة لال ، فانزل الله تعالى هذه الآية ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إن ربكم تقدم في تحريم الخمر » فتركها قوم للإثم الكبير
 وقالوا : لا حاجة لنا في شربها ولا فى شئ فيه إثم كبير ، وشربها قوم لقوله تعالى :
 (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنبون مآثمها الى أن صنع عبد الرحمن
 ابن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم بخمر
 فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا بعضهم ليصلى بهم ، فقرا (قُلْ
 يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ) الى آخر السورة بحذف " لَا " فانزل الله عز
 وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)
 فحرم السكر في أوقات الصلاة ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عز

وجلّ تقارب في النهى عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحزّمها، فلما نزلت هذه الآية تركها قومٌ، وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة ، وقال قوم نشرها ونجّس في بيوتنا، فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة الى أن شربها رجلٌ من المسلمين، فجعل ينوح على قتلى بدرٍ ويقول

- ٥ تُحْيِيّ بِالسَّلامَةِ أَمْ بِكَرٍ * وهل لي بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبغ بكرةً فإني * رأيت الموت كفت عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدّوه * بألف من رجالٍ أوسوام

في أبيات أخر، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فرّعا يمتز رداءه حتى انتهى اليه، ورفع شيئاً كان في يده ليضربه، فلما عينه الرجل قال : أعوذ بالله

- ١٠ من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبداً، ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ)؛ ورؤي أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب، وكان نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة والله تعالى سبحانه أعلم وحسبي الله .

- ١٥ وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب مارواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أصبت شارفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفاً أخرى من الخمس، قال علي : فلما أردت أن أبتي بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً صوّاعاً من بني قينقاع يرتحل معي فأتاني بإذنٍ أردت أن أبيعه من الصّواعين

٢٠ (١) الشارف : المسة المهرمة من الوق .
(٢) قيفاع : نعت القاف وتثليث اللون : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .
(٣) الإدخر : الحشيش الأخضر وله نور طيب الرائحة .

فأستعين به على وليمة عرسى، فبينما أنا اجمع لشارفى متاعا من الأقطاب والغرائر والجلال، وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما جمعت، فاذا شارفاى قد آجبتت أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك نفسى حين رأيت ذلك المنظر منهما، قلت : مَنْ فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبدالمطلب وهو فى هذا البيت فى شرب من الأنصار غتته فينة وأصحابه

فقاتل فى غنائها

* ألا يا حمز للشرف النواء *

لم يذكّر مسلم فى صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه؛ والأبيات التى غنت بها

ألا يا حمز للشرف^(١) النواء * وهن معقّلات بالفناء

ضع السكين فى اللبّات منها : فضرجهنّ حمزة بالدماء

وعجّل من شرائحها كبابا * ملهوجة^(٢) على وجم الصلاء

وأصلح من أطايبها طيخا : لشربك من قديد أو شواء

فانت أبا عمارة المربّجى * لكشف الضر عنها والبلاء

فقام حمزة بالسيف فاجتبّ أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما،

فقال على : فأطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن

حارثة ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى الذى لقيت ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قلت : يا رسول الله ، ما رأيت كالיום

قط ، عدا حمزة على ناقى فاجتبّ أسنمتها وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه

شرب ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ثم أنطلق يمشى وآتبعته أنا

(١) الشرف جمع شارف وهى الباقة المسمة كما تقدم .

(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

- وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذى فيه حمزة فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شرب ، فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل وإذا حمزة تجرّ عيناه ، فنظر حمزة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر الى ركبته ثم صعد النظر الى سترته ثم صعد النظر ، فنظر الى وجهه ، فقال حمزة : وهل أتم إلا عبيد لأبى ؟ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تمّل ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه .
- القهقري وخرج وخرجنا معه ؛ وفى حديث آخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلّى : إن عمك قد تمّل وهما لك على ، فغرمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّى ، فلما أصبح حمزة ، غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر ، فقال : مه ياعم ، فقد سألت الله فعفا عنك ؛ قالوا : وأتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين فمهم سعد بن أبى وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم أفتخروا عند ذلك وأنسبوا وتناشدوا الأشعار وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار وخبر لقومه ، فقام رجل من الأنصار فأخذ لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجّه شجّةً موحجةً ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الأنصار فقال عمر رضى الله عنه : اللهم يئنّ لما رأيك فى الخمر بيانا شافيا ، فأنزل الله عزّ وجلّ تحريم الخمر فى سورة المائدة (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ) الآية الى (مُنْهَوْنَ) فقال عمر : أنتهينا ياربّ ، وقيل : إنها حرّمت بعد غزوة الأحزاب بأيام فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة والله أعلم ؛ قال أنس رضى الله عنه : حرّمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرّم عليهم شئ أشدّ من الخمر ، قال : فأخرجنا الجباب الى الطريق فصبنا ما فيها ، فمنا من كسر حُجّه ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كما مطرت ، استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها ؛ وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنت ساقى القوم

يوم حُرِّمَت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شربهم إلا الفضيخ البسر والتمر، فاذا منادٍ ينادى فقال: أخرج فأظنر، فاذا منادٍ ينادى: ألا إن الخمر قد حُرِّمَت، قال: بَحَرَّتْ في سكك المدينة فقال لى أبو طلحة: أخرج فأهرقها فهرقها، فقاموا أو قال بعضهم: قَتِلَ فلان! قَتِلَ فلان! وهى فى بطونهم، فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).



وأما ما ورد فى تحريمها فى كتاب الله وبينته السنة

فالأحاديث متضافرة فى تحريمها فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من مات وهو مدمنٌ خمر لقي الله وهو كهايد وثن» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة مدمنٌ خمر» وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيرد عليه ذلك ما صحَّح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها وقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنها ليست بدواء ولكنه داء» وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قدم من جيشان — وجيشان من اليمن — فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المزَّر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أو مسكر هو؟» قال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال» فقالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَقُ أهل النار» وعن أبي عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مسكرٍ خمرٌ وكل مسكرٍ حرامٌ ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يُدْمِنُها لم يتب لم يشربها فى الآخرة» وفى لفظ «حُرِّمَها فى الآخرة»

(١) الفضيخ: نبيذ يعمل من البسر والتمر.

فلم يُسَقِّهَا» وفي لفظ «إلا أن يتوب» ؛ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حُرِّمَتِ الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كلِّ شرابٍ ، وعنه رضي الله عنه : من سرّه أن يُحرِّم ما حرّم الله ورسولُه فليحزم النبيذ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن» أخرجه البخاري في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ



والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طُبِّخَ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، سُمِّيَ بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده ، وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كلُّ عَصِيرٍ طُبِّخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يكره ، وإن طُبِّخَ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرام ؛ وحجته في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى بعض عماله : أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ؛ وعن عبد الله بن يزيد الحمطيّ قال : كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما بعد ، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له آتين ولكم واحد ؛ وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه : أن نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم ، فقال : هذا لي ، وقال : هذا لي ، فأصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثها ؛ وسئل سعيد بن المسيّب : ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله عنه ؟ فقال : الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ؛ وحكى أن أبا موسى الأشعريّ وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ؛ وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار

في مثلث لم يسكر البتة، ودليل ذلك ما حكى عن عبد الله بن عبد الملك بن الطفيل الخزرجي قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز: أن لا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكل مسكر حرام ؛ هذا الذى عليه أكثر العلماء، وقال قوم : اذا طَبَخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن عديّة وبشر المريسي وجماعة من أهل العراق، وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذى رُخِّص فيه إنما هو ^(١) الرُّبُّ ^(٢) والدُّبُّ والله عز وجل أعلم .

ذكر آفات الخمر وجنباياتها

وآفات الخمر وجنباياتها كثيرة لأنها أم الكبائر، وأول آفاتنا أنها تُدْهِبُ العقلَ، وأفضل ما فى الإنسان عقله، وتحسّن القبيح وتقبّح الحسن، قال أبو نواس الحسن ابن هانئ عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف

إِسْقَى حَتَّى تَرَانِ * حَسًّا عِنْدَى الصَّبِيحُ

• وقال أيضا

إِسْقَى صِرْفًا حَيًّا * تَرَكَ الشَّيْخَ صَبِيًّا

وَتَرِيهِ الْغَى رُشْدًا * وَتَرِيهِ الرُّشْدَ غَيًّا

• وقال أبو الطيّب

رَأَيْتُ الْمَدَامَةَ غَلَابَةً * تَهَيَّجُ لِلْمَرْءِ أَشْوَاقَهُ

تَسِيءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيَةً * وَلَكِنْ تَحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ

وَأَنْفَسَ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ * وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ

وَقَدْ مِتَّ أَمْسٍ بِهَا مَيِّتَةً * وَمَا يَشْتَهَى الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ

٢٠ (١) الرُّبُّ : ما يطبخ من التمر، أو سلافة خازنة كلّ ثمرة بعد اعتصارها . (٢) الدُّبُّ : عمل التمر.

قالوا : وإنما قيل لمُشارب الرجل : نديمٌ ، من الندامة لأنَّ معاقرة الرجل الكأس إذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه ، فقيل لمن شاربه : نادمه ، لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له ، كما يقال : جالسه فهو جليس له ، والمعاقر : المدمن ، كأنه لزم عقر الشيء أى فناهه ، وقد شرب أصحابُ الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ ، وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغنيت عنه حتى تفقر ، وما عوفيت حتى تتكب ، ٥ وما غلت دنائك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ؛ قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه

أرى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لأصحاب النبيذ حريمٌ
إذا جثتهم حيوك ألفاً ورحبوا * وإن غبت عنهم ساعة فذمٌ
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم * وكلهم رث الوصال سئومٌ
فهذا بياني لم أقل بجهالة * ولكنى بالفاسقين علمٌ

قيل : سقى قومٌ أعرابيةً مسكراً فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا : نعم ، قالت : فما يدري أحدكم من أبوه؟ وقال قصي بن كلاب لبنيه : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : معاذ الله! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم؟ وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك؟ قال : إني رأيتُ تُذهب العقل جملةً وما رأيت شيئاً يذهب جملةً ويعود جملةً . وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح : هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المندامة ، فقال : أصلح الله الأمير! ١٥ الشَّعْرُ مَفْظَلٌ واللون مُرَمَدٌ ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلي ولساني فإن رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل ، ودخل نصيبٌ هذا على عبد الملك

أبن مروان فأنشده فاستحسن عبدُ الملك شِعْرَهُ فوصله ثم دعا بالطعام فطعم معه ، فقال له عبد الملك : هل لك تتادم عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين تأتملني ، قال : قد أراك ، قال : يا أمير المؤمنين ! جلدي أسود وخلق مشوه ووجهي قبيح ولست في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومواكلتك عقلي وأنا أكره أن أدخل عليه ما يتقصه ، فأعجبه كلامه وأعفاه . وقال الحسن : لو كان العقل عَرْضاً لتغالى الناس في ثمنه ، فالعجب لمن يشتري بماله شيئاً ليشربه فيذهب عقله ! . وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفدها عليه وقد أكل : هل لك في الشراب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! ليس بحرام ما أحللت ولكن أ منع أهل عملي وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ) . وقالوا : للنيذ حدان : حد لا همَّ معه ، وحد لا عقل معه ، فعليك بالأول وأتق الثاني . ومن آفات الخمر أفتضاح شاربها بريحها عند من يحتشم منه ويتقيه ويخافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكار شربها ، والولاة تحد بالاستنكاك لأن تجارتها يثبت في الفم اليوم واليومين بعد تركها فن شربها ساعة وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليه أحتاج الى الاقتطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة وقد تحيّل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها ، فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المتز والبسباسة والسعد^(١) والجناح والقرنفل أجزاء متساوية وجرآن من الصمغ ويدق ذلك ويحبب بماء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم كما زعموا ، وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة أبيات فقال

(١) البسباسة : شجرة معروفة .

(٢) السعد : طيب له منافع عجيبة .

مُرٌّ وَبَسَاسَةٌ وَسُعْدٌ * الى جناح وماءٍ وَرَدٍ
 ينظمها الصمغُ إن تلاه * قَرْنُفُلُ الهندِ نَظْمَ عِقْدٍ
 أَجْرَاوْهَا كُلُّهَا سَوَاءٌ * والصمغُ جزءان، لا تَعْدَى
 فيه لَذَى مِرَّةٍ شِفَاءٌ * وصَوْنٌ عِرْضٌ وَحَفْظٌ وَدٌّ

ذكر أسماء الخمر من حيث تُعَصَّر الى ان تُشْرَب

٥

الخمر اذا عُصِرَ فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل : السَّلَافُ، وأصله من
 السَّلَف وهو المتقدم من كل شيء، وهو في مثل ذلك الخُرطوم أيضا، ويقال للذي
 يعصر بالاقدام : العصير، والموضع الذي يُعَصَّر فيه : المَعصرة، والنَّظْل ما عُصِرَ
 فيه السلاف، ويقال للعاصر: الناظِل، ثم يُتْرَكُ العصيرُ حتى يغلي فاذا غلا فهو نحر،
 وقيل : سميت نحرًا، لأنها تخامر العقول فتخالطها، وقالوا : لأنها تَنْجَرُ في الإناء،

١٠

أى تَغْطَى وهي مؤنثة، ويقال لها: القهوة، لأنها تَقْهِي عن الطعام والشراب، يقال:
 أَقْهَى عن الطعام وأقْهَم عنه اذا لم يشتهه، ومن أسمائها : الشَّمول، سميت بذلك
 لأن لها عَصْفَةً كعَصْفَةِ الشَّمال، وقيل : لأنها تشمل القومَ بريحها، ومنها : السَّلَافُ
 والسَّلَافَة والخُرطوم وقد تقدّم معناها، ومنها : القَرَقَف لأن شاربها يقرقف اذا

١٥

شربها، أى يَرعد، يقال : قَرَقَفَ وَقَفَقَفَ، وقال أبو عمرو : القرقف اسم للخمر غير
 صفة وأنكر قولهم سميت بها لأنها ترعد، ومنها : الراح : لأنها تكسب صاحبها الأريحية
 أى خفة العطاء، ومنها : العقار لأنها عاقرت الدن، وقيل : لأنها تعقر شاربها
 من قول العرب : كَلَأُ بَنَى فُلانٌ عَقَارًا، أى يعقر الماشية، ومن أسمائها : المدامة
 والمدام : لأنها داومت الظرف الذي آنتبذت فيه، والريحق : ومعناه الخالص من
 الغش، وقيل الصافي، وقيل العتيق، والكيت : سميت بذلك للونها اذا كانت

٢٠

تضرب الى السواد، والجريال : وهو صَبْغٌ أحمرٌ سُميت بذلك للونها أيضا، والسبيثة
والسَّباء وهي المشتراة وأصلها مسبوءة يقال : سبأت النخرا إذا اشتريتها، والمشعشة :
وهي المزوجة، والصهباء : وهي التي عُصِرَت من العنب الأبيض، والشَّموسُ :
شبهت بالدابة التي تبحر براكبها، والخنديس : وهي القديمة، والحانية : منسوبة
الى الحانة، والماذية : اللينة يقال : غسل ماذى إذا كان لينا، والعانية : منسوبة
الى عانة، والسَّخامية : اللينة من قولهم : قطن سُخَامٌ أى لين وثوبٌ سُخَامٌ، قال الراجز
كأنه بالصحصان الأنجل^(١) * قطنٌ سُخَامِيٌّ بأيدي غُرْلٍ

والمزَّةُ والمزَّاءُ لطمعها، والإسْفَنُطُ قال الأصمعيّ : هو بالرومية، والغربُ : ومعناه
الحذ، وغرِبُ كلِّ شيءٍ حذّه، ولعلها سُميت بذلك لحذتها، والحميّا وحميّا كلِّ شيءٍ
سَوْرته وحدته، والمُصْطَارُ : الخلة ويقال : المُصْطَارُ بالضاد أيضا، والخَطَّةُ :
المتغيرة الطعم، والمتعّقة : التي قد طال مُكثها، والإثم : اسم لها لعله وقع عليها لما
في شربها من الإثم، والحمقُ كذلك، قال الشاعر

شربتُ الإثمَ حتى ضلُّ عَقْلِي * كذلك الإثمُ يفعل بالعقولِ

والمُعَرَّقُ المزوج قليلا، يقال : عَرَّقَ من ماءٍ أى ليس بكثير، ومن أسمائها :
القِنْدِيدُ والقَيْهَجُ وأُمُّ زَنْبِقٍ والمَقْطَبُ والطَّوسُ والسُّلْسَالُ والسُّلْسَلُ والزَّرْجُونُ
والكُفَاءُ والجرباءُ والعانسةُ والطَّابَةُ والنَّجُودُ والكأسُ والطلاءُ، قال عبيد بن الأبرص

هي النخمر صرفا تَكْنَى الطلاءُ * كالذئب يُسَمَّى أبا جعدة^(٢)

والباذقُ والبَخْنَجُ فارسيان، والجَهْوَرِيّ، والمَقْدِيّ : منسوبة الى قرية من قرى
الشام، والمزء من قولك : هذا أَمْرِي من هذا أى أفضل، والنبيذ والبَيْعُ، نبيذ العسل،
والسُّكَّرَكَةُ من الذرة، والجمعة من الشعير، والفَضِيخ من البسر، والمزَر من الحبوب .

(١) الصحصان : ما استوى من الأرض . (٢) الأنجل : الواسع .

(٣) وجاء في اللسان : وقالوا هي النخمر تَكْنَى الطلاءُ * كما الذئب الخ .

ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترفعاً عنها

كان من تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جُدعان التيمي وكان سيّدا جوادا من سادات قريش ، وسبب تركه لها أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فأصبحت عين أمية مخضرة نخاف عليها الذهاب ، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة ، قال : وبلغ مني الشراب ما أبلغ معه من جليسي هذا المبلغ ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال : الخمر على حرام ، لا أذوقها أبدا ، وقال فيها

شربت الخمر حتى قال صحبي : * أَلَسْتُ عَنِ السَّقَاةِ بِمُسْتَفِيْقٍ ؟

وحى ما أوسّد في مبييت * أنام به سوى التُّرْبِ السَّحِيْقِ

ومن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المقرئ ، والسبب في ذلك أنه سكر فغمز عكنة أخته أو أخته فهربت منه ، فلما صحا أخبروه فخرم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك

وجدتُ الخمرَ جاحمةً وفيها * خصالٌ تفضح الرجلَ الكريما

فلا واللهِ أشربُها حياقي * ولا أدعو لها أبدا نديما

ولا أعطى لها ثمنا حياقي * ولا أشفى بها أبدا سقيا

فإن الخمرَ تفضح شاريها * وتجشمهم بها أمرا عظيما

إذا دارت حياها تعلّت * طوالع تسفه الرجلَ الحليما

ومنهم : عامر بن الظرب العدواني ، قال

سألتُ للفتى ما ليس في يده * ذهابُهُ بقول القوم والمالِ

أقسمتُ بالله أسقيها وأشربها * حتى يفرّق تربُ القبرِ أوصالي

ومنهم : صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكَّاسِي وعُفَيْف بن معد يكرب الكندي والأُسْلُوم بن ناعى من همدان ومِقْلَس بن عدى السهمي وكان سكر فجعْل يخطب ببوله : أنعامه أو بعير؟ فلما أفاق وأخبر بذلك حرّمها . ومنهم : العباس بن مرداس السلمي قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد في جرأتك وسماحتك؟ فقال : أكره أن أصبح سيّد قومي وأمسى سفههم . ومنهم : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة ، وقال زيد بن ظبيان

بئس الشراب شراب حين تشربه * يوهى العظام وطورا يوهى العصب^(١)
إني أخاف ملكي أن يعذبني * وفي العشيرة أن يُزرى على حسي
وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى
وقليله للناس .

ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شرّبها منهم ومن أشتهر بها
ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن أفتخر بشرّبها
فأما من حدّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط وهو أخو عثمان
ابن عفّان لأُمّه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صلّى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو
سكّان ثم ألّفت اليهم فقال : وإن شئتم زدّكم ، فجلده عبيد الله بن جعفر بين يدي
عثمان رضى الله عنه ، وسنذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجلّتها في الباب الثاني من
القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضى الله عنه . ومنهم :
عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحدّه بها عمرو بن العاص سرّاً ، فلما قدم على
أبيه جلده حدّاً آخر علانية . ومنهم : عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي

(١) كذا بالأصل ولعل صوابه "وطورا موهن العصب" .

تَحْمَةً ، حَذَّه أَبُوهُ فِي الشَّرَابِ فَمَاتَ تَحْتَ حَذِّهِ . وَمِنْهُمْ : عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
حَذَّه بَعْضُ وَلَاةِ الْمَدِينَةِ . وَمِنْهُمْ : قَدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ ، حَذَّه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
الله عَنْهُ بِشَهَادَةِ عَلْقَمَةَ الْخَصِيِّ وَغَيْرِهِ . وَمِنْهُمْ : عَبْدِ اللهِ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْرِ ، حَذَّه
هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزْرَجِيِّ . وَمِنْهُمْ : عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، حَذَّه عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ
الْأَشْدَقِ . وَمِنْهُمْ : أَبُو عَجْجَنٍ الثَّقَفِيُّ وَأَسْمَةُ عُمَرُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَكَانَ مَغْرَمًا بِالشَّرَابِ ،
حَذَّه عُمَرُ مَرَارًا فِي الْخَمْرِ ، وَحَذَّه سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَرَارًا وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَأَبْلَى
بِلَاءَ حَسَنًا ، ثُمَّ حَلَفَ بَعْدَ الْقَادِسِيَّةِ أَنْ لَا يَذُوقَ الْخَمْرَ أَبَدًا وَمَاتَ تَائِبًا عَنْهَا ، وَأَنْشَدَ
رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمٍ بَنِ قَتَيْبَةَ قَوْلَهُ

إِذَا مِتُّ فَادْفَنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ * تَرَوُّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عِرْقُهَا

وَلَا تَدْفِنْنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي * أَحَافٌ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أُذَوِّقُهَا

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى قَبْرَهُ بِأَرْمِيَّةَ بَيْنَ شَجَرَاتِ كَرَمٍ يُخْرَجُ إِلَيْهِ الْفَتَيَانِ
وَيُشْرِبُونَ عِنْدَهُ وَيَتَنَاشَدُونَ شِعْرَهُ فَإِذَا جَاءَتْ كَأْسُهُ صَبَّوْهَا عَلَى قَبْرِهِ . وَمِنْهُمْ : إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ هَرَمَةَ وَكَانَ مَغْرَمًا بِالشَّرَابِ ، حَذَّه جَمَاعَةٌ مِنْ عُمَّالِ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
رَحَلَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، وَقِيلَ : إِنَّمَا رَحَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا

لَهُ لِحَظَاتٌ فِي حِفَافِي سَرِيرِهِ * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

لَهُ تَرْبَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * إِذَا أَسْوَدَّ مِنْ لُؤْمِ التَّرَابِ الْقَبَائِلُ

فَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ وَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ، فَقَالَ : تَأْمُرُنِي بِكُتَابٍ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ
أَنْ لَا يَحْدِثَنِي عَلَى شُرَابٍ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! لَوْ سَأَلْتَنِي عَزَلَ عَامِلِ الْمَدِينَةِ وَتَوَلَّيْتُكَ
مَكَانَهُ لَفَعَلْتُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَلَوْ عَزَلْتَهُ وَوَلَّيْتَنِي مَكَانَهُ أَمَا كُنْتَ تَعَزِّلُنِي
أَيْضًا وَتَوَلَّى غَيْرِي ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَكُنْتُ أَرْجِعُ إِلَى سِيرَتِي الْأُولَى فَأَحْدُثُ ، فَقَالَ

المهدى لوزرائه : ما تقولون فى حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ! إنه سأل ما لا سبيل اليه ، إسقاط حدٍّ من حدود الله عزَّ وجلَّ ، فقال المهدى : له حيلة اذا أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا الى عامل المدينة : مَنْ أتاكَ بابل هرمة سكرانا فاضربه مائة سوط وأجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان اذا شرب ومشى فى أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بئمانين ؟



وأما من شربها منهم وأشهر بها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء ، منهم يزيد بن معاوية شهر بشربها ، وكان يقال له : يزيد الخجور ، روى هشام بن الكلبي عن أبيه قال : وجَّه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدري ، وعند يزيد أمراؤه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسكرو وأنشأ يقول

إذا ارتفعت على الأنماط في غُرِف * بذي مُرَّانٍ عندي أم كلثوم
فما أبالي الذي لاقت جيوشهم * بالغدْقَدُونَةِ^(١) من حُمى ومن موم^(٢)

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت ها هنا ؟ الحق بهم ، وسيِّره الى قتال الروم . ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يسمَّى : حمامة المسجد ، لأجهاده فى العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافةُ اليه شرب ، فقال له سعيد بن المسيَّب بلغني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إى والله والدماء . ومنهم يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حَبَابَةِ وَسَلَّامَةِ^(٣) ، وأخباره مشهورة . ومنهم أبنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلَّ مذهب حتى خُلِعَ وقُتِل ؛ وله فى ذلك حكايات وأشعار ، منها : أنه سمع بُسْرَاعَةَ بن الزندبود الكوفي وكان من

(١) الغدْقَدُونَةُ : أسم بلد . (٢) الموم : البرسام وأشد الجُدري .

(٣) حَبَابَةِ وَسَلَّامَةِ : قيتان مشهورتان .

- أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب فاستدعاه بالكوفة الى دمشق
 فحمل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرعة ، ما أرسلت اليك لأسألك عن كتاب الله
 ولا سنة نبيه ، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا ، قال : وإنما أرسلت اليك
 لأسألك عن القهوة ، قال : أنا دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم وطبيبها الماهر ، قال :
 فأخبرني عن الشراب ، قال : سل عما بدا لك ، قال : ما تقول في الماء ؟ قال :
 لا بد منه ، والحمار شريكى فيه ، قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته إلا أستحييت من
 طول ما أضعنتى أمي به ، قال : فالسويق ؟ قال : شراب الحزين والمستعجل
 والمريض ، قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع الأمتلاء سريع الانقشاش ، قال :
 فنبذ الزبيب ؟ قال : حاموا به عن الشراب ، قال : فالخمر ؟ قال : تلك والله صديقة
 روحى ، قال : وأنت والله صديق روحى ، قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب
 فيه على وجه السماء ، ومن شعر الوليد

خذوا ملككم لأبّث الله ملككم * ثباتا يساوى ما حييت عقلا
 دعوا لى سلمى والنبذ وقينة * وكأسا ، ألا حسبي بذلك مالا
 أبلملك أرجو أن أخلد فيكم ؟ * ألا ربّ ملك قد أزيل فزالا



- ومنهم المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار ، منها : أنه شرب هو
 ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فتعامل المأمون وأبن طاهر على سكر
 يحيى ، فأشار الى الساقى فأسكره ، وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين ، فأمر
 المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والرياحين وصبروه فيه ، وعمل بتي شعر ودعا قينة
 بفلسست عند رأس يحيى وغنت بالشعر

- دعوته وهو حى لا حياة به * مكفنا في ثياب من رياحين
 فقلت : قم ، قال : رجلى لا تطاوعنى * فقلت : خذ ، قال : كفى لاتوانينى

فانتبه يحيى لرنة العود وصوت الجارية فقال

ياسيدى وأمير الناس طلهم * قد جار فى حكمة من كان يسقىنى
إنى غفلت عن الساقى فصيرنى * كما ترانى سليب العقل والدين
فانظر لنفسك قاض إننى رجل * الراح يقتلنى والروح يُحيينى

ومنهم العباس بن على بن عبد الله بن العباس وهو عم المنصور، كان يأخذ الكأس بيده ويقول : أما العقل فتُتلفين ، وأما المروءة فتمحقين ، وأما الدين فتُفسدين ، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النفس فتسحين ، وأما القلب فتُشجعين ، وأما الهَم فتطردين ، أفترارك منى تفلتين ؟ ثم يشربها . ومنهم بلال بن أبى بردة فُضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرى

وأما بلالٌ فذاك الذى * يميل الشرابُ به حيثُ مالا
يبيت يمْصُ عتيقَ الشراب * كصّ الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطربا ناعسا * تخال من السكر فيه آحوالا
ويمشى ضعيفا كمشى التزيف * تخالُ به حين يمشى شكالا^(١)

ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى قاضى الكوفة وفُضح بمنادمة سعد بن هبار

وفيه يقول حارثة بن بدر

نهاره فى قضايا غير عادلة * وليله فى هوى سعد بن هبار

ومنهم آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول

هاك فاشرب يا خليلي * فى مدى الليل الطويل
قهوة فى ظل كرم * سُيبت من نهر نيل
فى لسان المرء منها * مثل لدغ الزنجيل

(١) التزيف : الذى ذهب عقله .

إِنَّمَا أَذْهَبَ مَا لِي * طَوَّلُ إِدْمَانِ الشَّمُولِ^(١)
 وَحَنِينُ الْعُودِ تَنْثِيهِ * يَدَا ظَبْيٍ كَيْلِ
 فَالطَّوِيلُ الْعُنُقِ الْأَهْيُفُ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ
 يَا خَلِيلَ أَسْقِيَانِي * وَاهْتَفَا بِالشَّمْسِ زَوَلِي
 قُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِيهَا * مَنْ نَصِيحُ أَوْ عَذُولِ
 يَبْقَى بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَا * رَ عَلَى نَعْبِ الطَّلُولِ

- وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بنيك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لي، فقالوا : أما فلان إذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه، فقال : سوف يدع هذا شربها، قالوا : وأما فلان فإذا شربها تقياً في ثيابه، قال : وهذا سوف يدعها، قالوا : وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون لا ينال أحداً بسوء، قال : هذا لا يدعها أبداً .
 ١٠ ومنهم حارثة بن زيد العدواني - رجل من تميم - دخل يوماً على زياد بن أبيه وبوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال : أصلى الله الأمير، ركبت فرسي الأشقر فجمح بي حتى صدمني الحائط، فقال : أما أنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصيبك مكروه^(٢) . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف بن قيس، وكان الأحنف ينهأ عنها وهو لا ينتهي ويحييه بشعر في مدحها وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسن في حال صباه وحدثته . ومنهم والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربي أبا نواس وأدبه وعلمه الفتوة وقول الشعر، حكى أن المنصور قال له يوماً : ادخل إلى محمد - يعني المهدي - وحديثه، فدخل عليه، فأول ما أنشده قوله

(١) الشمول : من أسماء الخمر .

(٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو : لا تكن ناسيا * وسقني لا تحبسُن كاسيا
وأردد على الهيثم مثل الذي * هجت به ويحك وسواسيا
وقل لساقينا على خلوة : * أذن كذا رأسك من راسيا

٤٩

فبلغ ذلك المنصور، فقال : لاتعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده .
ومنهـم أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبت بن ربيع البربوعي
حجّ به نصر بن سيار، فلما ورد الحرم قال له نصر: إنك بفناء بيت الله الحرام ومحلّ حرمة
فدع الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويكي ويقول
رضيـعُ مدام فارق الراح رُوعه * فظلّ عليها مستهلّ المدايع
أديرا على الكأس إني فقدتها * كما فقد المفظومُ درّ المراضع

١٠ ومرة به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا، فقال له : أفسدت شرفك، فقال: لو لم أفسد
شرفي لم تكن أنت اليوم والى خراسان . ومنهم سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريّا .
ومنهـم الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هانيّ وكان خليعا ماجنا مليح
الشعر وهو الذي يقول

ألا إنما الدنيا وصالٌ حبيب * وأخذك من مشمولةٍ بنصيب
وعيشك بين المسمعاتِ ممّتعا * بفنّين من عزفٍ وشدوٍ مصيب
وأنسُ وإنسانٌ تلذُّ بقربه * وبذلةٍ معشوقٍ ونومٍ رقيب
وعدّى ساعاتِ النهارِ ورقبتي * إلى الشمس لما آذنت بمغيب

١٥

ومنهـم يحيى بن زياد وهو الذي يقول

أعاذل ليت البحرَ نحرًا وليتني * مدى الدهر حوتٌ ساكنٌ لجة البحر
فاضحى وأمسى لا أفارق لجة * أروى بها عظمى وأشفى بها صدرى
طوال الليالي ، ليس غنى بناضٍ * ولا ناقصٌ حتى أصيرَ إلى الحنير

٢٠

ومنهم أبو نواس الحسن بن هانيء من أشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة
القيان، وله في الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره
طرفاً . حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نواس قد خلعت عذارك وأطلت
الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء! فأطرق ثم قال

فأولُ شربك طرْحُ الرءاء * وآخرُ شربك طرْحُ الإزارِ
وما هنّاك الملاحى بمثل * إمامةٍ مجيدٍ وإحياءٍ عارِ
وما جاد دهرٌ بلذّاته * على من يَصْنُ بخلع العذارِ

فانصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهمل فاجر .
ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره في ذلك، أنه بلغ إخوانه عنه أنه ترك
الشراب واللذات وأخذ في الزهد والصلاة في أوقاتها فاجتمعوا اليه وأقبلوا يهتئون به،
فوضع بين يديه باطيةً وجعل لا يدخل إليه أحد يهتئ إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد

قالوا : نزعْتَ، ولما يعلموا وطرى * في كلّ أغيدٍ ساجى الطرف مياسِ
كيف التزوع وقلبي قد تقسّمه * لحظّ العيون وقرعُ السنّ بالكاسِ
لا خير في العيش إلا في المجون مع السّاكفاء والراح والريحان والآسِ
وُسمِع يتغنّى والكؤوس لها * حتّ علينا بأحماسٍ وأسداسِ
يا مورى الزند قد أكتب قوادحهُ * أقبس إذا شئت من قلبي بمقباسِ
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم * إذا نظرتُ فلم أبصرك في الناسِ

ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحواً من سنةٍ حتى طُنَّ أنه قُتل، فقال الرشيد :
لئن صحّ عندى أنه قُتل لأقتلن قاتله ولو كان المأمون، انظروا من كان هجا من الناس
فاكتبوا اسمه وأرفعوه إلىّ، فأرتجت لذلك بغداد فلما كان على رأس الحول إذا نحن
به قد وافى قتلنا له : يا أبا عليّ! غبت عنا هذه الغيبة فغممتنا، قال : كنت في موضع

أرتضيه وأشتهيه، فقلبا : ألم تسمع بافتقادنا لك وقول الرشيد فيك ؟ ولم يبق أحد من إخوانه إلا عذله ولامه فقال

إني لفي شغل عن العاذلين * بالراح والريحان والياسمين
عند غلام حسن وجهه * قلبي حيس بهواه رهين
قولي إذا صرت على ظهره * كقول قوم رحلوا ظاعنين
سبحان من سخر هذا لنا * يوما وما كنا له مقرنين

٥

فلما أنشدوها، قال : بحياتي من يساعدني منكم ؟ حتى أريه إياه فتعذروني أو تحسدوني، فضي بنا إلى الموضع فاذا بغلام من أحسن الناس وجهها، فقال له : بحياتك غنّ، فغنّي، فاذا هو من أحسن الناس غناء، فقال : من يلومني أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جُمع لي فيه كل معنى أشتهيه وأرتضيه ؟ انتهى . وحدث الفضل بن سلمة عن الثوري، قال : خرج الحسن بن هاني ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دار نحر، فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نمرح بهذا النحر، فدخلوا فسلموا فردّ عليهما، فقال له الحسن : أعندك نحر عتيقة يا نحر ؟ فقال : عندي منها أجاس، فأيا تريد ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر

تجبت خيفة وصيبت لجاءت * بكلاء العروس بعد الصبيان
وكان الأكف تُصنغ من ضو * سناها بالورس والزعفران

١٥

فلأله النحر قدحا من نحر صفراء، كأنها ذهب محلول فشربه الحسن وقال : أحسن من هذا أريد، فقال له النحر : أي جنيس تريد ؟ قال التي يقول فيها الشاعر

دفعتم أيدى المواهر حتى * صيرت جسمها بحم الهواء
فهى كالنور في الإناء وكالنأ * وإذا ما تصير في الأحشاء

٢٠

فلاً له الخمار قدحا من نحر، كأنها العقيق فشربه وقال : أرفع من هذا أريد،
فقال : أى جنس؟ قال : التى يقول فيها الشاعر
وإذا حسا منها الوضعُ ثلاثة * سَمَحَ الوضعُ كفعلِ ذى القَدْرِ
فى لَوْنِ ماء الغيث إلا أنها * بين الضلوع كواقد الجمر

- هـ فلاً له قَدَحاً من نحر بيضاء، كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمّار: أتعرفنى؟
قال : إى والله يا سيدي أنا أعرف الناس بك، قال من أنا؟ قال أنت الذى يسكر
من غير وزن، فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليه ما بقى عندك من النفقة،
فأعطاه مائة درهم وأنصرف . وقال الحسين بن الضحاك : كنت مع أبى نواس
بمكة عام حج فسمع صبياً يقرأ (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ
وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) فقال أبو نواس : فى مثل هذا ييئى للخمير صفة حسنة، ففكر
ساعة ثم أنشدنى

- وسياره ضلّت عن القصد بعد ما * ترادفهم أفق من الليل مظلم
فأصغوا الى صوت ونحن عصابة * وفينا فتى من سكره يترنم
فلاحتم لهم منا على البأى قهوة * كأن سناها ضوء نار نضرم
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم * وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا
- ١٥

قال : فحدث بهذا الحديث محمد بن الحسين، فقال : لا ولا كرامة، ما سرقه من
القرآن ولكن من قول الشاعر

وليل بهيم كلما قلت : غورت * كواكب عادت لنا لتذيل
به الركب، إما أومض البرق يمموا * وإن لم يلح، فالقوم بالسير جهل

وقال أبو نواس فيها

ألا دارها بالماء حتى تُلينها * فما تُكرّم الصبياء حتى تُمينها
أغالى بها حتى اذا ما ملّتها * أهنتُ لإكرام النديم مصونها

وقال أيضا

نَهَيْتُهُ وَاللَّيْلُ مُلْتَبَسٌ بِهِ * وَأَزَحْتُ عَنْهُ حُثَاثُهُ فَانْزَاحَا ^(١)
قال : أَبْغَيْ الْمَصْبَاحَ ، قُلْتُ لَهُ : آتِنْدُ * حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْءُهَا مِصْبَاحَا
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الرَّجَاجَةِ شَرِبَةً * كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا
مِنْ قَهْوَةٍ جَاءَتْكَ قَبْلَ مَزَاجِهَا * عَطَلَا فَالْبَسَهَا الْمَزَاجُ وَشَاحَا
شَكَّ الْبِزَالُ ^(٢) فَوَادَّهَا فَكَانَهَا * أَبَدْتُ إِلَيْكَ بَرِيحَهَا تُفَاحَا

وقال أيضا

رَدَا عَلَى الْكَأْسِ ، إِنَّمَا * لَا تَدْرِيانَ الْكَأْسَ مَا تُجَدَى
خَوْفَمَانِي اللَّهُ جَهْدَكَا * وَتَكَيْفِيَتِهِ رَجَاؤُهُ عِنْدِي
لَا تَعْدِلَا فِي الرَّاحِ إِنَّمَا * فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُنْهٍ مَا تَسْدَى
لَوْ نَلَمْنَا مَا نَلْتُ مَا مُزِجْتُ * إِلَّا بَدَمَعَكَا مِنَ الْوَجْدِ
مَا مِثْلُ نُعْمَاهَا إِذَا أَشْتَمَلْتُ * إِلَّا أَشْتَمَلْتُ فِيمَ عَلَى خَدٍّ
إِنْ كُنْتُمَا لَا تَشْرَبَانِ مَعِي * خَوْفَ الْإِلَهِ شَرِبْتُهَا وَحْدِي

وأخبار الحسن بن هاني، فيها كثيرة وفيما أوردناه منها كفاية . ومنهم ^(٣) الثَّروَانِي،
كان شاعرا مطبوعا بليغا من أهل الخلاعة المشهورين، وكان آخر أمره أن أصيب
في حانة تخمّارين زَقَّى خمير وهو ميتٌ وهو القائل فيها

(١) الخثاث : النوم . (٢) البرال : الحديدة يفتح بها مَبَلُ الدن (٣) أصيب بمعنى وُجِدَ . ٢٠



كَّرَ الشَّرَابُ عَلَى نَشْوَانٍ مُضْطَجِعٍ * قَدْ هَبَّ يَشْرِبُهَا وَالِدِيكَ لَمْ يَصْبِحْ
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرٍ حَمِيرٍ بَوَارِقُهُ * مِنَ النُّجُومِ، وَضَوْءُ الصُّبْحِ لَمْ يَصْبَحْ
وَالْعَيْشَ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تَبَاكَرَهَا * نَشْوَانٌ تَقْتُلُ هَمَّ النَّفْسِ بِالْفَرَجِ
حَتَّى يَظُلَّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْرِبُهَا * وَلَا مَرَّاحَ بِهِ يَخْتَالُ كَالْمَرَّاحِ

- ومنهم مُطِيعُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ، وَكَانَ شَاعِرًا أَدْبِيًّا ظَرِيفًا مُشْتَهَرًا بِالْخُلَاعَةِ وَاللَّعِبِ،
وَكَانَ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ وَوَالِدَةُ بْنُ الْحُبَّابِ وَحَمَّادُ عَجْرَدٍ .

وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ، كَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا لَا يَكَادُ يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ لِحِزَالَةِ
الْفَظَاهَةِ وَحُلَاوَةِ مَعَانِيهِ، وَكَانَ مَوْلَعًا بِالْخَمْرِ مُشْتَهَرًا بِهَا مَدْمِنًا عَلَيْهَا، أَكْثَرُ أَشْعَارِهِ فِيهَا،
فَنَ شِعْرُهُ

- أُخْطِبْتُ لِكَأْسِكَ نَدْمَانًا تُسَرُّ بِهِ * أَوْ لَا فَنَادِمٌ عَلَيْهَا حِكْمَةَ الْكِتَابِ
أُخْطِبُهُ حَرًّا كَرِيمًا ذَا مُحَافَظَةٍ * تَرَى مَوَدَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ
وَقَالَ أَيْضًا

وَكَمْ قَالُوا : تَمَنَّيْتُ ، فَقُلْتُ : كَأْسًا * يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ
وَنَدْمَانَا يَسَاقُطُنِي حَدِيثًا * كَصَدَقِ الْوَعْدِ أَوْ غَضَّ الرِّقِيبِ

- وَمِنْهُمْ أَبُو هَقَّانَ، وَكَانَ شَاعِرًا مَحْسَنًا وَخَالِعًا مَاجِنًا، حَكَى أَنَّهُ شَرِبَ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ
أَبِي طَاهِرٍ حَتَّى فَنَى مَا عِنْدَهُمَا، وَكَانَا بِبَحَارِ الْعَلَاءِ بْنِ أَيُّوبَ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ
لَأَبِي هَقَّانَ : تَمَاوَتْ حَتَّى نَخْتَالُ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ فِي أَنْ يَنْبَلِنَا شَيْئًا ، فَضَى إِلَيْهِ ابْنُ
أَبِي طَاهِرٍ، فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! نَزَلْنَا جَوَارِكَ فَوَجِبَ حَقًّا عَلَيْكَ ، وَقَدْ مَاتَ
أَبُو هَقَّانَ وَلَيْسَ لَهُ كَفَنٌ ، فَقَالَ لَوَيْكِلَهُ : امْضُ مَعَهُ وَشَاهِدْ أَمْرَهُ وَارْفَعْ إِلَيْهِ كَفَنًا ،

فأتاه فوجده مُلقًى عليه ثوبٌ فنقر أنفه فضرط، فقال ما هذا؟ فقال أصلحك الله! عَجَّلَتْ له صَعْقَةُ القبر فإنه مات وعليه دين، فضحك وأمر له بدنانير .

ومنهم الأقيشر وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه وهو القائل

وَمُقَعَّدٌ قَوْمٍ قَدْ مَشَى مِنْ شَرَابِنَا * وَأَعْمَى سَقِينَاهُ ثَلَاثًا فَأَبْصُرَا

كَيْتَ كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْوَرْدَ رِيحُهُ * وَمَسْحُوقَ هِنْدِيٍّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفُرَا

ومنهم النعمان بن علي بن نضلة، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على ميسان وكان مدمناً الشراب وهو القائل

أَلَا أَبْلُغُ الْحَسَنَاءُ أَنَّ خَلِيلَهَا * بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنِيمٍ ^(١)

فَإِنْ كُنْتُ نَدَمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي * وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ * تَنَادُمُنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ ^(٢)

فبلغ الشعر عمر رضى الله عنه، فكتب إليه : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَمَّ تَزْرِيْلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) أما بعد، فقد بلغنى قولك

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ * تَنَادُمُنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

وأيم الله لقد ساءنى، وعزله، فلما قدم عليه سأله، فقال والله ما كان من هذا شئ، وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط، فقال عمر : أطلق ذلك ولكن لا تعمل لى عملاً أبداً، فترل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله.

(١) الحتم : الجرة الخضراء .

(٢) الجوسق : القصر .

ومنهم عمارة بن الوليد بن المغيرة، خطب امرأة من قومه، فقالت: لا أتزوجك حتى تدع الخمر والزنا، فقال: أما الزنا فإني أدعه وأما الخمر فوجدني بها شديداً، ثم أشد وجده بالمرأة فعاود طلبها، فقالت: حتى يحلف بطلاق يوم يزني أو يشرب نحرًا، خلف لها وتزوجها، ومكث حيناً لا يشرب إلى أن مرَّ بجمار وعنده قوم يشربون وقينة تغنيهم وهو على ناقة، فطرب اليهم وأرتاح ورمى بثيابه إلى الجمار، وقال: أسقمهم بها، ونحر لهم ناقته ومكث أياماً يطعمهم ويسقيهم حتى أنفذ ما معه ثم رجع إلى أمرائه فلامته، فأنشأ يقول

أَقْلَى عَلَى اللُّؤْمِ يَا أُمَّ سَالِمَ * وَكُفَى فَإِنَّ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
أُسْرَكَ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ نَشْوَةً * خَرُوجِي مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَائِمٍ
سَلِيماً كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ * وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مِنْ تَصَافِي التَّنَادِمِ ١٠
ثم قال لها: ألحق بأهلك وعاد إلى ما كان عليه



وأما من أفتخر بشربها وسبائها، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها، وتضيفه إلى عظيم عناثها، وتقرنه بمذكور بلائها، وشاهد ذلك قول امرئ القيس

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلْسَدَةِ * وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبَا ذَاتِ خَلْخَلٍ ١٥

ولم أسبأ الزَّقَّ الرَوَّى ولم أقل * لَخِيلِي كَرَّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

فقرن جوده في سبأ الزق بسالته في كرا الخيل، ولما أنشد أبو الطيب المتنبي

سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ * كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ
تمرُّ بك الأبطالُ كلَّيْ هزيمةً * ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمٌ
فقال له سيف الدولة : أنتقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما أنتقد على
أمرئ القيس بيتاه ، وذكرهما قال : وبتاك لا يلتئم شرطهما كما لا يلتئم شرطاه هذين
البيتين ، كان ينبغي لأمرئ القيس أن يقول

كأننى لم أركب جوادا ولم أفل * نخيلى كرمى كرمة بعد إجحافِ
ولم أسبأ الرق الروى للذِّة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخالِ
وأن تقول أنت

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ * ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمٌ
تمرُّ بك الأبطالُ كلَّيْ هزيمةً * كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ
فقال أيد الله مولانا ، إن كان صحَّ أن الذى استدرك على أمرئ القيس أعلم
منه بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والثوب لا يعرفه البراز معرفة
الحائك لأن البراز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذى أخرجه من
الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن أمرؤ القيس لذة النساء لذة الركوب للصيد وقرن
السباحة فى سبأ الخمر للأصياف بالشجاعة فى منازل الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت
فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسسه ، ولما كان الجريح المنهزم
لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت

* ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم *

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب سيف الدولة
بقوله ووصله ، وقال لقيط بن زرار

شربت الخمر حتى خلتُ أنى * أبو قابوس أو عبد المدان

وقال حسان بن ثابت الأنصاري عفى الله عنه ورحمه

إذا ما الأشربأتُ ذُكرنَ يوما * فهِبَ لطيِّبِ الراحِ الفِداءُ
ونشربها فتركنا ملوكا * وأُسدا ما ينهها اللقاءُ

حكى أن حسان بن ثابت عَنف جماعة من الفتيان على شرب الخمر وسوء تنادهم عليها
وأَنهم يُضربون عليها ضرب الإبل ولا يرجعون عنها فقالوا : إنا إذا هممنا بالإقلاع
عنها ذكرنا قولك

ونشربها فتركنا ملوكا * وأُسدا ما ينهها اللقاءُ

فعاودناها . وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان

إذا ما نديمي علني ثم علني * ثلاث زجاجاتٍ لمن هديرُ
خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأني * عليك أمير المؤمنين أميرُ

١٠

وقال آخر

إذا صَدَمَنِي الكأسُ أبدت محاسني * ولم يخش نَدْماني أذَى ولا بخلي
ولست بفَحَّاشٍ عليه وإن أسي * وما شكل من آذى نداماه من شكلي

وقال آخر

شربنا من الداري حتى كأنا ^(١) * ملوكُ لهم برُّ العراقيين والبحرُ
فلما آنجلت شمسُ النهار رأيتنا * تَوَلَّى الغنى عَنَّا وعاودنا الفقرُ

١٥



ومثله للنخل البشكري

فاذا سَكِرْتُ فإنني * ربُّ الخورني والسديرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنني * ربُّ الشَّوْهِةِ والبَعِيرِ

وقال عنترة

وإذا سكرتُ فإني مستهلك * مالى، وعِرضي وأفرلُ يُكَلِّمُ
وإذا صحوْتُ فما أقصر عن ندى * وكما علمتُ شمائلى وتكرى
أخذه البهترى وزاد عليه فى قوله

وما زلتَ خلًّا للندامى إذا آتَشُوا * وراحوا بدورا يستحثون أنجبا ٥
تكرمت من قبل الكئوس عليهم * فما أسطعن أن يُحدثن فيك تكرا

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبهترى ذكر أن ممدوحه يتكرم
قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيد تكرا . وكان الأعشى يميون
ابن قيس مشهورا بتعاطى الخمر مشغوبا بها كثير الذكر لها فى شعره، ومن أشهره بها
قال المفضل بين قدماء الشعراء: أشعرهم أمرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب،
١٠ وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب؛ وقصد الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليسلم وأمتدحه بقصيدته التى أولها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما باتَ السليم مسهدا

فاعترضه فى طريقه من أراد منعه، فقالوا له : إنه يحزم عليك الزنا والخمر، فقال :
١٥ أما الزنا فقد كبرت فلا حاجة لى فيه، وأما الخمر فلا أستطيع تركها، وعاد لينظر
فى أمره، وقيل إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع، فمات قبل الحول، قالوا :
ونظر الحسن بن وهب الى رجل يعبس فى كأسه، فقال : ما أنصفتها ، تضحك
فى وجهك وتعبس فى وجهها؛ ومن ذلك قول الشريف الرضى

كانخمر يعبس حاسيها على مِقة * والكأس تجلو عليه ثغر مبتسم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول ٢٠

ما أنصف الندمان كأس مدامة * ضحكك إليه فشمها بتعبس

ذكر شىء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء فى هذا المعنى وأطنبوا فيه وتوعوا، فمنهم من مدحها، ومنهم من وصفها وشبهها، ومنهم من ذكر أفعالها وتغزل فيها، وسنورد فى هذا الموضع نبذة مما طالعناه فى ذلك، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطلال، ولأتسعت فيه دائرة المقال.



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فمن ذلك قول ابن الرومى حيث يقول

تالله ما أدرى بأية علة * يدعون هذا الراح باسم الراح؟

أريحها ولروحها تحت الحشا * أم لأرتياح نديمها المرتاح؟

إن حرمت فبحقها من نحرمة * ما كان مثل حريمها بمباح

أو حُلَّت فبحقها من نشوة * تشفى سقام قلوبنا بصحاح

١٠

وقال أيضا

نحمر إذا ما نديمي ظلَّ يكرعها * أخشى عليه من الألاء يحترق

لورام يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذب فى وجهه الشفق

ومثله قول الطليق المروانى

فلذا ما غربت فى فيه * أطلعت فى الخلد منه شققا

١٥

وقال الناجم

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب تُرى من رقة شبحا

إذا تعاطيتها لم تدر من فرج * راحا بلا قدح أُعطيت أم قدحا؟

وقال الناشئ

يا ربما كأس تناولتها * تسحب ذيلا من تلالها

٢٠

كأنها النار ولكنها * منم والله صالها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها؛ فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية
ومدامة حمراء في قارورة * زرقاء تحملها يد بيضاء
فالخمر شمس والحباب كواكب * والكف قطب والإناء سماء

وقال السروي

عُيِّنَت بالمدامة الشعراء * وصفوها وذاك عندي عناء
كيف تحصيل علمها وهي موت * وحياء وعلّة وشفاء
فهى في باطن الجوانح نار * وهى في ظاهر المحاجر ماء
حلوة مرة فما أحد يد * رى أداء خصوصها أم دواء؟

وقال البحتري

اشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الحدود وزهرة الصبهاء
من قهوة تُنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد ضلّ في الأحشاء
يُخفى الزجاجة لوئها فكأنها * في الكف قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست * في أوجه الأرواح والأنداء
وفواقع مثل الدموع ترددت * في صحن خذ الكاعب الحساء
يسقيكها رشاً يكاد يردها * سكرى بفترة مقلّة حوراء
يسعى بها وبمثلها من طرفه * عوداً وإبداء على الندماء

وقال الواواء الدمشقي

فامزج بمائك نار كأسك وأسقني * فلقد مزجت مدامى بدماء
وأشرب على زهر الرياض مدامة * تنفي الهموم بعاجل السراء
لطفت فصارت من لطيف محلّها * تجرى بجرى الروح في الأعضاء

وَكُنْ مَخْنَقَةً عَلَيْهَا جَوْهَرٌ * مَا بَيْنَ نَارٍ أَدْكِيتَ وَهَوَاءٍ
وَكُنْهَا وَكُنْ حَامِلٌ كَأْسَهَا * إِذْ قَامَ يَحِلُّوْهَا عَلَى النَّدْمَاءِ
شَمْسُ الضَّحَى رَقَصَتْ فَنَقَطَ وَجْهَهَا * بَذَرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ

وقال أبو نواس

أَقُولُ لِمَا تَحَاكِي شَبَهَا : * أَيُّهُمَا لِلتَّشَابَهِ الذَّهَبُ ؟
هُمَا سَوَاءٌ وَفَرَقَ بَيْنَهُمَا * أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمَنْسُكَبٌ

وله أيضا

إِذَا عَبَّ^(١) فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلْتَهُ * يَقْبَلُ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوْكَبًا
تَرَى حَيْثُمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا * وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا
يَدُورُ بِهَا سَائِي أَعْرَبَ تَرَى لَهُ * عَلَى مُسْتَدَارِ الْأُذُنِ صُدْعًا مَعْقِرًا
سَقَاهُمْ وَمَنَانِي بَعِيْزِهِ مُنِيَّةٌ * فَكَانَتْ إِلَى نَفْسِي أَلَدًا وَأَطْيَبًا

ومثل البيت الأول قول ابن المعتز

كَأَنَّهُ قَائِمٌ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ * هَلَالُ أَوَّلِ شَهْرِ غَابَ فِي شَفَقِ

وقال ابن الرومي

وَمَهْفَهْفٍ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ * حَتَّى تَجَاوَزَ مَتْنَهُ النَّفْسُ
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ * مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْأَمِلُ نَحْمِسُ
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي فَمِهِ * قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وقال الحسين بن الضحاک

كَأَنَّمَا نَصَبَ كَأْسَهُ قَمَرٌ * يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجَمِ الْفَلَكَ

(١) اللَّبَّ : الشرب من غير مص .

وقال آخر

وأكتست من فضة دررا * خلقتها من تحتها ذهباً
ككيت اللون قلدها * فارس من لؤلؤ حياً

وقال آخر

تغشى^(١) بياض شاربها * فتخالها يمين مخضب
دارت وعين الشمس غائبة * فحسبت عين الشمس لم تغب

وقال آخر

حمراء وردية مشعشة * كأنها في إنائها لهب
صهباء صرفاً لو مسمها حجر * من جامد الصخر مسمه طرب

وقال آخر

قلت والراح في أكف الندامى * كنجوم تلوح في أبراج
أمداما خرطتم لمدام؟ * أم زجاجا سبكتم لزجاج؟

وقال الحسن بن وهب

وقهوة صافية * كالمسك لما نفحا
شربت من دنانها * من كل دق قدحا
فعدت لا تحملى * أعود سرجى مرحا
من شدة السكر الذى * على فؤادى طفحا

وقال ابن المعتز

خليلى قد طاب الشراب المبرد * وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

(١) هذا الشطر محتل الوزن وورد هكذا بكل الأصول ولعله : تغشى الكتوس ، أو تغشى المدام ، مما

يستقيم به المعنى والوزن .

فَهَاتِ عُقَارًا مِنْ قَيْصِ زَجَاجَةٍ * كَيَاقُوتَةٍ فِي دُرَّةٍ تُتَوَقَّدُ
يَصُوغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شُبَّالَكَ فُضَّةٍ * لَهُ حَلَقٌ بَيْضٌ يُحَلُّ وَتُعَقَّدُ

وَقَالَ التَّنَوُّخِيُّ

وَرَاغٍ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ * بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ * وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارِي
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ وَهِيَ فِيهِ * تَأَمَّلْتَ مَاءً مُحِيطًا بِنَارِ
فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْإِبْيَاضِ * وَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْأَحْمَرِ
وَمَا كَانَ فِي الْحَكَمِ أَنْ يُوجَدَا * لِفَرْطِ تَنَافِهِمَا وَالتَّفَارِ
وَلَكِنْ تَجَاوَزَ سَطْحَاهُمَا * السَّبْطَانِ فَاتَّسَلَفَا بِالْجَوَارِ
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ * إِذَا مَالَ بِالسَّقَى أَوْ بِالسَّارِ
تَدْرَعُ قُوبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ * لَهُ فَرْدٌ كُمٌ مِنَ الْجُلُنَّاسِ
وَقَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ التَّنَّيْسِيُّ

حَمَلَتْ كَفَّهُ إِلَى شَفْنِيهِ * كَأَسَّهِ وَالظَّلَامُ مُرَحَى الْإِزَارِ
فَالسَّقَى لَوْلَوْ حَبَابٍ وَثَغِيرٍ * وَعَقِيقَانِ مِنْ فَمِ عُقَارِ

وَقَالَ آخَرُ

قَمْ فَاسْقِنِي قَدْ تَبَلَّجَ الْعَسْقُ * مِنْ قَهْوَةٍ فِي الزَّجَاجِ تَأْتَلُقُ
كَأَنَّنَا وَالْكُثُوسَ نَأْخُذُهَا * نَشْرَبُ نَارًا وَلَيْسَ نَحْتَرِقُ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا * وَأَسْقِنَا نَقْطَةَ الْجَزَاءِ الثَّمِينَا^(١)
مِنْ سَلَفٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ * يَتَمَتَّى مَخِيرًا أَنْ يَكُونَا

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ، وَفِي دِيوَانِ أَبِي نَوَاسٍ * وَأَسْقِنَا نَعْمَتِكَ الشَّاءِ الثَّمِينَا *

أكل الدهرُ ما تجسم منها * وتبقى لنا بها المكنونا ^(١)
 فاذا ما آجتلتها فهباءُ * تمنع الكفّ ما تبيح العيونا
 ثم تُجبت فاستضحكت عن لآلٍ * لو تجعن في يد لافتنينا
 في كنوس، كأهن نجوم * جاريات، برُوجها أيدينا
 طالعات مع السقاة علينا * فاذا ما غربن يغربن فينا
 لوترى الشرب حولها من بعيد * قلت : قوم من قرّة يصطلونا

وقال ابن المعتز

ونحارة من بنات المجوس * ترى الدنّ في بيتها سائلا
 وزنا لها ذهباً جامدا * فكالت لنا ذهباً سائلا

✦
✦

١٠

وأما ما قيل في أفعالها، فن ذلك قول أبي تمام الطائي
 وكأس كعسول الأمانى شربتها * ولكنها أجلت وقد شربت عقل
 اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها * لهيبا كوقع النار في الحطب الجزل
 اذا اليد نالتها بوثر توقرت * على صنعها ثم استقادت من الرجل

ومثله قول ديك الجن وأسمه عبد السلام

١٥

فقام تكاد الكأس تخضب كفه * وتحسبه من وجنتيه استعارها
 مشعشة من كف ظبي كأنما * تناولها من خذه فأدارها
 فظننا بأيدينا ننتعع روحها * وناخذ من أقدامنا الراح نأرها

(١) كذا بالأصل، وفي الديوان * وتبقى لبايها المكروا *

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي
 كانت لها أرجل الأعلاج^(١) وارة * بالدوس فانتصفت من رأس العرب
 [أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباغي الكاتب فقال^(٢)
 عقرتهم معقورة لو سالت * شرابها، ما سُميت بعقار
 لانت لهم حتى آتسوا وتمكنت * منهم فصاحت فيهم بالشار
 ذكرت حقاندها القديمة إذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصا]
 وقال آخر

أسروها وجه النهار من الدن فأمسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الصمد بن بابك عفى الله عنه

عقار عليها من دم الصب نفضة * ومن عبرات المستهام فواقع
 معودة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع

*
*

وأما ما وصفت به غير ما قدمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة

الحصكفي [والحصكى نسبة الى حصن كبا]

وخليع بت أعتبه * ويرى عتي من العبيث
 قلت : إن الخمر مخبئة * قال : حاشاها من الخبث
 قلت : منها القيء، قال : أجل * طهرت عن مخرج الحديث
 قلت : فالأرفأ تبتعها * قال : طيب العيش في الرفث
 وسألوها فقلت : متى ؟ * قال : عند الكون في الحديث

(١) الأعلاج : جمع علي وهو الرجل من كُفار العجم .

(٢) الزيادة التي بين هاتين العلامتين [مقولة عن إحدى السح .

وقال آخر

ثقلت زجاجاتُ أُنْتِنَا فُرْغًا * حتى اذا ملئت بصرفِ الراج
خَفَّتْ فكادت أن تطيرَ بما حوت * وكذا الجسوم تخفُّ بالأرواح
[وقريب من المعنى قول الآخر

(١) وزنًا الكأس فارغةً وملائ * فكان الوزنُ بينهما سواء]

وقال أبو نواس

قهوةٌ أُنْمِيَّ عنها * ناظرا ريبَ المنونِ
عُتِّقْتُ في الدنِّ حتى * هي في رقة دني
ثم تُنَجَّتْ فأدارت * فوقها مثل العيونِ
حدقا تزوينا * لم تُحَجَّرْ يحفونِ
ذهبا ينمر دُرًّا * كلُّ إِبَانٍ وحينِ
من يدنى ساقٍ عليه * حلةٌ من ياسمينِ
غاية في الظرف والشكل وفرد في المجونِ

١٠

٥٢

وقال

دُذِّبَءَ الكَرَمِ والعنبي * خطراتِ الهمِّ والنوَبِ
قهوة لو أنها نطقتُ * ذكَرْتُ سَأَمًا أبا العربِ
وهي تكسوكف شاريها * دسباناتٍ من الذهبِ

١٥

وقال تاج الملوكة بن أيوب

وكم ليلةٍ فيها وصلنا غبوقنا * وكَم من صباحٍ كان فيه صَبوحُ
تدار علينا من أكف سقائنا * عُقَارٌ من الهمِّ الطويلِ تُرِجُ

٢٠

(١) الزيادة التي بين هاتين اللمامين [منقولة عن بعض النسخ .

تلوحُ لنا كالشمسِ في كَفِّ أغيدٍ * يلوح لعيني البدر حين يلوحُ
مدامُ تحاكي خدَّه ورضابه * ونكهته في الطيب حين تفوحُ
ولكن لها أفعال عينية في الحشا * فكلُّ حشاً فيها عليه جريحُ

وقال أيضا

والكأس أعطاه عقيقا أحمرًا * قابٍ، فأعطيا لحِينا يَفْقًا^(١)
من قهوة ما العيش إلا أن أرى * مصطحًا في شربها مقتبعا
أشربها شربًا هنيئًا من يدَي * غصني رشيقٍ وغزالٍ أرشقا

ومما قيل فيها إذا مُزجت بالماء، فمن ذلك قول أبي نواس

وصفراءُ قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاعَ الشمس يَلْقَاكَ دُونَهَا
تري العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ما تُقِلَّ جفونها

ومنه أخذ ديك الجن فقال

وحمرء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبَي نرجس وشقائق
حكّت وجهه المعشوقِ صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فأكتست لونَ عاشق

وقال أبو هلال العسكري

راحٌ إذا ما الليل مدَّ رواقه * لاحت تطرُّز حُلَّةَ الظلماءِ
حتى إذا مُزجت أراك حبابها * زهراتٍ أرضٍ أو نجومَ سماءِ

وقال أيضا

وكأس تمتطى أطرافَ كَفِّ * كأنَّ بنانها من أرجوانِ
أنازعها على العلاتِ شربًا * لهنَّ مضاحكٌ من أخوانِ

يلوح على مفارقتها حَبَابٌ * كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ
وطالعي الغلامُ بها سحيرا * فزاد على الكواكب كوكبانِ
ووافقها بنحْدٍ أرجوانٍ * وخالفها بفرعِ أدجوانِ

قوله :

« كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ »

٥

مأخوذ من قول ابن الروميّ

لها صريحٌ كأنه ذهبٌ * ورغوةٌ كاللآلئِ الفُلُقِ

وقال أبو نواس

فاذا علاها الماءُ ألبسها * تَمَشُّ شَبِيهَ جَلَّالِ الْجَلِّ^(١)
حتى اذا سَكَّتْ جِوَانِحُهَا * كَتَبْتُ بِمِثْلِ أَكَارِعِ النَّمْلِ^(٢)

١٠

وهو مأخوذ من قول الأول، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية

وكأيس سبأها التَّجَرُّ من أرضِ بابلٍ * كَرَقَةَ ماءِ الحُزْنِ في الأعينِ النُّجْلِ
اذا شَجَّها السَّاقِ حَسِبْتُ حَبَابَهَا * عَيُونَُ الدُّبِيِّ^(٣) من تحتِ أَجْنَحَةِ النَّمْلِ

وقال أبو نواس أيضا

قامت تَرَبَّى وأمرُ الليلِ مجتمَعٌ * صَبِحا تولدُ بينِ الماءِ والذهبِ
كَأَنَّ صُفْرَى وَكُذْبَرَى من فِوَاقِعِهَا * حَصْبَاءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

١٥

وقال ابن المعتز

للماءِ فيها كِتَابَةٌ عَجَبٌ * كَمِثْلِ نَقِيشٍ في فِصٍّ ياقوتِ

(١) كذا بالأصل وفي الديوان : حَبَّاءُ .

(٢) كذا بالأصل وفي الديوان : جِوَانِحُهَا .

٢٠

(٣) الدبي : أصمر الجراد .

وقال العسكري

ذاب في الكأس عقيقٌ بحرى * وطفا الدرُّ عليه فسبح
نصب الساقى على أقداحها * شبَّكَ الفضة تصطادُ الفرخ

وقال ابن الساعاتى

٥ وليلةٍ بات بدر التّم ساقينَا * يدير في فلَكٍ من شربها شُها
بكر اذا فُرعتُ بالماء كان بنا * جدًّا وإن كان في كاساتها لعبا
حمراء من نجمل حتى اذا مُرِجت * لم تدر ما نجملًا تجرُّ أم غضبا؟
تزيد بالبارد السلسال جَدوتها * وما سمعت بماء محدث لها
تكسو النديم اذا ما ذاقها وصَحًّا * حتى كأن شعاع الشمس قد شربا

وقال آخر

١٠ فَبَهَنِي ساقى القوم يمزجها * فصار في البيت للصباح مصباحُ
قلنا على علمنا والشك يغلبنا : * أراحنا نارنا أم نارنا الراح؟

وقال ابن وكيع التَّنيسى

١٥ وصفراء من ماء الكروم كأنها * فرائقُ عدوٍّ أو لقاء صديق
كأنَّ الحبابَ المستدير بطوقها * كواكبُ دُرٍّ في سماءٍ عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميصَ بهارٍ من قميص شقيق

٥٣

وقال آخر

حمراء ما اعتصموا بالماء حين طفت * إلا وقد حسبوها أنها لُهبُ

وقال الخالدیان

٢٠ فهاتها كالعروس محمرة الخُدين في معجِرٍ من الحب
كادت تكون الهواء في أرج الشعنبر لو لم تكن من العنبر

(١) المعجِر: ثوب تشده المرأة على رأسها .

من كَفَّ راضٍ عن الصدود وقد * غضبتُ في حبه على الغضبِ
فلو ترى الكأس حين يمزجها * رأيت شيئاً من أعجب العجبِ
نار حواها المزاج يلهبها الماءُ ودُرٌّ يدور في لهبِ

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها

قال أحمد بن أبي فتن

جَدَّدَ اللذاتِ فالْيَوْمُ جَدِيدُ * وآمض فيما تشتهي كيف تريدُ
وَأَلَهَ ما أَمْكَنَ يَوْمٌ صَالِحٌ * إن يومَ الشرِّ لا كان - عَتِيدُ

وقال ديك الجتن

تَمَتَّعَ من الدنيا فَإِنَّكَ فَانِي * وَإِنَّكَ في أَيْدِي الحَوادِثِ عَانِي
وَلَا تَنْظُرَنَّ الْيَوْمَ لِمَا إِلَى غَدٍ * وَمَنْ لَغِيْدٍ مِنْ حَدِثٍ بِأَمَانٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُسْرِعُ بِالْفَتَى * وَيَنْقُلُهُ حَالِينَ مُخْتَلِفَانِ
فَأَمَّا الَّذِي يَمْضِي فَأَحْلَامُ نَائِمٍ * وَأَمَّا الَّذِي يَبْقَى لَهُ فَأَمَانِي

وقال ابن المعتز من أبيات

وَبَادِرْ بِأَيَّامِ السَّرُورِ فَإِنَّهَا سِرَاعٌ وَأَيَّامُ الْمُحْصُومِ بِطَاءُ
وَحَلَّ عَتَابِ الْحَادِثَاتِ لَوَجْهِهَا * فَإِنْ عَتَابَ الْحَادِثَاتِ عَنَاءُ
تَعَالَوْا فَسَقُّوا أَنْفُسًا قَبْلَ مَوْتِهَا * لِيَأْتِيَ مَا يَأْتِي وَهَرَبٌ رِوَاءُ

وقال أحمد المارداني

عَاقِرِ الرَّاحِ وَدَغَ نَعْتِ الطَّلَلِ * وَأَعْصَ مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَعَدَلُ
غَادِهَا وَأَسْعَ لَهَا وَأَغْرَبَهَا * وَإِذَا قِيلَ: تَصَابِي، قُلْ: أَجَلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ - فَاعْلَمْ - سَاعَةٌ * أَنْتَ فِيهَا وَسْوَى ذَاكَ أَمَلُ

وقال ابن بسام

واصل خليلك إنما السدنيا مواسلة الخليل
وأنعم ولا تتعجل التكموه من قبل النزول
بادر بما تهوى فما * تدرى متى وقت الرحيل
وأرفض مقالة لائم * إن الملام من الفضول

٥

ومما وصفت به مجالس الشرب؛ فن ذلك قول أبي نواس
في مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

وقال ديك الجن

كانما البيت يريحانه * ثوب من السندس مشقوق

١٠

وقال السري

أست ترى ركب الغمام يساق * وأدفعه بين الرياض تُراق؟
وقد رقّ جلابُ النسيم على الثرى * ولكن جلابُ الغيوم صفاق
وعندى من الریحان نوعٌ تجسه * وكأس كرقاق الخلوّ دهاق
وذو أدبٍ جلت صنائعُ نفسه * ولكن معاني الشعر منه دقاق
له أبداً من نثره ونظامه * بدائع حلى ما لهب حفاق
وأغيد مهتر، على صحن خذه * غلائل من صبغ الحياء رفاق
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره * فهنّ له دون النطاق نطاق
وقد نظم المنشور فهو قلائد * علينا، وعقد مذهب وخناق
وغرفتنا بين السحاب، تلتقي * لهب علينا كلة ورواق
تقسم زوار من الهدد سقفاها * خفاف على قلب الكريم رشاق

١٥

٢٠

أعاجمُ تلتدُ الخصامَ كأنها * كواعبُ زنجِ راعمتِ طلاقُ
أنسِ بنا أنسَ الإمامِ تحبَّتْ * وشميتها غدرُ بنا وإباقُ
مُواصلَةٌ، والوردُ في شجراته * مفارقةٌ، إن حاربَ منه فراقُ
فزرُ فتيةٍ، بردُ الشرابِ لديهمُ * حميمٌ إذا فارقتهم وغَسَّاقُ^(١)
قوله :

أحاطت عيونُ العاشقين بخصره * فهن له دونَ النطاقِ نطقُ
مأخوذ من قول المتنبي

وخصرٍ تثبت الأحداقُ فيه * كأنَّ عليه من حدِّ نطاقي

وقال أبو هلال العسكري

وليل آبتعتُ به لذةً * وبعثُ فيه العقلَ والدينَ

أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى * وبات فيه الهمُّ مسكيناً

وقد خلطنا بنسيم الصبا : نسيمَ راجٍ ورياحينا

وأكؤسَ الراحِ نجومُ إذا لاحت بأيدينا هوثُ فينا

تضحك في الكأسِ أباريقنا : وحسبنا تضحكُ تبكيننا

ومما قيل في طيِّ مجالسِ الشرابِ ؛ فن ذلك قول بعض الشعراء

حكمَ العقارِ إذا قصدتَ لشربها * في لذةٍ من مسمعٍ وقيارِ

أن لا تعودَ لذكر ما أبصرتَ من * أهدوءٍ من شارِبٍ سكرانِ

وقال آخر

إذا ذُكر النبيذُ فليس حقاً * إعادة ما يكون على النبيذِ
إعادة ما يكون من السكارى * يكدّر صفوة العيش اللذيذِ

وقال آخر

تسازعوا لذة الصهباء بينهم * وأوجبوا لرضيع الكأس ما يحب
لا يحفظون على السكران زلتَهُ * ولا يرييك من أخلاقهم ريبُ

ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانيتها

من ذلك ما قيل في وصف معصرة النخمر

قال أبو الفرج البَغَاء

ومعصرة أنختُ بها * وقرنُ الشمس لم يغيب
نخلت قوارها بالرا * ح بعض معادن الذهب
وقد ذرفت لفقد الكر * م فيها أعينُ العنب
وجاش عُبابُ واديتها * بمنهلٍ ومنسكب
وباقت العصير بها * يلاعب لؤلؤ الحب
فياعجباً لعاصرها * وما يفنى به عجبى
وكيف يعيش وهو يخو * ض في بحر من اللهب

وقال ابن المعتز يصف الدنان

ودنان كمثل صف رجال * قد أقيموا ليرقصوا ^(١)دستبندا

(١) الدستند : نوع من أنواع رقص المجوس يأخذ بعضهم بيد بعض ويرقصون ، وبعضهم يكتبها هكذا "دست بند" .

وقال القطامي يصف جرار الخمر

استودعتها رواقيد مقيمة^(١) * دكن الظواهر قد برئسن بالطين^(٢)
مكافئات لحر الشمس قائمة * كأنهن نيط في تباين^(٣)

وقال العلوي الأصفهاني

مخدرة مكنونة قد نقشت * كراهية بين الحسان الأوانس
وأترابها يلبسن بيض غلائل * هي العرى مغرورها كل لابس
مشعته مرهاء ما خلت أنى * أرى مثلها عذراء في زى عانس^(٤)

ومما قيل في الراوق؛ قال بعض الشعراء

كأنما الراوق وانتصابه * خرطوم فيل سقطت أنيابه
والبيت منه عطر ترابه * كأن مسكا فتقت عيابه

وقال آخر

سماء لاذ، قَطَرُها رحيق^(٥) * ربح الذرى يخطفيه الضيق
ماء عقيق لو جرى العقيق * حتى اذا ألهبها التصفيق
* صَحْنَا الى جيراننا : الحريق *

(١) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٢) مقيمة : أى مقيمة بالقار وهو "الزفت" .

(٣) التباين : جمع تباين وهو سراويل صغير يستر العورة .

(٤) المرهاء : التى أبيضت حماليقها .

(٥) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرر أحمر صيني .

ومما وُصفت به زقاق الخمر؛ فمن ذلك قول الأخطل

أناخوا بفخزوا شاصياتٍ كأنها * رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

وقال أبو الهندي وأجاد في شعره

أُتلفُ المالُ وما جَمَعُهُ * طَلَبَ اللذاتِ من ماء العنبِ

وَأَسْتَبَاءُ الرِّقِّ من حانوتها * شائلُ الرجلين معضوبُ الذنبِ

كَلِمًا كُوبَ لَشَرِّبِ خَلْتَهُ * حَبَشِيًّا قَطِعتُ مِنْهُ الرُّكْبَ

وقال ابن المعتز

وتراها وهي صَرَغِي * فُرْغًا بين الندامِي

مَثَلُ أَبْطالِ حروبٍ * قُتِلُوا فيها كِرَامًا

وقال العلوي الأصفهاني

عَجِبْتُ مِنْ حَبَشِيٍّ لَا حَرَاكَ بِهِ * لَا يَدْرِكُ النَّارَ إِلَّا وَهُوَ مَذْبُوحٌ
طَوْرًا يَرَى وَهُوَ بَيْنَ الشَّرْبِ مَضْطَجِعٌ * رَخَوِ الصَّفَاقِ وَطَوْرًا وَهُوَ مَشْبُوحٌ

ومما وُصفت به الأباريق؛ فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةٍ * إِوْزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوْجُ الحَنَاجِرِ

وقال آخر

يَارُبَّ مَجْلِسِ فَتِيَّةٍ نَادِمَتْهُمْ * مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فِي ذَرَى الْعِلْيَاءِ

وَكَأَنَّمَا إِبْرِيْقُهُمْ مِنْ حُسْنِهِ * ظَلَمِيٌّ عَلَى شَرَفٍ أَمَامَ ظُبَاءِ



وقال ابن المعتز

وكان إبريق المدام لديهم * ظبي على شرف أناف مدّها
لما استحثته السقا جئ لها * فبكي على قدح النديم وقهقهها

وقال إسحاق الموصلي

كان أباريق المدام لديهم * طباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم يُخلَقْ لهن عظام
وكلهم نظروا الى قول علقمة بن عبدة :

كان إبريقهم ظبي على شرف * مفتم بسبا الكنان ملثوم

وقال محمد بن هاني من أبيات

والأباريق كالطبّاء العواطي * أوجست نبأة الخيول العتاق
مصغيات الى الغناء مطلقاً * ت عليه كثيرة الإطراق
وهي شم الأنوف يشمخن كبراً * ثم يعرفن بالدم المهرق

وقال أبو نواس عفى الله عنه

والكوب يضحك كالغزال مسبحاً * عند الركوع بلثغة الفأفأ
وكان أقداح الرحيق إذا جرت * وسط الظلام كواكب الجوزاء

وقال بشار بن برد

كان إبريقنا والقطر من فيه * طير تناول ياقوتاً بمنقار

ومما وصفت به الكاسات والأقداح ؛ فن ذلك قول ابن المعتز

غدا بها صفراء كرخية * تخالها في كأسها نتقد
وتحسب الماء زجاجاً لها * وتحسب الأقداح ماء جمّد

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال ابن المعتز أيضا عفى الله عنه

وكأسٌ تُحَجَّبُ الأبصارُ عنها * فليس لناظرٍ فيها طريقُ

كان غمامةً بيضاءَ بينى * وبين الكأسِ تحرقها البروقُ

وقال أبو الفرج البغاء

من كلِّ جسمٍ كأنه عَرَضٌ * يكاد لُطْفًا باللحظِ يُنْتَهَبُ

كأنما صاغه النفاقُ فما * يخلص منه صدقٌ ولا كذبُ

وقال الرقاء

كان الكئوسُ بفضلاتها * متوجةً بأكاليل نورِ

جيوبٌ من الوشَى مزرورةٌ * يلوح عليها بياضُ النحورِ

وقال آخر

وكانما الأقداحُ مترعة الحشا * بين الشروب كواكبُ الجوزاءِ

وكانها ياقوتةٌ فضلاتها * مخروطةٌ من درةٍ بيضاءِ

وقال المعوج

يعاطيك كأسا غير ملائى كأنها * إذا مُزجت أحداقُ درجٍ مُزردٍ

كأن أعاليها بياضُ سوائفٍ * يلوح على توريدٍ خذ مُورِدٍ

وقال أبو نواس

وكانما الروضُ السماءُ ونهره * فيه المجرةُ والكئوسُ الأنجمُ

وقال النعالي

يا واصل الكأسِ بتشبيها * دونك وصفا على القدرِ

كأن عينَ الشمسِ قد أفرغتُ * في قالبٍ صينغٍ من البدرِ

وقال آخر

أقول للكأسِ إذ تبتتُ * بكفٍّ أخوى أغنَّ أحورُ:

أنحرتِ بيتي وبيتَ غیری * وأصلُ ذا كعبك المدورُ



الباب الخامس

من القسم الثالث من الفن الثاني

(في الندمان والسقاة)

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما خُلِقَ من قلب الملك يتصرف بشمواته ويتقلب بإرادته ، لا يملّ المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ، إذا آتشتي يحفظ ، وإذا صحا ييقظ ، ويكون كأنما لسره ، ناشرا لبره . قالوا : فأنركاتبُ ندima فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للرخاء ، وأنا للحرب وأنت للسلم ، فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ، وأنا للمحظة وأنت للهنة ، تقوم وأنا قاعد ، وتحشم وأنا مؤانس ، تدأب لراحتي ، وتشقى لما فيه سعادتي ، فأنا شريك وأنت معين ، كما أنك تابع وأنا قرين ، فلم يحر الكاتب جوابا والله أعلم . ١٠

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن الندماء ، فقال : واحدٌ : غمٌّ ، وأثنان : همٌّ ، وثلاثةٌ : قِوَامٌ ، وأربعةٌ : مَمَامٌ ، وخمسةٌ : مجلسٌ ، وستةٌ : زحامٌ ، وسبعةٌ : جيشٌ ، وثمانيةٌ : عسكرٌ ، وتسعةٌ : أضربُ طلبك ، وعشرةٌ : ألقى بهم من شئت . وقال الجواز : النبيذ حرام على اثني عشر نفسا ، من غنى الخطأ ، وآتكأ على اليمين ، وأكثر من أكل البقل ، وكسر الزجاج ، وسرق الريحان ، وبُل ما بين يديه ، وطلب العشاء ، وقطع البم^(١) ، وحبس أوّل قديح ، وأكثر الحديث ، وأمتخط في منديل الشراب ، وبات في موضع لا يُحتملُ المبيت فيه . ١٥

(١) البم : الورد الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكري

ما أعاف النبيذَ خيفةَ إيمٍ * إنما عفتهُ لفقدِ النديمِ
ليس في اللهو والمدامةِ حظٌ * لكريمٍ دون النديمِ الكريمِ
فتخيرَ قبلَ النبيذِ نديماً * ذا خللٍ معطراتِ النسيمِ
وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ * وضميرٍ إذا آخبرتَ سليمِ

وقال آخر

أرى للكأسِ حقاً لا أراه * لغير الكأسِ إلا للنديمِ
هو القطبُ الذي دارتُ عليه * رعى اللذاتِ في الزمنِ القديمِ

وقال آخر

وندمانٍ أنى ثقةٍ * كأنَّ حديثه حَبْرَةٌ
يسرُّك حسنَ ظاهرِهِ * وتحمد منه مخبَرَةٌ
ويستر عيبَ صاحِبِهِ * ويستُرُّ أنه سَتَرَةٌ

وقال آخر

ونديمٍ حلوا الحديثِ يحاريك بما تشبهه في ميدانك
المعنى كأنَّ قلبَكَ في أضلاله أو كلامه في لسانِكَ

وقال يحيى بن زياد

ولستُ له في فضلةِ الكأسِ قائلاً * لأصرفه عنها : تحسُّ ، وقد أبى
ولكن أحييه وأكرم وجهه * وأشربُ ما أبقي وأسقيه ما أشتى
ولستُ إذا ما نام عندي بموقظٍ * ولا مُسْمِعٍ يقظانَ شيئاً من الأذى

وقال آخر

ليس من شأنه إذا دارت الكأ * سُ فأزرى إدمانها بالحلوم
قول ما يسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم

وقال عبد الرحمن العطوى رحمه الله

أخطب لكأسك ندما نأُسربه * أولافنام عليها حكمة الكتب
أخطبه حزا كريما ذا محافظة * ترى مودته من أقرب النسب

وقال أبو نواس

وندما ن يرى عيبا عليه * بأن يمشى وليس به أنشاء
إذا نهته من نوم سكر * كفاه مرة منك النداء
فليس بقائل لك: إيه دعني * ولا مستخبرا لك ما تشاء
ولكن سقني، ويقول أيضا: * عليك الصّرف إن أعيالك ماء
إذا ما أدركته الظهرُ صلّى * ولا عصرٌ عليه ولا عشاء
بصلّى هذه في وقت هذى * وكلّ صلاته أبدا قضاء

وقال آخر

نهت ندما نى فهبوا * بعد المنام لما أستحبوا
هذا أجاب وذا أنا * بَ وذا يسير وذاك يحبو
أنشدتهم بيتا يعلمُ ذا الصبابة كيف يصبو
ما العيش إلا أن تحبَّ وأن يحبك من تحب
فتطربوا والأريحية شأنها طربٌ وشربٌ

وقال أبو عبادة البحرى عفى الله تعالى عنه

ونديم نبته ودجى الية * مل وضوء الصباح يعتلجان
قم نبادل بها الصيام فقد أقسم * مر ذاك الهلال من شعبان

وقال أيضا

٥ بات نديما لي حتى الصباح * أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح
كأنما يسم عن لؤلؤ * منقصد أو برد أو أفاح
يساقط الورد علينا، وقد * تبلج الصبح، نسيم الرياح
إن لآل عطفاه قسا قلبه * أثبت الخلل جال الوشاح
أمرج كأسى يحنى ريقه * وإنما أمرج راحا براح

١٠ ومنهم من كره النديم وآثر الأفراد، قال إبراهيم الموصلى عفى الله تعالى عنه
ورحمه : دخلت يوما على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب، فقلت
له : تادم كلبا؟ قال : نعم، يمنعني أذاه، ويكف عني أذى سواه، ويشكر قليلي،
ويحفظ مبيتى ومقيل، وأنشد

وأشرب وحدي من كراهتي الأذى * مخافة شر أو سباب لئيم

١٥ انتهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل فى السقاة، فمن ذلك قول الصنوبرى عفى الله عنه

ومؤرد الخدين يخطرحين يخطر فى مؤرد
يسقيك من جفن الجبين اذا سقاك دموع عسجد
حتى تظن النجم ينزل أو تظن الأرض تصعد

فاذا سقاك بعينه * وفيه ثم سقاك باليد
حيّاك بالياقوت ثم الدرّ من تحت الزّرجد

وقال ديك الجنّ

ومُرّر بالقضيب اذا تثنّى * ومزهاة على القمر التام
سقاني ثم قبّلي وأومى * بطرف سقمه يشفى سقامي
فبتّ له على الندمان أسقى * مداما في مدام في مدام

٥

وقال ابن المعتزّ

تدور عليا الراح من كفّ شادين * له لحظ عين يشكى السقم مدنف
كأن سلاف الخمر من ماء خذه * وعنقودها من شعره الجعد يقطف

(٥٨)

وقال أيضا

بين أفداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه الكلام
فكأن السقاة بين الندامى * ألمات بين السطور قيام

١

وقال أحمد بن أبي فتن

بكف مقرطٍ خنث * تطيب بطيبه الرّيب
تراها وهي في كفيته من خديه تلهب

١٥

وقال الصنوبري

وساقٍ إذا هم ندماننا * بأن يزجى الكأس لم يُزجِه
كلعبة عاج على فرشهِ * وليث عرينٍ على سرجهِ
لطيف المنطق مهتره * ثميل المؤزر مرتجِه
سقاني بعينه أضعاف ما * سقاني بكفيه من غنجهِ

٢٠

وقال آخر

ياساقِ القوم إن دارت إلى فلا * تمزج فإني بدمعي مازج كاسي
ويافتي الحى إن غيّبت من طرب * فغنّ : وأحرّبا من قلبه القاسي

وقال ابن المعتز

وعاقِد زنايَ على غُصْنِ الآس * دقيق المعاني مَخْطَفِ الخَصْرِ مَيَّاسِ
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فيها مَزاجُهَا * فأضحك عن ثغر الحباب فم الكاسِ

وقال أيضا

قام كالغصن في النقا * يمزج الشمس بالقمر
وسقاني المدام والليل * بالصبح مؤترز
والثريا كنورِ غصني * على الغرب قد تُتر

وقال البحتري

وفي القهوة أشكأل * من الساقى وألوان
حبابٌ مثل ما يَضَحَكُ عنه وهو جَذْلَانُ
ويسكر مثل ما يسك * رُطُفٌ منه وسنانُ
وطعم الريق إن جاد * به والصب هَيَّانُ
لنا من كَفِّه راح * ومن رِيَّاه رِيحَانُ

وقال أبو القاسم الهبيري الكاتب رحمة الله تعالى عليه

سقانا الراح ساقٍ، كلُّ راح * سوى أُلْحاظِ عينيه سرابُ
يدير الكأس مبتسما علينا * فما تدري أُنْغَرُّ أم حَبَابُ؟
وقد سفر الدجى عن ثوب بفر * منير مثل ما سفر النقابُ
نفلت الصبح في أثر الثريا * بشيرا جاء في يده كتابُ

وقال أبو الشيص

يطوف علينا به أحور * يده من الكأس مخضوبتان
غزالٌ تميل بأعطافه * قنأةٌ تعطف كالخيزان

وقال أبو بكر محمد بن عمار

وهوته يسقى المدام كأنه * فمر يطوف بكوكب في حندس
متأرجح الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس في أنامل سوسن * ويدير أخرى في محاجر زرجس

وقال المعوج يصف ساقية

لا عيش إلا من كف ساقية * ذات دلال في طرفها مرض
كأنما الكأس حين تمزجها * نجوم ليل تملو وتخفص

وقال آخر يصف امرأة ساقية

وساقية كانت بمفرقيها * أكاليل على طبقات ورد
لها طيب المنى وصفاء لون * وحررة وجنة ومذاق شهد

وقال ديك الجن يصف ساقيا وساقية

أفديكما من حاملي قدحين * قرين في غصنين في دغصين
رود منعمة ومهضوم الحشا * للناظرين منى وقرة عين
قامت مؤنثة وقام مؤنثا * فتأهبا الألسن بالنظرين
صبا على الراح إن هلالنا * قد صب نعمته على الثقلين
والى كأسكما على ما خيلت * بالشر معجونا بماء بلجين

الباب السادس

من القسم الثالث من الفن الثاني

في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما أستدل به من رأى ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر، وأخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن أشتهر بالغناء وأخبار القيان .

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة

قد تكلم الناس في الغناء في التحريم والإباحة وأختلفت أقوالهم وتباعدت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم، فمنهم من رأى كراهته وأنكر استماعه وأستدل على تحريمه، ١٠ ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وأباحه وصمّم على إباحته، ومنهم من فرق بين أن يكون الغناء مجزداً أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمعازف والقصب فأباحه على أفرادهِ وكرهه إذا أنضاف إلى غيره وحرّم سماع الآلات مطلقاً، ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة أستدلت بها، وقد رأينا أن ثبت في هذا الموضوع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف ١٥ النظائر المطوّلة فنقول وبالله التوفيق .



أما ما قيل في تحريم الغناء وما أستدلّ به من رأى ذلك، فإنهم أستدلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علماء المسلمين،

أما دليلهم من الكتاب العزيز فقول الله عز وجل : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) . وقوله عز وجل : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) . وقوله سبحانه وتعالى : (وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) . وقوله تبارك وتعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) . وقوله سبحانه وتعالى : (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) وقوله : (أَفَنُحْدَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) . قال ابن عباس : (سامدون) هو الغناء بلغة حمير ، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن : سمد فلان اذا غنى . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال في هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) : إنه الغناء ، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهاه ، وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : هو — والذي لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضى الله عنه في قوله تعالى : (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) . قال : صوته الغناء والمزامير ، وعنه في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) . قال : الغناء . وأما دليلهم من السنة فما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن الله عز وجل حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ، ثم قرأت (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) الآية ، وروى أبو أمامة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله عز وجل اليه شيطانان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صوت عند نعمة وصوت

- عند مصيبة . وأما أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، فقد روى عن عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه أنه قال : ما تغيّبت قط ، فتبرأ من الغناء وتبجج بتركه .
 وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت
 الماء البقل . وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما مرّ على قوم محرمون ومعهم
 قوم ورجل يغنى فقال : ألا لا أسمع والله لكم ، ألا لا أسمع والله لكم . وروى عن
 عبد الله بن دينار قال : مرّ ابن عمر رضى الله عنهما بجارية صغيرة تغنى فقال :
 لو ترك الشيطان أحدا ترك هذه . وعن إسحاق بن عيسى قال : سألت مالك بن
 أنس رضى الله عنه عما ترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال : ما يفعله
 عندنا إلا الفساق . وقال الشعبي : لئن المغنى والمغنى له . وقال الحكم بن عتيبة :
 حبّ السماع ينبت النفاق في القلب . وروى أن رجلا سأل القاسم بن محمد فقال :
 ما تقول في الغناء ، أحرّام هو ؟ فأعاد عليه ، فقال له في الثالثة : إذا كان يوم القيامة
 فاتى بالحق والباطل أين يكون الغناء ؟ قال : مع الباطل ، قال القاسم : فأنت نفسك .
 وقال الفضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا ، وقال بعضهم : الغناء رائدة من رائدة
 الفجور . وقال الضحّاك : الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب . وقال يزيد بن
 الوليد مع آشتهاره بما آشتهر به : يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد
 في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم
 لا شك فاعلين بخنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ، وإنى لأقول ذلك فيه على أنه
 أحبّ إلى من كلّ لذة وأشهى إلى نفسى من الماء إلى ذى الغلة الصادى ، ولكن
 الحقّ أحقّ أن يقال . وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعى
 رضى الله عنه في كتاب أدب القضاة : الغناء هو مكروه يشبه الباطل ، وقال : من
 استكثر منه فهو سفيه تردّ شهادته . قال القاضى حسين بن محمد : وأما سماعه من

المرأة التي ليست بمحرم، فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة . وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه تردّ شهادته، ثم غلظ القول فيه وقال: هو ديانة، قال: وإنما جعل صاحبها سفيها لأنه دعّا الناس إلى الباطل، ومن دعا إلى باطل كان سفيها فاسقا . وقال مالك بن أنس: إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له ردها بالعيب، قال: وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع الغناء من الذنوب، قال: وذلك مذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وإبراهيم النخعي، والشعبي وغيرهم لا خلاف بينهم في ذلك، قال: ولا يعرف أيضا بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد: والغناء يورث العناد في قوم، ويورث التكذيب في قوم، ويورث القساوة في قوم .

وقال بعضهم عن حاله عند السماع

﴿١١﴾

أَتَذْكُرُ وَقْتَنَا وَقَدْ أَجْتَمَعْنَا * عَلَى طَيْبِ الْغَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ؟
وَدَارَتْ بَيْنَنَا كَأْسُ الْأَغَانِي * فَاسْكُرَتِ النَّفُوسُ بِغَيْرِ رَاحِ
فَلَمْ تَرَفِيهِمْ إِلَّا نَشَاوِي * سُرُورًا وَالسُّرُورَ هُنَاكَ صَاحِي
إِذَا لَبَّى أَخُو اللَّذَاتِ فِيهِ * مَنَادَى اللَّهُوْحَى عَلَى السَّمَاكِ
وَلَمْ يَمْلِكْ سِوَى الْمَهْجَاتِ شَيْئًا * أَرْقَاهَا لِأَلْحَاطِ مِلَاجِ

١٥

هذا ملخص ما ذكره في تحريم الغناء، وقد استدللّ من أباحه بما يناقض ما تقدّم على ما نذكر ذلك إن شاء الله في إباحة الغناء .

ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسمع والضرب بالآلة

- وقد تكلم الناس في إباحة الغناء وسماع الأصوات والنغات والآلات ، وهى الدف والبراع والقصب والأوتار على اختلافها ، من العود والطنبور وغيره ، وأباحوا ذلك وأستدلوا عليه وضعفوا الأحاديث الواردة في تحريمه ، وتكلموا على رجالها وجرحوهم وبسطوا في ذلك المصنفات ووسعوا القول وشرحوا الأدلة ، وطالعت من ذلك عدة تصانيف في هذا الفن مجردة له ومضافة الى غيره من العلوم ، وكان ممن تكلم في ذلك وجرد له تصنيفا : الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسى رحمه الله تعالى ، فقال في ذلك ما نذكر مختصره ومعناه . اعلم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة الى الكافة قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وسنّ وشرع وأمر ونهى كما أمر صلى الله عليه وسلم ، فليس لأحد بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالافتداء بهم والاتباع لستهم أن يحترم ما أحل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق من آية محكمة ، أو سنة ماضية صحيحة ، أو إجماع من الأمة على مقاتته ، وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية المكذبين والمجرحين الذين لا تقوم بروايتهم حجة ، وبأقاييل من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه فلا يرجع الى قولهم ولا يسلك طريقهم ، إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد

من الناس أولى من قول غيره، وإنما يلزم بقول من أيد بالوحي والتزيل وعصم من التغيير والتبديل، قال الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فعلما أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحي من الله تعالى، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم ينزل فيه وحىً توقف حتى يأتيه الوحي وليسست هذه المنزلة لغيره فيلزم قبول قوله .

ذكر ما أستدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

قد أستدلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث وليستا بمغنيات، فقال أبو بكر: أمر مار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم! وذلك يوم عيد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا» ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فأتتهرنى وقال: مِرْمَرَةُ الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجنا، وكان يوم عيد يلعب فيه السوداؤن بالدَّرَق والحِرَاب، فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ» فقلت: نعم فأقامنى وراءه، خذى على خذه وهو يقول: «دونكم يا بنى أَرْفَدَةَ» حتى إذا مللتُ قال «حَسْبُكَ؟» قلت: نعم، قال «فأذهبي» . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مَنَى تَدْفَقَان وتضربان، والنبي صلى الله عليه وسلم

- متغش بشوبه، فاتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال :
«دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»، وتلك الأيام أيام منى . وقالت عائشة : رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم
عمر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «دعهم، أمتا بنى أرفدة» يعنى من الأمن . قال
أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث : أين يقع
إنكار من أنكر من إنكار سيدي هذه الأمة بعد نبيا صلى الله عليه وسلم : أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما، وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما لإنكارهما، فرجعا عن
رأيهما الى قوله صلى الله عليه وسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جارية
من الأنصار في حجرى فزفتها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء،
فقال : «يا عائشة ألا تبعتين معها من يُغنى فإن هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء» .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة
فأهدتها الى قُبَاء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهديت عروسك؟» قالت :
نعم، قال : « فأرسلت معها بغناء فإن الأنصار يُحبونه ؟ » قالت : لا، قال «فأدركها
يا زينب» — امرأة كانت تغنى بالمدينة — رواه أبو الزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكي عن
جابر، وعنه أيضا قال : أنكحت عائشة رضى الله عنها ذات قرابة لها رجلا من
الأنصار، بغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أهديتم الفتاة؟» قالوا : نعم،
قال «أرسلتم معها؟» . قال أبو طلحة راوى الحديث : ذهب عنى، فقالت : لا ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الأنصار قوم فيهم غزلٌ فلو بعثتم معها من يقول
أتيناكم أتيناكم * فحيانا وحيّاكم»^(١)

(١) كذا بالأصل، وفي العقد الفريد : ”فحيونا نحييكم“ وترجمه القافية حيث روى البيت الثانى :

٢٠ ولولا الحبة السمرا * لم نخل بواديكم

وروى عن فضالة بن عبيد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لله أشدُّ
أذنًا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يَجْهَرُ به من صاحب القينة الى قينته" . قال
أبو عبد الله الحاكم في كتابه المستدرک : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم
ولم يخترجاه وقد خَرَّجَهُ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه .
قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى : ووجه الاحتجاج
من هذا الحديث هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أن الله تعالى يستمع
الى حسن الصوت بالقرآن كما يستمع صاحب القينة الى قينته ، فأثبت دليل السماع
إذ لا يجوز أن يقبس على استماع^(١) محرم ، قال : ولهذا الحديث أصل في الصحيحين
أخرجاه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما أذن الله^(٢)
لشيء ما أذن^(٣) لني يتغنى بالقرآن" هذا ما ورد في السماع .



وأما ما ورد في الضرب بالآلة ، فن ذلك ماورد في الدف . روى عن محمد بن
حاتب قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فصل ما بين الحلال والحرام
الدف والصوت في النكاح" . قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى : هذا حديث
صحيح ألزم أبو الحسن الدارقطني مسلما إخرجاه في الصحيح ، وقال : قد روى عنه ،
يعنى محمد بن حاطب ، أبو مالك الأشجعي وسماك بن حرب وابن عون ويوسف بن
سعد وغيرهم ، قال : وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله
أبن ماجه في سننهما . وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفعه إلى جابر رضى الله عنه
(١) في الأصل هكذا : « الاستماع محرم » وهو إما محرف عن « استماع محرم » أو « الاستماع المحرم »
بتعريفهما معا أو تنكيرهما معا .

(٢) كذا بالأصل ، وفي اللسان : وفي الحديث « ما أذن الله لشيء كآذنه لني يتغنى بالقرآن » قال
أبو عبيد : يعنى ما استمع الله لشيء كاستماعه لني يتغنى بالقرآن ، أى يتلوه بجهرة . اهـ

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دَفٍّ فقال « ما هذا ؟ » فقيل : فلان تزوج ، فقال : « هذا نكاح ليس بالسَّفاح » وقد ضعف أبو الفضل إسناده هذا الحديث ، وقال : إنما أخرجه على ضعف إسناده لأنه شاهد الحديث الصحيح المتقدم . وروى أبو الفضل أيضا بسنده إلى خالد بن ذَكْوَانَ عن الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذ قالت : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على صبيحة^(١) بِنْتِ عَلِيٍّ جُلَسَ على فراشي كجلستك مني ، فجعلت جَوِيرِيَّاتٍ يَضْرِبْنَ بِدَفِّ لَهْنٍ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُيِّلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى أَنْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فقال : « دَعِيَ هَذَا وَقَوْلِي الَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ قَبْلَهُ » وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذَكْوَانَ أُمِّمَ مِنْ هَذَا قَالَ : كُنَّا بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَكَانَ الْجَوَارِي يَضْرِبْنَ بِالْدَفِّ وَيَغْنَيْنَ ، فدخلنا على الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذَ فذكرنا لها ذلك فقالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عُرْسِي وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ وَتَسْدَبَانِ آبَائِي الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَتَقُولَانِ فَيَا تَقُولَانِ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَالَ : « أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَافَرَ سَفَرًا ، فَنَذَرْتُ جَارِيَةً مِنْ قُرَيْشٍ لَمَّا رَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَضْرِبَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بِدَفٍّ ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ الْجَارِيَةُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَانَةُ ابْنَةُ فَلَانٍ نَذَرَتْ لَمَّا رَدَّكَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَضْرِبَ فِي بَيْتِي بِدَفٍّ ، قَالَ : « فَتَصْرَبِ » قَالَ أَبُو الْفَضْلِ : وَهَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ » فَلَوْ كَانَ ضَرْبُ الدَفِّ مَعْصِيَةً لِأَمْرٍ بِالتَّكْفِيرِ عَنْ

(١٣)

(١) كذا بالأصل وفي البخاري : « فدخل حين بُنِيَ عَلَى » .

(٢) كذا بالأصل وفي البخاري : « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » .

نذرها أو مَنَعَهَا من فعله . وروى عن الشعبي قال : مرّ عياض الأشعرى في يوم عيد فقال : مالى لأراهم يُفَلِّسون فإنه من السنة ؟ والتفليس : الضرب بالدَف ، قاله هُشَيْم .



وأما ما ورد في اليراع ، فقد احتج بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو ما خرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه قال : حدثنا أحمد بن عبد الله الغداني ، حدثنا مسلم ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى عن نافع ، قال : سمع ابن عمر رضى الله عنهما مزمارا فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق ، وقال لى : يا نافع هل تسمع شيئا ؟ قلت : لا ، قال : فرجع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . قال أبو عبد الله اللؤلؤى : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكر . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث خرجه أبو داود في سننه هكذا وقد أنكره ، وقد ورد من غير هذا الطريق أن ابن عمر رضى الله عنهما سمع راعيا وذكره ، وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد ، فإن سلمان هذا هو الأشدق الدمشقي تكلم فيه أهل النقل وتفرد بهذا الحديث عن نافع ولم يروه عنه غيره ، وقال البخاري : سلمان بن موسى عنده مناكير . والثاني قول عبد الله بن عمر لنافع رضى الله عنهم : أسمع ؟ ولو كان ذلك منهيّا عنه لم يأمره بالاستماع ، وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا ، ولو كان حراما لنهاه عنه وصرح بتحريمه ، لأنه الشارع المأمور بالبيان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَلَّقْتُ على سهوة لى سِتْرًا فيه تصاوير فلما رآه

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) السهوة ستره تكون قدام فاء البيت وبما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هو شبه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء . لسان العرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وهتكه . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بأبائه فنهاه عن ذلك . ورأى يزيد بن طخفة مضطجعا على بطنه فنهاه وقال : ” هذه ضجعة يُبغضها الله عز وجل “ . وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يلعن ناقته فوقف فقال : ” لا يتبعنا ملعون “ فنزل عنها وأرسلها . قال الحافظ المقدسى : وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال فثبت فساد هذا الحديث إسنادا ومتنا .



وأما ما ورد في القصب والأوتار ، ويقال له : التغير ، ويقال له : القطقطة أيضا ، ولا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم يوجد في إباحته وتحريمه أثر لا صحيح ولا سقيم ، وإنما أستباح المتقدمون آستماعه لأنه ما لم يرد الشرع بتحريمه ، وكان أصله الإباحة . ١٠

وأما الأوتار ، فالقول فيها القول في القصب ، لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها ، قال : وكل ما أورده في التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بين أهل المدينة في إباحة سماعه ، ومن الدليل على إباحته : أن إبراهيم بن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالتهم وفقههم وثقتهم كان يُفتى بحله وقد ضرب بالعود ، وسند كثر خبره في ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى ، ولم تسقط عدالته بفعله ١٥ عند أهل العلم فكيف تسقط عدالة المستمع ، وكان يبالغ في هذا الأمر أتم مبالغة ، وقد أجمعت الأئمة على عدالته وأتفق البخارى ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح ، وقد علم من مذهبه إباحة سماع الأوتار . والأئمة الذين رَوَوْا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه ورووا عنه بعد آستماعهم غناءه وعلمهم أنه يُبيحه ، ومنهم

الإمام أحمد بن حنبل، سمع منه ببغداد بعد حلفه أنه لا يحدث حديثاً إلا بعد أن يُغنى على عود، وذلك أنه لاشك سمع غناءه ثم سمع حديثه، قال: وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريمه نص يُرجع إليه، فكان حكمه حكم الإباحة وإنما تركه من تركه من المتقدمين توزعاً كما تركوا لبس اللين وأكل الطيب وشرب البارد والاجتماع بالنسوان الحسان، ومعلوم أن هذا كله حلال. وقد ترك

❦

رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الضب وسئل عنه أحرام هو؟ قال: "لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه" وأكل على مائدته صلى الله عليه وسلم. وقد روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال: إذا رأيت أهل المدينة اجتمعوا على شيء فاعلم أنه سنة. وقد روى عن محمد بن سيرين رحمه الله أن رجلاً قدم

المدينة بمجوار، فنزل على ابن عمر وفيه جارية تضرب بغاء رجل فساومه فلم يهو منه شيئاً، فقال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعاً من هذا، فأتى إلى عبد الله ابن جعفر فعرضه عليه، فأمر جارية قال: خذي، فأخذت العود حتى ظن ابن عمر أنه قد نظر إلى ذلك، فقال ابن عمر: حسبك سائر اليوم من مزمر الشيطان، قال: فبايعه، ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني غُبت

بسبعائة درهم فأتى ابن عمر إلى ابن جعفر فقال: إنه قد غُبت بسبعائة درهم، فأما أن تُعطيها إياه وإما أن تردّ عليه بيعه فقال: بل نعطيها إياه، وهذه الحكاية ذكرها أبو محمد بن حزم وأستدل بها على إباحته فقال: فهذا عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما قد سمعا الغناء بالعود، وإن كان ابن عمر كره ما ليس من الجِلَّة فلم ينه عنه وقد سَفَر^(١) في بيع مغنية كما ترى ولو كان حراماً ما استجاز ذلك أصلاً.

(١) سفر: سعى وتوسط، ومنه السَّفير وهو الرسول المصلح بين القوم. وفي باب البيوع من تخاب المحلى لابن حزم: وسى في بيع مغنية.



- وأما ما ورد في المزامير والملاهي، قال الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: وأما القول في المزامير والملاهي فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز آستماعها. فمن ذلك ما رواه بسند رفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما هممتُ بشيءٍ مّا كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين كل ذلك يحول الله عز وجل بيني وبين ما أريده من ذلك، ثم ما هممتُ بعدها بشيءٍ حتى أكرمني الله برسائه، فإني قلت لغلام من قريش ليلةً وكان يرعى معي في أعلى مكة: لو أنك أبصرت غنمي حتى أدخل مكة فأتهم بها كما يتسمر الشباب؟ قال: أ فعل، فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دار من ديار مكة سمعت عزراً بالدفوف والمزامير فقلت: ماهذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة بنت فلان، بغلست أنظر إليهم فضرب الله عز وجل على أذني فممت فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ماذا فعلت؟ قلت: ما صنعت شيئاً ثم خبرته الخبر^(١) فقال: ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال: أ فعل، فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت تلك الليلة فسألت عنه فقالوا: فلان نكح فلانة بغلست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فخرجت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسائه". قال الحافظ أبو الفضل: وكان هذا قبل النبوة والرسالة ونزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام، فإن الشرع لما ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقرّه على ما كان عليه في الجاهلية ولم يحرمه كما حرم غيره، قال: والدليل على أنه باقٍ على الإباحة قول الله عز وجل: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوٍ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ثم بين الدليل على ذلك

(١) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل، وسياق الكلام لا يقتضيها.

بما رواه بسنده إلى جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً ، يخطب خطبتين ، فكان الجوارى إذا أنكحوهن يمرّون فيضربون بالدّف والمزامير فيسلّل الناس^(١) ويدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) . وقال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد الله بن حميد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال . والله عز وجل عطف الله على التجارة وحكم المعطوف حكم ما عطف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة ، ثبت أن هذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّمه ، ثم يمسّ به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم خرج ينظر إليه ويستمع ، ولم ينزل في تحريمه آية ولا سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، فعلمنا بذلك بقاءه على حاله ، قال : ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حديث عائشة رضي الله عنها في المرأة التي زفّتها وقد تقدّم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفعه عن زوج دُرّة بنت أبي لهب قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوّجت دُرّة فقال : " هل من لهو ؟ " .

٥

١٠

ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم الغناء والسماع

١٥

١٥

قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه وفسروا بها الآيات والأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه مما قدّمنا ذكر ذلك في صحيحهم ، ومما لم نذكره مما استدل به على تحريمه وكراهته وضعف رجالها ، وتكلم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا في ذلك ووهن احتجاجهم إذ أثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

٢٠

(١) أى يظلقون في استنخاء ، وفي الأصل : " فتسلّك " وهو تحريف .

- قال الحافظ أبو الفضل : أما ما احتجوا به من الآيات في قوله تعالى :
 (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الآية .
 وما أوردوه في ذلك من الأسانيد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ،
 وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فنظرت في جميعها فلم أرها طريقا يثبت إلا
 واحدا منها رواه يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد عن عطاء ٥
 ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى :
 (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء وأشباهه ، وسائرها لا يخلو من
 رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة ، قال : ورأيت في بعضها رواية عطية العوفي عن
 ابن عباس من حديث غير ثابت أصلا (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال :
 باطل الحديث وهو الغناء ونحوه ، وهو أن رجلا من قريش اشترى جارية مغنية ١٠
 فنزلت فيه ، قال : وهذا وإن لم يصح عندى الاحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم
 احتجوا به فيكون في حق هذا الرجل بعينه . وقد ورد في الآية تفسير ثالث يلزمهم
 قبوله على أصلهم ، وذكر حديثا رفعه إلى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ
 الْحَدِيثِ) "اللعب والباطل وتشيح نفسه أن يتصدق بدينهم" . قال : وهذا أيضا غير ١٥
 ثابت عندى وإنما أوردت هذين التفسيرين مناقضة لما أوردوه فيما تمسكوا به ،
 قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحتج عليه ولا ألزمهم إياه ، بل أقول
 صح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على
 الكتاب ، وأن الكتاب لا يقضى على السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أستمع للغناء وأمر باستماعه ، وقد أوردنا في ذلك من الأحاديث ٢٠
 ما تقدم إيراده ، قال : وجواب ثانٍ يقال لهؤلاء القوم المحتجّين بهذه التفاسير : هل علم

هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه؟ فإن قالوا: لم يعلمه وعلمه هؤلاء، كان جهلا عظيما بل كهرا؛ وإن قالوا: علمه، قلنا: نُقِلَ إلينا عنه في تفسير هذه الآية مثل ما نُقِلَ عن هؤلاء من الصحابة، وتأخيرُ البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال، ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) هو الغناء، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما كان معكّنّ لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ثلاثة ليس لها أصل: المغازي، والملاحم، والتفسير.

وقال أبو حاتم محمد بن حسان في كتاب الضعفاء: الله عز وجل يؤتي رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ومن الخلل المحال أن يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين خلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسرا لهم حتى يفهموا مراد الله عز وجل، فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أبان مراد الله عز وجل من الآي وفسر لأئمة ما تهم الحاجة إليه، وبين سنته صلى الله عليه وسلم، فمن تَبِعَ السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجل وأغناه الله تعالى عن الكليّ وذويه، وما لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة في معاني الآي التي أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أئمة أجوز، وترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرى، قال: ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) القرآن كله أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابه من الآي، فالآيات

٥

١٠

١٥

٢٠

التي ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأمته ، فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أن المراد من قوله تعالى: (لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) كان بعض القرآن لا الكل .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في هذه الآية: وأما شراء وهو الحديث بالدين استبدالا به ليضلل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومُضَلَّاً عن سبيل الله وهو المراد في الآية ، ولو قرأ القرآن: (ليضل به عن سبيل الله) لكان حراما . حكى عن بعض المنافقين : أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة "عبس" لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله [ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال^(١)] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

١٠

وقال الثعلبي في أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبي ومقاتيل: نزلت في النضر ابن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد الدار بن قصي ، كان يتجبر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون آستماع القرآن . واحتجوا بقوله تعالى: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) قال ابن عباس : هو الغناء بلغة حمير ، يعني - السامد - قال الغزالي رحمه الله : فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشمل عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى:

١٥

٢٠

(١) الزيادة المحصورة بين مربعين نافعة من الأصول التي بين أيدينا ونقلناها عن كتاب الإحياء .

(٢) عبارة اللسان في معرض تسيير هذه الآية : وروى عن ابن عباس أنه قال : السود الغناء بلغة حمير .

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه. واحتجوا بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِفُو مَعْرُضُونَ). قال الثعلبي: قال الحسن: عن المعاصي، وقال ابن عباس: الخلف الكاذب، وقال مقاتل: الشتم والأذى، وقال غيرهم: ما لا يحل من القول والفعل، قال: وقيل اللغو الذي لا فائدة فيه. واحتجوا بقوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا آلَافًا عَرَضُوا عَنْهُ). قال الثعلبي: أى القبيح من القول، وبقوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا). قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وبقوله: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ يَصْوتِكَ). قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: بدعائك إلى معصية الله تعالى، وكل داع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس. وأما ما احتجوا به من الحديث فإنهم احتجوا بحديث روى عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يحل بيع المغنيات ولا شراهن ولا تحمل التجارة فيهن وأثمانهن حرام والاستماع إليهن حرام »، قال الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله: هذا حديث رواه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة، قال: والصحابة كلهم عدول، وأما عبيد الله بن زحر وعلي والقاسم فهم في الرواية سواء لا يحتج بحديث واحد منهم إذا انفرد بالرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله، أما عبيد الله بن زحرفي قال: إنه من أهل مصر، قال أبو مسير الغساني: عبيد الله ابن زحر صاحب كل معضلة ليس على حديثه اعتماد. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: عبيد الله بن زحر كيف حديثه؟ قال: كل حديثه ضعيف، قلت: عن علي بن يزيد وغيره؟ قال: نعم. وقال عباس الدوري: عن يحيى: عبيد الله ابن زحر ليس بشيء. وقال أبو حاتم في كتاب الضعفاء والمتروكين: عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدًا، روى الموضوعات عن الثقات، وإذا روى عن علي بن يزيد

٥

١٠

١٥

٢٠

- أتى بالظلمات ، وإذا اجتمع في إسناد عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم
 ابن عبد الرحمن لا يكون متن ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج
 بهذه الصحيفة . قال المقدسي : وهذا الحديث قد اجتمعوا في إسناده ، قال :
 وأما علي بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبي عبد الملك روى عن القاسم ، قال
 النسائي في كتاب الضعفاء : علي بن يزيد متروك الحديث ، وقال أبو عبد الرحمن بن
 حيّان : علي بن يزيد مطروح منكر الحديث جداً . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى
 بأبي عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لا يسوّى شيئا ، وقال
 أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث ، وقال :
 أبو حاتم بن حبان : القاسم يروى عنه أهل الشام ، كان يروى عن الصحابة
 المعضلات ويأتي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات ، حتى كان يسبق إلى القلب أنه
 المعتمد لها . قال المقدسي : فهذا شرح أحوال رواة الحديث الذي احتجوا به
 في التحريم ، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدل به في التحليل والتحريم ؟
 واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرني ربي عز وجل
 بنبي الطنبور والمزمار » وهو حديث رواه إبراهيم بن البسّ بن الأشعث المكي
 وإسماعيل بن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، وإبراهيم هذا — قال
 البخاري — منكر الحديث ، وقال النسائي : المكي ضعيف . واحتجوا بما روى عن
 علي رضي الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ،
 ولعب الصنّج ، وصوت الزمارة وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مطر بن سالم
 عن علي قال : وعبد الله هو القداح ذاهب الحديث ، ومطر هذا شبه المجهول .
 واحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن المغنيات والنواحات وعن شرائن وبيعهن والتجارة فيهن وقال : « كسهن

حرام". قال : وهذا حديث رواه علي بن يزيد الصُّدَائِي عن الحارث بن نَهْبان عن أبي إسحاق السَّيِّعِي عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : والحارث بن نَهْبان ليس بشيء ولا يُكْتَبُ حديثه ، قاله يحيى بن مَعِين . وقال البخاري : الحارث منكر الحديث . وقال أحمد بن حنبل : الحارث رجل صالح ولم يكن يَعْرِفُ الحديث ولا يحفظ ، منكر الحديث . وقال النسائي : الحارث بن نَهْبان متروك الحديث لم يروه عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وغيره ولا رواه عنه غير علي بن يزيد الصُّدَائِي ، وعلي هذا قال أحمد بن عدي : أحاديثه لا تُشَبِّه أحاديث الثقات ، والحارث الذي روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : هو الحارث بن عبد الله أبو زهير الخارجي الأعور ، ^(١) أجمع أهل النقل على كذبه ، والحل في هذا الحديث على الحارث بن نَهْبان وإن كان في الإسناد من الضعفاء غيره . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : صَوْتُ مِرْمَارٍ عند نعمة وصَوْتُ نَذْبَةٍ عند مصيبة" وهذا حديث رواه محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومحمد بن زياد هذا هو الطحان اليشكري . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عنه فقال : أعور كذاب خبيث يضع الحديث . وقال يحيى بن معين : أجمع الناس على طرح هؤلاء النفر لا يُعْتَدُ بهم ، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصيدلاني يقول : قدم محمد بن زياد الرَّقَّةَ بعد موت ميمون بن مهران . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر خسفاً ومسخاً وقدفاً يكون في هذه الأمة ، قالوا : يا رسول الله إنهم يقولون : لا إله إلا الله ، قال : "نعم إذا أَظْهَرُوا الرَّدَّ ، والمُعَاذِفَ ، وشربَ

١٠

١٥

٢٠

(١) كذا بالأصل وهو خطأ ، وصوابه : أبو زهير الخارجي بكسر الزاء . وبهذا فاء ، نسبة إلى خارف بطن من همدان . كما ذكر في أنساب السمعاني وفي تهذيب التهذيب لابن حجر المصقلاني .

- الخمور، ولبس الحرير“ قال : وهذا حديث رواه عثمان بن مَطَر عن عبد الغفور عن عبد العزيز بن سَعِيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :
عثمان هو الشيباني من أهل البصرة وكان ضريرا . قال يحيى بن معين : ليس بشيء .
وقال البخاري : متروك الحديث . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثني ربي عز وجل يحق المزامير والمعازف والأوثان التي كانت تُعبدُ
في الجاهلية والنمر، وأقسم ربي عز وجل بعزته أن لا يشرها عبد في الدنيا » الحديث .
قال : وهذا حديث رواه محمد بن القُرَات عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومحمد بن الفرث هذا من أهل الكوفة . قال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : هذا شيخ كذاب . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال النسائي : متروك ، وقد تقدم ذكر السبيعي والحارث الأعور ومضى الكلام عليه .
١٠ . واحتجوا بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه مسندا : « إِنْ الْغَنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ » وهو حديث عبد الرحمن بن عبد الله العُمريّ ابن أخي عُبَيْد الله بن عمر عن أبيه عن سَعِيد بن أبي سَعِيد الْمُقْبَرِيّ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعبد الرحمن هذا قال أحمد بن حنبل : ليس يَسُوْى حديثه شيئا ، سمعت منه ثم تركاه ، وكان وَلِي قضاء المدينة ، أحاديثه مناكير ، وكان كذابا . قال النسائي :
١٥ . وهو متروك الحديث . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَسْمَعَ إِلَى قِيَانٍ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآثُكُ »^(١) وهو حديث رواه أبو نعيم الحلبّي عن عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم أسمه

(١) الْآثُكُ : الرَّمَاص ، ولم يحجّ على أَفْضَل مفردا غير هذا .

عبيد بن محمد^(١) من أهل حلب ضعيف ولم يبلغ عن ابن المبارك. مرسل. واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله النائحة والمُسَمِّعة والمغني والمغني له » وهو حديث رواه عمرو بن يزيد المدائني عن الحسن البصري عن أبي هريرة، وعمرو هذا قال أبو أحمد بن عدى : منكر الحديث، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً، وقال ابن عدى : هذا الحديث غير محفوظ. واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظر إلى المغنية حرام وغناؤها حرام وثمنها حرام » وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل النوفلي^(٢) المدني عن يزيد بن خُصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويزيد الأول قال النسائي : متروك الحديث. وقال أحمد بن حنبل : عنده من اكبر. وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذلك. واحتجوا بما روى عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ فيها البلاء » وذكرها وقال في جملتها : « واتخذت القيان والمعازف » ، وهو حديث رواه فرج بن فضالة الشيباني عن أهل حمص عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن علي عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه. قال عبد الرحمن بن مهدي : أحاديث الفرج عن يحيى بن سعيد منكورة.

(١) كذا في الأصل . وفي تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب : عبيد بن هشام .
(٢) في تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعد أن أورد الحديث المروي عنه بالأصل : قال الدارقطني تفرد به أبو نعيم ولا يثبت عن مالك ولا عن ابن المنكر .

(٣) العبارة المذكورة هنا في تخرج عمرو بن يزيد حكاهما المرتضى في شرح الإحياء عن ابن عدى فلعل اسم أبي أحمد الذي هو كنية الحاكم وقع سهواً ولم نجد في كتب التراجم أن ابن عدى يكنى أبا أحمد .
(٤) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر . وفي الأصل : المديني .

- وقال يحيى بن معين : فرج ضعيف . وقال أبو حاتم بن حبان : فرج بن فضالة كان يَلْبُ الأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ ويلصق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا يحل الاحتجاج به . واحتجوا بحديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن فذكر حديثا قال فيه : « نُهِتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجْرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ مَصِيبَةٍ وَصَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ لَعِبَ وَلَهُوَ وَمِزَامِيرُ الشَّيْطَانِ » وهذا حديث رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء عن جابر ، وأنكر عليه هذا الحديث وضعف لأجله . قال أبو حاتم بن حبان : كان ردىء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ يروى الشيء على وجه الوهم ويستحق الترك ، وتركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم سمع صوتا فقال « انظروا مَنْ هَذَا » فَنَظَرْتُ إِذَا مَا عَاوِيَةَ وَعَمْرُو يَتَغَيَّانِ . الحديث ، وفيه : « اَللّهُمَّ ارْكُسْهُمَا فِي الْفِتْنَةِ رَكْسًا » وهو حديث رواه يزيد بن أبي زياد عن سليمان عن عمرو بن الأحوص عن أبي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ . وَيَزِيدُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْكَذْبَةُ يَلْقَنُونَهُ عَلَى وَفْقٍ اعْتِقَادِهِمْ فَيَتْلَقَاهَا وَيَحْدُثُ بِهَا ضَعْفَةً أَهْلُ النُّقْلِ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ مَعَاوِيَةُ هَذَا ، وَأَنَّهُ ابْنُ التَّائِبِ . قَالَ الْمُقَدِّسِيُّ : وَلَمْ يَصْحَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا بَخِيرَ . واحتجوا بما روى ١٥ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَفَعَ الْحَدِيثَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خُسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَدْفٌ فِي مُتَخَذِي الْقِيَانِ وَشَارِبِي

(١) العبارتان المذكورتان هما في تخرج فرج بن فضالة وفي تخرج ابن أبي ليلى حكاهما شارح الاحياء عن ابن حبان فلعل ذكر أبي حاتم وقع هنا سهوا ولكن قال المرتضى في صدد الكلام عن فرج بن فضالة "وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به" .

(٢) في الأصل : زياد . وهو تحريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

(٣) كذا بالأصل ولم نعر عليه فيما بين أيدينا من كتب التراجم .

(١) الخمر ولا بسى الحرير» وهو حديث رواه زياد بن أبي زياد الجصاص عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه، وزياد هذا متروك الحديث. واحتجوا بحديث روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وله قينةٌ فلا تصلوا عليه» وهو حديث روى بإسناد مجهول عن خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علي، وخارجة متروك الحديث من أهل سرخس. واحتجوا بما روى عبد الرحمن بن الجندى قال، قال عبد الله بن بشر صاحب النى صلى الله عليه وسلم: يابن الجندى، فقلت: لبيك يا أبا صفوان، قال: والله يُسَخِّن قوم وإنهم لفى شرب الخمر وضرب المعازف حتى يكونوا قردة أو خنازير. والحديث موقوف وآبن الجندى مجهول، والنبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن لا يعذب أمته بما عذب به الأمم قبلها فأعطاه ذلك. واحتجوا بما روى عن أبي أمامة رضى الله عنه وقد تقدم بعضه، وفيه زيادة أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِلُّ بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا الجلوس إليهن» ثم قال: «والذى نفسى بيده مَارْفَع رجلٌ عَقِيرَتَهُ بِنَاءٍ إِلَّا آرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ جُلُوسٌ (٢) شَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا وَشَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا حَتَّى يَسْكُتَ» وهذا حديث قد تقدم أوله من حديث عبيد الله بن زحر، وهذه الزيادة من رواية مسلمة بن عيسى الدمشقى عن يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة. ومسلمة هذا، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخارى: منكر الحديث. وقد تقدم القول فى القاسم بن عبد الرحمن. واحتجوا بحديث روى عن عبد الله بن مسعود من رواية سلام بن مسكين قال: حَدَّثَنِي شَيْخٌ سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ

(١) فى الأصل: يزيد والتصويب عن تهذيب التهذيب.

(٢) كذا فى الأصل بزيادة "جلوس" وفى شرح الإحياء للرقيق: إلا آرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ شَيْطَانُ الْخَمْرِ.

يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»
هكذا رواه سَلَامٌ عن شيخ مجهول لا يُعرف . ورواه جرير بن عبد الحميد عن ليث
أَبْنِ أَبِي سَلِيمٍ عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود
وقوله^(١) ، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن
مغيرة عن إبراهيم ، قوله^(١) ، ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل^(٢) فيه من
قول إبراهيم . قال الغزالي رحمه الله تعالى : قول ابن مسعود : ينبت النفاق . أراد به
في حق المغنى فإنه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره
ويروج صوته عليه ، ولا يزال ينافق ويتوَدَّد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه ، وذلك
أيضا لا يوجب تحريما ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المَهْمَلَجَة وسائر
أنواع الزينة والتفاخر بالحِرث والأُنعام والزرع بُنِيَتْ الرِئَاءُ والنِّفَاقُ فِي الْقَلْبِ وَلَا يُطْلَقُ
القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط ، بل
المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ، ولذلك نزل ابن عمر رضي الله عنهما
عن فرس هَمَلَجٍ تحته وقطع ذنبه لأنه آستشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا
النفاق من المباحات . واحتجوا بحديث روى عن صفوان بن أمية قال : كنا جلوسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه عمرو بن قُرة فقال : يانبي الله ، إن الله
عز وجل كتب على الشَّقْوَة ولا أَرَانِي أُرْزَقُ ، إِلَّا مِنْ دَفَى بَكَفَى أَتَأْذَنُ لِي فِي الْغِنَاءِ
من غير فاحشة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لَا إِذْنَ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً “
وذكر حديثا طويلا ، وهو حديث رواه عبد الرزاق بن همام الصنعاني عن يحيى بن العلاء

(١) كذا في الأصول . ولعل الأصل : من قوله .

(٢) في نسخة : الأسانيد .

(٣) في الأصل : «إلا دفي» . والتصويب عن شرح الاحياء للسيد المرتضى .

عن بشر بن مُعير عن مكحول ، قال : حدّثنى يزيد بن عبد الملك عن صفوان بن أمية .
ويحيى بن العلاء هذا مدنى الأصل رازى . قال يحيى بن معين : يكنى أبا عمرو ، ليس
بثقة . وقال عمرو بن علي الصيرفى : يحيى بن العلاء متروك الحديث والله أعلم .
وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ثمن الكلب وكسب
الزقارة ، وهو حديث نقله سليمان بن أبي سليمان الداودى البصرى عن محمد بن بشر
عن أبي هريرة ، وسليمان هذا متروك الحديث غير ثقة . وأحتجوا بقول عثمان
رضى الله عنه : ما تمنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يمينى منذ بايعتُ النبي
صلى الله عليه وسلم . وهذا حديث رواه صقر بن عبد الرحمن عن أبيه عن مالك
ابن مغول عن عبد الله بن إدريس عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك فى حديث
القف والصيد . قال المقدسى : هذا حديث لم أر فيه تحاملا ، ورأيت ذكر من هذا
أشياء لم يأت بها غيره تُوجب ترك حديثه والله أعلم . وقال الغزالي رحمه الله تعالى
وذكر هذا الحديث : قلنا فليكن التمنى ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليلا
تحريم الغناء ، فمن أين ثبت أن عثمان كان لا يترك إلا الحرام ؟ قال الحافظ أبو الفضل
المقدسى رحمه الله تعالى : فهذه الأحاديث وأمثالها أحتج بها من أنكر السماع جهلا
منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته ، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثا مكتوبا
فى كتاب جعله لنفسه مذهبا وأحتج به على مخالفه ، وهذا غلط عظيم بل جهل جسيم .
هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى وفيه من الزيادات ما هو منسوب إلى الثعلبى
والغزالي على ما بيناه فى مواضعه .

وقد تكلم الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسى رحمه الله تعالى
على السماع فى كتابه المترجم بـ «إحياء علوم الدين» ، ويّين دليل الإباحة وذكر بعد ذلك
آداب السماع وآثاره فى القلب والحوارج فقال :

- اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص، ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر ما تمسك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما ذكره أو مخرجه إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله تعالى : نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة .
- وقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وأبن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم، وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي . قال : ولم يزل المجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يُسمِعُ التلحين قد أعدّه للصوفية . قال : وكان لعطاء جاريّتان تُلحَنان وكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم : كيف تُنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السَّقَطِيّ وذو النون يسمعون ! فقال : كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من هو خير مني، وقد كان عبد الله بن جعفر الطيّار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .
- وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد إلا قلة : حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء . قال الغزالي : ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكما عن المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره .
- وحكى عن مِمّشاد الدِّينَوْرِيّ أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت : يا رسول الله، هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : ” ما أنكر منه شيئا ” .

ولكن قل لهم يفتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن“ . قال الغزالي : وعن
 ابن جرير أنه كان يرخص في السماع فقيل له : تقدمه يوم القيامة في جملة حسناتك
 أو سيئاتك ؟ فقال : لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبهه باللغو ، قال الله
 تعالى : (لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) ؛ ثم بين الغزالي رحمه الله الدليل على إباحة
 السماع فقال : اعلم أن قول القائل : السماع حرام ، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه
 وهذا أمر لا يُعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة في النص
 أو القياس على المنصوص . قال : وأعني بالنص ما أظهره رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه
 نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ويبقى فعلا لا حرج
 فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس قال : وقد دلَّ
 القياس والنص جميعا على إباحة السماع .

أما القياس فهو أن الغناء آجتماع فيه معانٍ ينبغي أن يُحْتَثَّ عن أفرادها ثم عن
 مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرّك للقلب ، فالوصف
 الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى
 المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وأصوات سائر الحيوانات . أما
 سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يُحْتَرَمَ بل هو حلال بالنص
 والقياس . أما القياس فإنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ،
 وللإنسان عقل ونحو حواس ولكل حاسة إدراك ، وفي مدركات تلك الحاسة
 ما يُستلذُّ ، فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن
 وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يُكره من الألوان الكدرية القبيحة ، ولشَّمِّ الروائح
 الطيبة وهي في مقابلة الالْتِئَانِ المستكرهه . وللدُّوق الطعوم اللذيذة كاللُّدْسُومة والحلاوة

والجُحُوزة وهي في مقابلة المِراة والمَزَاة المستبشعة، ولئس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضَّرَاسَة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة . فكَذَلِكَ الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلثة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كهيق الحُرِّ وغيرها، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

٥

وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده به إذ قال تعالى : (يَزِيدُ فِي خَلْقِ مَا يَشَاءُ) ففيل : هو حسن الصوت . وفي الحديث : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله أشدُّ أدنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام : « أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته، وكان يُجلُّ من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك في الأوقات » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري : « لقد أعطى زممارا من زمامير آل داود » . وقوله تعالى : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَيْرِ) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال : إنما أُبَيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يُحرَّم سماع صوت العندليب لأنه ليس بقرآن ، وإذا جاز سماع صوت غُفْلٍ لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة؟ وإن من الشعر لحكمة . قال : فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيبٌ حسن .

الدرجة الثانية : النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ،

فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب .

٢٠

والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة : فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ؛ وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ، وذلك الحيوان إما إنسانٌ وإما غيره . فصوتُ العنادل والقمارى وذوات السجع من الطيور مع طيها موزونةٌ متناسبةُ المَطَالع والمَقَاطع فلذلك يُستلذَّ سماعُها . والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على صورة الحناجر ^(١) وهى تشبيه الصُّنعة بالخلقة ، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التى أستاذ الله تعالى باختراعها ، منه تعلمُ الصُّنَاع وبه قصدوا الاقتداء ، فسمع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العنديل وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان ، فينبغى أن يقاس على صوت العنديل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار آدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ، ولا يستثنى من هذا إلا الملامهى والأوتار والمزامير ، إذ ورد الشرع بالمتنع منها لا لذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر وأقترضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمه من قبيل الإتياع كما حرمت الخلوة لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لا اتصاله بالسواتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسكرُ لأنه يدعو إلى المسكر ، وما من حرام إلا وله حرم يُطيفُ به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه

(١) وفى نسخة مطبوعة من الأحياء : على صوت . وزاد شارحه : وفى نسخة على صور .

(٢) الضراوة : الاعتقاد لها والاجترأ عليها .

(٣) كذا بالأصل ، وفى إحياء الفرائى : الخلوة بالأجنبية .

ليكون حَمَى للحرَامِ ووَاقِيَةً لَهُ وَحِظَارًا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى وَإِنْ حَمَى اللَّهِ حَمَارُهُ » فهي محزمة تبعا لتحريم الحر.

الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فَيُقَطَّعُ بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا زَادَ إِلَّا كَوْنُهُ مَفْهُومًا ، والكلام المفهوم غير حرام، والصوت الطيب الموزون غير حرام، فإذا لم يحرم الآحاد، فمن أين يحرم المجموع ؟ نعم يُنْظَرُ فِيمَا يُفْهَمُ مِنْهُ ، فإن كان فيه أمر محذور حُرِّمَ نثره ونظمه وحُرِّمَ التصوُّتُ به سواء كان بالألحان أو لم يكن . والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله إذ قال: الشعرُ كلامٌ خَسَنٌ حسنٌ وقبيحٌ قبيحٌ، ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان مباحا، ومهما أنضم مباح الى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد، ولا محذور ههنا، وكيف يُنْكَرُ إنشَادُ الشعر وقد أُشْهِدَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ » وساق رحمه الله في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت إنشاد الشعر والحداء به وهي أشهر من أن يُجْتَاجَ إلى سردها . ثم قال بعد سياق الأحاديث: ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة، وما هو إلا أشعار تُؤَدَّى بِأَصْوَاتٍ طَيِّبَةٍ وَأَلْحَانٍ مُوزُونَةٍ، ولم يُنْقَلْ عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يُحَرَّمَ من حيث إنه كلام مفهوم مؤدَّى بأصواتٍ طَيِّبَةٍ وَأَلْحَانٍ مُوزُونَةٍ .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محمَّك للقلب ومُهَيِّج لما هو الغالب عليه،

قال أبو حامد : فاقول : لله سبحانه وتعالى سُرٌّ في مناسبة الغنات الموزونة للأرواح

- حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا : فمن الأصوات ما يُفْرِحُ ، ومنها ما يُحْزِنُ ، ومنها ما يُنْوَمُ ، ومنها ما يُضْحِكُ وَيُطْرِبُ ، ومنها ما يُسْتَخْرِجُ من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يُظَنَّ أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جارٍ في الأوتار حتى قيل : من لم يُحرِّكه الربيعُ وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك بفهم المعنى وتأثيره مشاهدٌ في الصبيِّ ٥
في مهده ، فإنه يسكته الصوتُ الطيبُ عن بكائه ، وتتصرف نفسه عما يُبْكِيه إلى الإصغاء إليه ، والجملُ مع بلادة طبعه يتأثر بالحذاء تأثيرا يَسْتَحِفُّ معه الأحمال الثقيلة ، وَيَسْتَقْصِرُ لِقَوَّةِ نشاطه في سماعه المسافات الطويلة ، وينبث فيه من النشاط ما يُسْكِرُه وَيُؤَلِّهُه ، فتراها إذا طالت عليها البوادي وأعترها الإعياء والكلال تحت الحامل والأحمال إذا سمعت مُنَادِي الحذاء تَمُدُّ أَعْنَاقَهَا وتُضْغِي إلى الحادي ناصبة ١٠
آذانها وتُسْرِعُ في سيرها حتى تترعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تُتَلِفُ أَنْفُسَهَا في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تَشْعُرُ به لنشاطها ، فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرَّقِيّ ، قال : كنت في البادية فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وأدخلني خباء فرأيت في الخباء عبدا أسودَ مقيدا بقيد ، ورأيت ١٥
جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه يترعُ رُوحَه ، فقال لي الغلام : أنت ضيف ولك حق فنَشْفَعُ في حق إلى مولاي فإنه مُكْرِمٌ لضييفه فلا يردُّ شفاعتك ففساه يحلّ الفيدَ عَنِّي ، فلما أحضروا الطعام أمتنعت وقلت : لا آكل ما لم أُشْفَعُ في هذا العبد ، فقال : إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميعَ مالي ، فقلت : ما ذا فعل ؟ فقال : إن له صوتا طيبا ، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال ففعلها أحمالا نقالا وكان يحدو بها حتى قطعتُ مسيرةَ ثلاثِ ليلٍ في ليلةٍ من ٢٠

- طِيبَ نَعْمَتِهِ ، فَلَمَّا حُطَّتْ أَحْمَالُهَا مَوَّتَتْ كُلُّهَا إِلَّا هَذَا الْجَمْلَ الْوَاحِدَ ، وَلَكِنْ أَنْتَ ضَيْفِي فَلِكِرَامَتِكَ قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ ، قَالَ : فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَمْرَهُ أَنْ يَحْدُوَ عَلَى جَمْلٍ يَسْتَقِي الْمَاءَ مِنْ بئرٍ هُنَاكَ ، فَلَمَّا رَفَعَ صَوْتَهُ هَامَ ذَلِكَ الْجَمْلُ وَقَطَعَ حَبَالَهُ وَوَقَعْتُ أَنَا عَلَى وَجْهِهِ ، فَمَا أَظُنُّ أَنِّي قَطُ سَمِعْتُ صَوْتًا أَطْيَبَ مِنْهُ ، قَالَ :
- فَإِذَا تَأَثَّرَ السَّمَاعُ فِي الْقَلْبِ مُحْسُوسٌ ؛ وَمَنْ لَمْ يَحْزَكَ السَّمَاعُ فَهُوَ نَاقِصٌ مَائِلٌ عَنِ ٥
الْإِعْتِدَالِ ، بَعِيدٌ عَنِ الرُّوحَانِيَّةِ ، زَائِدٌ فِي غِلَظِ الطَّبْعِ وَكثَافَتِهِ عَلَى الْجَمَالِ وَالطَّيُورِ بَلْ عَلَى سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، فَإِنَّ جَمِيعَهَا تَتَأَثَّرُ بِالنَّغَمَاتِ الْمَوْزُونَةِ . وَمَهْمَا كَانَ النَّظَرُ فِي السَّمَاعِ بِاعْتِبَارِ تَأَثُّرِهِ فِي الْقُلُوبِ لَمْ يَمِزْ أَنْ يُحْكَمَ فِيهِ مُطْلَقًا بِإِبَاحَةٍ وَلَا تَحْرِيمٍ ، بَلْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ وَالْإِخْتِصَافِ وَأَخْتِلَافِ طُرُقِ النَّغَمَاتِ ، فَحُكْمُهُ حَكْمُ مَا فِي الْقَلْبِ .
- قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : السَّمَاعُ لَا يَجْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَلَكِنْ يُحْزِزُ مَا هُوَ فِيهِ . ١٠

ذكر أقسام السماع وبواعثه

- وَأَقْسَامُ السَّمَاعِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ : فَإِنَّ مِنْهُ مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ ، وَمَا هُوَ مَبَاحٌ ، وَمَا هُوَ مَكْرُوهٌ ، وَمَا هُوَ حَرَامٌ . أَمَّا الْمُسْتَحَبُّ فَهُوَ لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يُحْزَكَ السَّمَاعُ مِنْهُ إِلَّا الصِّفَاتُ الْمَحْمُودَةُ ؛ وَأَمَّا الْمَبَاحُ فَهُوَ لِمَنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ السَّمَاعِ إِلَّا التَّلَذُّذُ بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ ؛ وَأَمَّا الْمَكْرُوهُ فَهُوَ لِمَنْ لَا يَنْزِلُهُ عَلَى صُورَةِ الْمَخْلُوقِينَ ١٥
وَلَكِنْ يَتَخَذُهُ عَادَةً لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْحَرَامُ فَهُوَ لِأَكْثَرِ النَّاسِ مِنَ الشَّبَابِ وَمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ الدُّنْيَا فَلَا يُحْزِزُكَ السَّمَاعُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ . وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا مَخْتَصَرُهُ وَمَعْنَاهُ : الْكَلِمَاتُ الْمُسْجَعَةُ الْمَوْزُونَةُ تُعْتَادُ فِي مَوَاضِعَ لِأَغْرَاضٍ مَخْصُوصَةٍ تَرْتَبِطُ بِهَا آثَارٌ فِي الْقَلْبِ وَهِيَ سَبْعَةٌ مَوَاضِعَ : ٢٠

الأول : غناء الحجج فإنهم يدورون أولاً في البلاد بالطليل والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثاني : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضاً لما فيه من استثارة النفس وتحريكها على الغزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقيح الفرار .

الثالث : ما يرتجزه الشجعان عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب ، لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدح بالشجاعة والنجدة ، وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهيج البكاء وملازمة الحزن والكآبة ، وهذا قسمان : محمود ومذموم . فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يُغْضِبُ اللَّهَ جَلَّ جلاله ^(١) وتأسف على ما لا تدارك فيه . وأما الم محمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه . والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محموداً ، فقد كان يَحْزَنُ وَيُحْزَنُ وَيَبْكِي وَيَبْكِي حتى كانت الجناز تُرْفَع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك محمود لأن المنفضي إلى المحمود محمود ، وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن يُشَدَّ على المنبر بالحناء الأشعار المحزنة المرفقة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى بكاء غيره وإثارة حزنه .

(١) كذا بالأصل ، وفي الاحياء : فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف الخ . ٢٠

- الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيباً له إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وعند الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معتاد لأجل إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إنشادهم بالدّف والألحان عند مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم يقولون

طلع البدر علينا * من ثنّياتِ الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

- فإظهارُ هذا السرور بالنغّات والشعر والرقص والحركات محمودٌ . فقد نُقل عن جماعة من الصحابة أنهم حَجَلُوا في سرور أصحابهم كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل غائب وكل ما يجوز الفرح به شرعاً . ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم وأجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

- السادس : سماع العُشّاق تحريكاً للشوق وتهيباً للعشق وتسليّةً للنفس ؛ فإن كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تبييج الشوق . والشوق وإن كان مؤلماً ففيه نوعٌ لذة إذا أنضاف إليه رجاء الوصال ؛ فإن الرجاء لذيق اليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشئ المرجوّ ، ففي هذا السماع تبييج للعشق وتحريك للشوق وتحصيل اللذة الرجاء المقدّر في الوصال مع الإطباب في وصف حسن المحبوب . قال : وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سرّيته فيُضغِي إلى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الإذن وبفهم لطائف

معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذا نوع تمتع من جملة
مباحات الدنيا ومتاعها وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهذا منه وكذلك إن
غُصِبَتْ منه جاريةٌ أو حَبِلَ بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يُحْزَنَ بالسماع
شوقه وأن يَسْتَتِرَ به لذةَ رجاء الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ
لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء . وأما من يَتَمَثَّلُ في نفسه
صورةً صبيّةٍ أو امرأةٍ لا يجوز له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل
في نفسه فهو حرام لأنه محزك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح
الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض الحكماء عن العشق
فقال : دخان يصعد الى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويبهجه السماع .

﴿٧٢﴾

السابع : سماع من أحب الله سبحانه وتعالى وعشقه وأشتاق إلى لقاءه فلا ينظر
إلى شيء إلا رآه فيه ، ولا يقرع سمعه قارعٌ إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع في حقه
مهيج لشوقه ، ومؤكد لعشقه وحبّه ، ومؤرّ زناد قلبه ، ومُستخرجٌ منه أحوالاً من
المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ، ويُكرّها من كلّ
حِسِّه عن ذَوَاقها ؛ وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وَجْداً — مأخوذ من
الوجود — وللصوفية على هذا كلامٌ يطول ترجمه ليس هذا موضع إيرادهِ والله أعلم .

ذكر العوارض التي يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى : والسماعُ محرمٌ بخمسة عوارض : عارض في المُسْمِعِ ،
وعارض في آلة السماع ، وعارض في نظم الصوت ، وعارض في نفس المستمع
أو في موطنه ، لأن أركان السماع هي المُسْمِعُ والمُسْتَمِعُ وآلة السماع .

للمعارض الأول : أن يكون المُسَمِّعُ امرأةً لا يَحِلُّ النظر إليها وتُخْشَى الفتنة من سماعها ، وفي معناها الصبي الذي تُخْشَى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة ، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث تَفْتَنُ بصوتها في المحاورة في غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا ، وكذلك الصبي الذي تُخَافُ فتنته . فإن قلت : فهل تقول : إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب ، أو لا يحرم إلا حيث تُخَافُ الفتنة ؟ فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاوزها أصلا : أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت منها الفتنة أو لم تُخَفْ لأنها مَظَنَّةُ الفتنة على الجملة ، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصورة . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يُلْحَقُ الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يَنْبَغِي أن يُقَصَّلَ فيه الحال .

١٠ . وصوت المرأة دائرٌ بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت . وليس تحريك النظر لشهوة الماسة كتتحريك السماع بل هو أشد . وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة ، فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغي أن يُتَّبَعَ مَثَارُ الفتن ويُقَصَّرَ التحريمُ عليه ، هذا هو الأقيس عندى . قال : ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضى الله عنها إذ يُعْلَمُ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعُ صوتهما ولم يحترز عنه ، ولكن لم تكن الفتنة مخوفةً عليه فلذلك لم يَحْتَرِزْ ، فإذا اختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يَخْتَلِفَ الأمرُ في مثل هذا بالأحوال ، فإننا نقول : للشيخ أن يُقَبَّلَ زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك ،

وَالْقَبْلَةُ تُدْعَوُ إِلَى الْوَقَافِ فِي الصُّومِ وَهُوَ مَحْظُورٌ، وَالسَّمَاعُ يَدْعُو إِلَى النَّظَرِ وَالْمُقَارَبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ أَيْضًا بِالْأَشْخَاصِ .

العارض الثاني في الآلة — بَأَن تَكُونَ مِنْ شَعَائِرِ أَهْلِ الشَّرْبِ أَوِ الْخَمْنِ وَهِيَ الْمَزَامِيرُ وَالْأَوْتَارُ وَطَبْلُ الْكُوبَةِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَمَا عَدَا ذَلِكَ يَبْقَى عَلَى أَصْلِ الْإِبَاهَةِ كَالذَّفِّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْجَلَّاجُلُ وَكَالطَّبْلِ وَالشَّاهِينَ وَالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ وَسَائِرِ الْأَلَاتِ .

العارض الثالث في نظم الصوت — وَهُوَ الشَّعْرُ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَفَا وَالْفَحْشِ وَالْهَجَاءِ أَوْ هُوَ كَذَبٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ عَلَى الصَّحَابَةِ كَمَا رَتَبَهُ الرُّوَافِضُ فِي هَجَاءِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَسَمَاعُ ذَلِكَ حَرَامٌ بِالْحَانَ وَغَيْرِ الْحَانَ ، وَالْمُسْتَمْعُ شَرِيكُ الْقَائِلِ ، وَكَذَلِكَ مَا فِيهِ وَصَفُ أَمْرَةٍ بَعِيْنَهَا فَإِنَّهُ لَا يَحْزُوزُ وَصَفُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرِّجَالِ . وَأَمَّا هَجَاءُ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ فَذَلِكَ جَائِزٌ ، فَقَدْ كَانَ حَسَنًا بَن ثَابِتٌ يُنَافِعُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُهَاجِرُ الْكُفَّارَ ، وَأَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ . فَأَمَّا النَّسِيبُ وَهُوَ التَّشْيِيبُ بِوَصْفِ الْخُدُودِ وَالْأَصْدَاغِ وَحَسَنِ الْقَدِّ وَالْقَامَةِ وَسَائِرِ أَوْصَافِ النِّسَاءِ فَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَحْرَمُ نَظْمُهُ وَإِنْ شَآدَهُ بَلَحْنٌ وَغَيْرُ لَحْنٍ ، وَعَلَى الْمُسْتَمْعِ أَلَّا يُتَزَلَّهُ عَلَى أَمْرَةٍ مَعِيْنَةٍ إِلَّا عَلَى مَنْ تَحَلَّى لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ ، فَإِنْ تَزَلَّهُ عَلَى أَجْنَبِيَّةٍ فَهُوَ الْعَاصِيُ بِالتَّزْوِيلِ وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ فِيهِ ، وَمَنْ هَذَا وَصَفُهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ السَّمَاعَ رَأْسًا فَإِنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَشْقُ تَزَلُّ كُلِّ مَا يَسْمَعُهُ عَلَيْهِ سِوَاهُ كَانَ اللَّفْظُ مَنَاسِبًا أَوْ لَمْ يَكُنْ ، إِذَا مَا مِنْ لَفْظٍ إِلَّا وَيُمْكِنُ تَزْوِيلُهُ عَلَى مَعَانٍ بِطَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ ، فَالَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ عَشْقُ مَخْلُوقٍ يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ

(٧٦)

السماع بأى لفظ كان، والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

- العارض الرابع فى المستمع — وهو أن تكون الشهوة غالباً عليه وكان فى غيرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخذ والوصال والفراق إلا ويحرك ذلك شهوته ويؤثره على صورة معينة ينفع الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيّل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى . والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات ، وبين حزب الله وهو نور العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجنّدين وأستولى عليه بالكلية، وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتشجيد سيوفه وأستته ، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن جميع السماع فإنه يستضره ، والله أعلم .

- العارض الخامس — أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون فى حقه محظوراً ، ولكنه أبيع فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه آتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته، فهذا هو السفیه الذى تردّ شهادته فإن المواظبة على اللهو جناية، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة؛ فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع

وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللَّعِبُ بالشَّطْرَنْجِ فإنه مباح ، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ؛ إذ راحة القلب معالجه له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه . هذا ملخص ما أورده في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته ، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

ذكر آثار السماع وآدابه

قال أبو حامد رحمه الله : اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتزيله على معنى يقع للاستيع ثم يُثَرُّ الفهمُ الوجد ، ويُثَرُّ الوجدُ الحركة بالحوارج ، فليُنظر إلى هذه المقامات الثلاثة :

١٠ المقام الأول — في الفهم ، وهو مختلف باختلاف أحوال المستمع . ولاستيع أربعة أحوال :

إحداها — أن يكون سماعه يجزّد الطبع أى لاحظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات فهذا مباح وهو أخس رتب السماع ؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم ، ولكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

١٥ الحالة الثانية — أن يسمع بفهم ولكن يُزَلَّه على صورة إما معينة أو غير معينة وهو سماع الشباب وأرباب الشهوة ويكون تزيلهم المسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن يُتَكَلَّم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها .

الحالة الثالثة — أن يُنَزَّلَ ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملة الله تعالى وتقلب أحواله في التمكن منه مرة وبعده منه أخرى، وهذا سماع المريد لاسم المبتدئين، فإن للريد للاحالة مراداً هو مَقْصِدُهُ، ومَقْصِدُهُ معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء؛ وله في مَقْصِدِهِ طريق هو سالكه، ومعاملات

- هو مثابرة عليها، وحالات تستقبله في معاملاته؛ فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصلي أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عِزَّةِ الوصال أو غير ذلك

Vo

- ١٠ مما يشتمل على وصفه الأشعار؛ فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه، فيجري ذلك مجرى القَدَاح الذي يورى زناد قلبه، فنشعل به نيرانه، ويقوى به أنبعاث الشوق وهيجانه، وتهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته، ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه؛ بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظ. وضرب الإمام الغزالي لذلك أمثلة يطول شرحها.

الحالة الرابعة — سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى جهن وسقط إحساسهن؛ وعن مثل هذه الحالة تُعبّر الصوفية بأنه فني عن نفسه

نفسه ، ومهما قَنِيَ عن نفسه فهو عن غيره أَفْنَى ؛ فَكَأَنَّهُ قَنِيَ عن كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ عن
الواحد المشهود، وَفَنِيَ أَيضاً عن الشهود فَإِنَّ القلبَ إِذَا أَتَتْهُ إِلَى الشهود وإلى نفسه
بأنه مُشَاهِدٌ فَقَدْ غَفَلَ عن المشهود . فالْمُسْتَهْتَرُ بِالْمُرْتَى لَا أَتَتْهُ لَهُ فِي حَالِ اسْتِغْرَاقِهِ
إِلَى رُؤْيِيهِ وَ[لَا] إِلَى عَيْنِهِ الَّتِي بِهَا رُؤْيِيهِ وَلَا إِلَى قَلْبِهِ الَّذِي بِهِ لَذَّتُهُ ؛ فَالْسَّكَانُ لَا خُبْرَ لَهُ
فِي سَكْرِهِ ، وَالْمُلْتَذِّ لَا خُبْرَ لَهُ فِي أَلْتَذَازِهِ ، إِنَّمَا خُبْرُهُ مِنَ الْمُلْتَذِّ بِهِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّ هَذَا
فِي الْغَالِبِ يَكُونُ كَالْبَرَقِ الْخَاطِفِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ وَلَا يَدُومُ وَإِنْ دَامَ لَمْ تُطْفَأِ الْقُوَّةُ
الْبَشَرِيَّةُ فَرُبَّمَا يَضْطَرُّبُ تَحْتَ أَعْبَائِهِ أَضْطِرَاباً تَهْلِكُ فِيهِ نَفْسُهُ كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ
النُّوْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وَدَادِكَ مِثْلَ * تَحْيَرِ الْأَلْبَابِ دُونَ نَزْوِهِ

- ١٠ فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع في أَجَمَةٍ قَصَبٍ قَدْ قُطِعَتْ وَبَقِيَ أَصُولُهَا
مِثْلَ السِّیُوفِ فَصَارَ يَعْذُو فِيهَا وَيَعِيدُ الْبَيْتَ إِلَى الْغَدَاةِ وَالِدَمُ يَجْرِي مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى
وَرِمَتْ قَدَمَاهُ وَسَاقَاهُ وَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَ أَبُو حَامِدٍ : وَهَذِهِ دَرَجَةٌ
الصَّدِيقِينَ فِي الْفَهْمِ وَالْوَجْدِ وَهِيَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ ، لِأَنَّ السَّمَاعَ عَلَى الْأَحْوَالِ وَهِيَ
مُمْتَرِجَةٌ بِصِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ نَوْعُ قُصُورٍ ، وَإِنَّمَا الْكَمَالُ أَنْ يَفْنَى بِالْكَلِيَّةِ عَنْ نَفْسِهِ وَأَحْوَالِهِ ،
أَعْنَى أَنَّهُ يَنْسَاهَا فَلَا يَبْقَى لَهُ أَتْلَفَاتٌ إِلَيْهَا كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّسْوَةِ أَتْلَفَاتٌ إِلَى الْيَدِ وَالسَّكِينِ ،
١٥ فَيَسْمَعُ بِاللَّهِ ، وَلِلَّهِ ، وَفِي اللَّهِ ، وَمِنْ اللَّهِ ؛ وَهَذِهِ رَتَبَةٌ مِّنْ خَاصِّ لُجَّةِ الْحَقَائِقِ وَعَبَّرَ
سَاحِلَ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَأَتَّخَذَ بِصِفَاءِ التَّوْحِيدِ وَتَحَقَّقَ بِحُضْرِ الْإِخْلَاصِ فَلَمْ يَبْقَ
فِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا ، بَلْ تَحَدَّثَ بِالْكَلِيَّةِ بَشَرِيَّتِهِ وَفَنِيَ أَتْلَفَاتُهُ إِلَى صِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ رَأْسًا .
قَالَ : وَلَسْتُ أَعْنَى بِفَنَائِهِ فَنَاءَ جَسَدِهِ بَلْ فَنَاءَ قَلْبِهِ ، وَلَسْتُ أَعْنَى بِالْقَلْبِ اللَّحْمِ وَالِدَمِ
بَلْ سِرِّ لَطِيفٍ لَهُ إِلَى الْقَلْبِ الظَّاهِرِ نَسْبَةً خَفِيَّةً وَرَاءَهَا سِرُّ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ مِنْ
٢٠

(١) الزيادة عن كتاب الاحياء . (٢) في الاحياء من في الموضعين بدل في .

(٣) عبارة الاحياء : فكان ينفذ فيها ويروح .

أمر الله عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا وَجَهِلَهَا مِنْ جَهِلَهَا ولذلك السرُّ وجودٌ، وصورة ذلك الوجود ما يحضُرُ فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر، ومثاله المرأة المحبوبة، إذ ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لَوْنُهَا لَوْنُ الحاضر فيها، وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لَوْنُ قَرَارِهَا، ولونها لَوْنُ الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورةٌ بل صورتها قَبُولُ الصُّورِ ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، قال: وهذه مَفَاصِدُ من مفاصل علوم

المكاشفة منها نشأ خيالٌ من آدعى الحلول والاتحاد. هذا مُلَخَّصٌ ما أورده في مقام الفهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقام الثاني — بعد الفهم والتنزيل الوجد. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

وللناس كلامٌ طويلٌ في حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألفاظاً ثم لنكشف عن الحقيقة فيه.

١٠. أما الصوفية، فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع: إنه واردٌ حقٌّ جاء يُزجِجُ القلوبَ إلى الحق، فنأصنئ إليه بحقَّ تَحَقُّقٍ، ومن أصرغ إليه بنفسٍ تَزَنَّدَقٍ. فكأنه عبَّرَ عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود السماع، إذ سَمِيَ السماعُ واردَ حقٍّ. وقال أبو الحسين الدراج مُحْتَرِماً عما وجده في السماع: والوجدُ عبارةٌ عما يُوجَدُ عند السماع، وقال: جال في السماع في ميادين البهاء، فأوجدني وجود الحق عند العطاء، فسقاني بكأس الصفاء، فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلى رياض الزهدة والفضاء. وقال الشَّيْبِيُّ: السماع ظاهره فِتْنَةٌ وباطنه عِبْرَةٌ، فمن عَرَفَ الإشارةَ حلَّ له آسْتِمَاعُ العِبْرَةِ وإلا فقد آسْتَدْعَى الفِتْنَةَ وتعرض للبلية.

وأقوال الصوفية في هذا النوع كثيرة.

٢٠. وأما الحكماء، فقال بعضهم: في القلب قِصْبَةٌ شريفةٌ لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان، فلما ظهرت سُرَّتْ وطُيِّرَتْ إليها، فاستمعوا

من النفس ونأجوها ودعوا مُناجاة الطواهر . وقال بعضهم : نتائج السماع أستنهاضُ العاجز من الرأى وأستجلابُ العازب من الفكر وحِدّة الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عَزَبَ وينهَضُ ما عَجَزَ ويصفو ما كَدَّرَ ويتمرَحُ في كل رأي ونِية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ . ثم ذكر المعنى الذى الوجد عبارة عنه فقال : هو عبارةٌ عن حالةٍ يثمرها السماع وهو واردٌ [حق] جديد عَقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو من قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفاتٍ ومشاهداتٍ هى من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ وإما أن ترجع إلى تغييراتٍ وأحوالٍ ليست من العلوم والتنبيهات بل هى كالشوق والخوف والحزن والتفانى والسرور والأسف والندم والبسط والقبض ، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ، فإن ضعفت بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر أو تسيكه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يُسمَّ وجداً ، وإن ظهر على الظاهر سُمي وجداً إما ضعيفاً وإما قوياً بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عُقد التماسك . وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشأ لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله ؛ فاتَّ الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه ، والسماع منبه .

(١) في بعض نسخ الاحياء : وينتج من .

(٢) الزيادة عن كتاب الاحياء ، وفسره الزبيدي شارح الاحياء بقوله : «أى وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوى لا يشوبه الباطل» .

ومنها تغيّر الأحوال ومشاهدتها وإدراكها، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد. ومنها صفاء القلب، والسماع مؤثر في تصفية القلوب، والصفاء سبب المكاشفة. ومنها أنبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه [قبل ذلك] قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله، وهذا الاستكشاف من ملاحظة أسرار الملكوت؛ وكما أن حمل الجمل يكون بواسطة، فبواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف؛ بل القلب إذا صفا تمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في القطة وبالرؤيا إذا كان في المنام، وذلك جزء من النبوة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة. وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال :

خرجت يوما في أيام جهل وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت
يَـطـيـرُنَا بآذِ كَرَمٍ ما مَرَرْتُ بِهِ * إِلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرِبُ المَاءَ

فسمعت قائلا يقول

وفي جهنم ماءٌ ما تجرعه * خَلَقْتُ فائق له في الجوف أمعاء

فقال : وكان ذلك سبب توبتي وأشتغالي بالعلم .

قال أبو حامد : فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم وفي لفظ منظوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب، ويشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يخيل

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج

وبينها وبين القادسية ميل ، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب وكانت من أزه المواضع محفوفة بالكرم والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة . ١٠ هـ .

لأرباب القلوب بصورٍ مختلفةٍ، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى » . قال : لحاصل الوجد يرتجع إلى مكاشفاتٍ وإلى حالاتٍ ينقسم كل واحدٍ منهما إلى ما لا يمكن التعبير عنه عند الإفافة منه وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلا . وضرب لذلك أمثلة : منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسألان متشابهتان في الصورة ويُدرِك بذوقه أن بينهما فَرْقًا في الْحُكْم ، فإذا كَلَّفَ ذَكَرَ وَجْه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وإن كان من أفصح الناس فيدرِك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق عِلْمٌ يصادفه في قلبه بالذوق، ولا شك أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لتصوير في لسانه بل لدقة المعنى أن تتاله العبارة .

وأما الحال فكَم من إنسانٍ يدرِك في قلبه في الوقت [الذي يصبح فيه] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر في شيء فيؤثّر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحسّ به، وقد تكون الحالة التي يحسّها سرورا يثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور، أو حزنًا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه، وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يُعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفَصِّحة عن المقصود؛ بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعضٍ وهي حالة يدرِكها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها، أعنى التفرقة بين الموزون والمترحف، ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها

بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم . فاما الأوتار وسائر النغبات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهذا عجيب ؛ والذي اضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشواق ويحد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى ؛ وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما ، صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورت ذلك دهشة وحيرة لا محالة .

ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راحي الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدرى أنه يشواق إلى الوقاع لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء ، فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلا ، إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي يسمع [لفظ] الوقاع و[اسم] النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة ليعرف بالمقايسة ؛ فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط ، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه وأشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويضطرب ويتعير ويكون كالمحتق

الذى لا يعرف طريق الخلاص ، فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصّف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر أنقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

وَأَعْلَمُ أَيْضاً أَنَّ الْوَجْدَ يَنْقَسِمُ إِلَى هَاجِمٍ وَإِلَى مُتَكَفِّفٍ يُسَمَّى التَّوَاجُّدَ ، وَهَذَا التَّوَاجُّدُ الْمُتَكَفِّفُ ، فَهُوَ مَذْمُومٌ وَهُوَ الَّذِى يَقْصِدُ بِهِ الرِّيَاءُ وَإِظْهَارُ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ مَعَ الْإِفْلَاسِ مِنْهَا ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ وَهُوَ التَّوَضُّعُ إِلَى الْأَسْتِدْعَاءِ لِلْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ وَأَكْتِسَابُهَا وَاجْتِلَابُهَا بِالْحِيلَةِ ، فَإِنَّ لِلْكَسْبِ مَدْخَلَ فِي جَانِبِ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ وَلِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ الْبُكَاءُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَبَاكَى وَيَتَحَازَنَ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ قَدْ تُتَكَفَّفُ مَبَادِيهَا ثُمَّ تُتَحَقَّقُ أَوَانِهَا ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ التَّكَفُّفُ

سَبَبًا فِي أَنْ يَصِيرَ الْمُتَكَفِّفُ بِالْآخِرَةِ طَبْعًا ، وَكُلٌّ مِنْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ أَوَّلًا يَحْفَظُهُ تَكَلُّفًا وَيَقْرُؤُهُ تَكَلُّفًا مَعَ تَمَامِ التَّأَمُّلِ وَإِحْضَارِ الذِّهْنِ ثُمَّ يَصِيرُ ذَلِكَ دَيْدِنًا لِلْسَّانِ مُطْرِدًا حَتَّى يَجْرَى بِهِ لِسَانُهُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَهُوَ غَافِلٌ فَيَقْرَأُ تَمَامَ السُّورَةِ وَتُثَوِّبُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ انْتِهَائِهِ إِلَى آخِرِهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي حَالِ غَفْلَتِهِ . وَذَكَرَ أَبُو حَامِدٍ أَمثلةً نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَحْوَالُ الشَّرِيفَةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ الْيَأْسُ عَنْهَا عِنْدَ فَقْدِهَا بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُتَكَفَّفَ اجْتِلَابُهَا بِالسَّمَاعِ وَغَيْرِهِ ، فَلَقَدْ شُوهِدَ فِي الْعَادَاتِ مَنْ أَشْتَمَى أَنْ يَعْشَقَ

شَخْصًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْشَقُهُ فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّ ذِكْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيَقْزُرُ عَلَى نَفْسِهِ الْأَوْصَافَ الْمَحْبُوبَةِ إِلَيْهِ وَالْأَخْلَاقَ الْمَحْمُودَةَ فِيهِ حَتَّى عَشِقَهُ وَرَسَخَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ رَسوخًا نَجَرَ عَنْ حَذِّ اخْتِيَارِهِ ، وَأَشْتَمَى بَعْدَ ذَلِكَ الْخِلَاصَ مِنْهُ فَلَمْ يَتَخَلَّصْ ، فَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ وَالْخَوْفُ مِنْ سَخَطِهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ إِذَا فَقْدَهَا الْإِنْسَانُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَكَفَّفَ اجْتِلَابُهَا بِمَجَالَسَةِ الْمُوصُوفِينَ بِهَا ، وَمَشَاهِدَةِ

أَحْوَالِهِمْ ، وَتَحْسِينِ صِفَاتِهِمْ فِي النَّفْسِ ، وَبِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي السَّمَاعِ ، وَبِالدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ

إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يُيسر له أسبابها ؛ ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاصين ؛ فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدري . ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : ” اللهم أرزقني حبك وحب من أحبك وحب من يُقرَّبني إلى حبك “ . فقد فزع إلى الدعاء في طلب الحب .

قال : فهذا بيان أنقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال ، وأنقسامه إلى ما يمكن الإيضاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وأنقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .



المقام الثالث — في آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يُحمد من آثار الوجد ويُذم .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهي خمس جملي :

- ١٠ الأول — مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال الغزالي : ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون شارعا مطروقا أو موضعا كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُتجنب ذلك .
- ١١ وأما الإخوان فسيبه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترهّد بالظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستغفلا في المجلس واشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر متكبر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبته ومراعاته ، أو متكاف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى .

الثانى — وهو نظر للحاضرين ، أن الشيخ إذا كان حوله مُريدون بضرم السماع فلا ينبغي أن يسمع فى حضورهم فإن سَمِعَ فليشغلهم بشغلٍ آخر . والمريد الذى لا يستفيد بالسماع أحد ثلاثة : أقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو مضيع لزمانه . الثانى : هو الذى له ذوق ولكن فيه بقية من الحظوظ والآلثفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد أنكساراً تَوْمَنُ غوائله فرجما يهيج السماع منه داعيةً اللهو والشهوة فينقطع طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد آنكسرت شهوته وأمنيت غائلته وأنفتحت بصيرته وآستولى على قلبه حبّ الله تعالى ، ولكنه لم يُحكَمْ ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله وصفاته ١٠ وما يجوز عليه وما يستحيل ، وإذا فُتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم عليه من نفع السماع . قال سهل : كلُّ وجدٍ لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ، ولا من يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ١٥ عن عبادته ومراعاة قلبه وتنقطع عليه طريقة الأدب ، فالسماع مَزَلَّةٌ قدِمَ يجب حفظ الضعفاء عنه .

الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل ، حاضر القلب ، قليل الآلثفات إلى الجوانب ، متحرراً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد ، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره ، متحفظاً عن حركة نُشْوشٍ على أصحابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكن الظاهر ، هادئاً ٢٠

- الأطراف متحرّزا عن التشنج والتأوب، يجلس مطّرقاً رأسه بجلوسه في فكرٍ مستغرقٍ لقلبه، مماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمرأة، ساكتا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بدّ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور وغير ملوم، ومهما رجع إليه اختياره فليعد إلى هدوه وسكونه ؛ ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال : أنقطع وجده على القرب، ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال : هو قاسي القلب عديم الصفاء والركة . قال : وقوة الوجد تحرك ، وقوة العقل والتماكس تضبط الظواهر ، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ويكون نقصان الكمال بحسب ذلك ، فلا نظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتمّ وجدا من الساكن باضطرابه بل ربّ ساكن أتمّ وجدا من المضطرب ، فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك ١٠ فقيل له في ذلك فقال : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُغَّ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في المملوكات، والجوارح متاذبة في الظاهر ساكنة .

- الأدب الرابع — ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ، ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المرأة لأن التباكي استجلاب للفرح، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون، وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم حملوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك [وذلك] في قصة آمنة حمزة بن عبد المطلب لما اختصم فيها ١٥

(١) يزفنون : يرقصون .

(٢) الزيادة عن الاحياء .

على بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم، فتشاحوا في تربيتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: «أنت منى وأنا منك» فجعل على. وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» فجعل. وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فجعل الحديث. قال: والمجل الرقص ويكون لفرج أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان

(٧٩)

فرحه محمودا، والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود، فإن كان مباحا فهو مباح، وإن كان مذموما فهو مذموم. نعم لا يليق ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب وماله صورة اللعب في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في أعين الخلق فيترك الاقتداء به. وأما تخريق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه، وتكون صورته صورة المكروه إذ يكون له في الحركة أو التزيق متنفس فيضطر إليه إضطرار المريض إلى الأئنين، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة أضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس، فكذلك الزعقة وتخريق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم.

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجده صادق من غير رياء وتكليف، أو قام باختيار من غير إظهار وجده وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحة، وكذلك إن حرت عادة طائفة بتنحية العامة على موافقة

(١) وفي النهاية لابن الأثير: المجل أن يرفع رجلا ويفتخر على الأخرى من الفرح وقد يكون بالرجلين إلا أنه مفر. (٢) الذى فى الاحياء : تمزيق.

- صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتخريق^(١)،
 الموافقة في هذه الأمور من حُسن الصحبة والعشرة إذ المخالفة موحشة، ولكل قوم
 رسمٌ ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما إذا كانت أخلاقا
 فيها حسن المعاشرة والمجاملة وتطيب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إن ذلك
 بدعة لم تكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة ولم ينقل
 النهي عن شيء من هذا . والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب،
 بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه
 أنس رضي الله عنه، وإن كان لم يثبت فيه نهى عامٌ، فلا نرى به بأساً في البلاد التي
 جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن القصد منه الاحترام والإكرام وتطيب
 القلب به، وكذلك سائر أنواع المساعدة إذا قصد بها طيبة القلب وأصطلح عليها
 جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل
 التأويل . ومن الأدب أن لا يقوم المرقص^(٢) مع القوم للرقص إذا كان يُستنقل رقصه
 ويشوش عليهم أحوالهم؛ إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي
 يلوح للجمع منه أثر التكلف، ومن يقوم عن صدق لا تستنقله الطباع، فقلوب
 الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب يحكُّ للصدق والتكلف . سئل بعضهم عن
 الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير
 أضداد . هذا ملخص ما أورده الغزالي رحمه الله تعالى في معنى السماع وقسمه إلى
 هذه الأقسام التي ذكرناها .

(١) في الاحياء . بالتخريق .

(٢) كذا في الأصل ولم يظهر له معنى . وأصل العبارة في الاحياء : ألا يقوم للرقص مع القوم ان
 كان الخ .

- وأما أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التي أحْتَجَّوا بها وَضَعَفَ رُواتها نحو ما تقدم وذكر الآية : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وأنه قيل : إنه الغناء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثَبَّتَ عن أحد من أصحابه رضى الله عنهم، وإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حُجَّةٌ؛ وما كان هكذا فلا يجوز القول به ثم لو صح لما كان فيه متعلق لأن الله تبارك وتعالى يقول : (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وكل شيء أَقْنَى لِيُضِلَّ به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن، فإذا لم يصح في هذا شيء فقد قال الله عز وجل : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) وقال تعالى : (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أعظم الناس جرماً في الإسلام من سأل عن شيء لم يُحرم فحرم من أجل مسألته“ فصح أن كل شيء حرمه الله عز وجل علينا فقد فصله لنا، وكل ما لم يُفصل تحريمه لنا فهو حلال . وأستدل رحمه الله على إباحته بالأحاديث التي ذكرناها، حديث عائشة عن خبر أبي بكر الصديق رضى الله عنهما في غناء الجاريتين، وأستدل أيضا بحديث نافع أن ابن عمر سمع زمزما فوضع إصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع، هل تسمع شيئاً؟ قلت : لا، فرفع إصبعيه عن أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت مثل هذا وصنع مثل هذا . قال : فلو كان حراماً ما أباح عليه الصلاة والسلام لابن عمر سماعه ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه، ولكنه عليه الصلاة والسلام كره لنفسه كل شيء ليس من التقرب إلى الله عز وجل، كما كره الأكل مُتَكِّئاً، والتنشيف بعد الغسل في ثوب يعتد لذلك، والستر المورش على سهوة عائشة وعلى باب فاطمة رضى الله عنهما، وكما كره صلى الله عليه وسلم أشد الكراهة أن يبيت عنده دينار أو درهم، وإنما بُعث عليه



الصلاة والسلام مُنْكَرًا لِلنَّكَرِ ، آمرا بالمعروف ؛ فلو كان ذلك حراما لما أَقْتَصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسُدَّ أذُنِيهِ عَنْهُ دُونَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَرْكِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ، وَلَمْ يَفْعَلْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بَلْ أَقْرَبَهُ وَتَرْتَهُ عَنْهُ فَصَحَّ أَنَّهُ مَبَاحٌ وَأَنْ التَّرْكَ لَهُ أَفْضَلُ كَمَا تَرَفُّضُ الدُّنْيَا الْمُبَاحَةِ . قَالَ : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) فَفِي أَىِّ ذَلِكَ يَقَعُ الْغَنَاءُ؟ قِيلَ لَهُ : حَيْثُ يَقَعُ التَّرْوِجُ ٥
فِي الْبَسَاتِينِ وَصِبَاغِ أَلْوَانِ الثِّيَابِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى فَإِذَا نَوَى الْمَرْءُ تَرْوِيجَ نَفْسِهِ وَإِجَامَهَا لِنَقْوَى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَمَا أَتَى ضَلَالًا . قَالَ : وَلَا يَحِلُّ تَحْرِيمُ شَيْءٍ وَلَا إِبَاحَتُهُ إِلَّا بِنَصٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَجُوزُ عَنْهُ تَعَالَى إِلَّا بِالنَّصِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَوَّأْ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ“ . وَقَدْ تَكَلَّمَ ١٥
عَلَى إِبَاحَةِ السَّمَاعِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ وَفِي أَوْرَدَانِهِ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ كِفَايَةٌ ؛ فَلْنَذْكُرْ مِنْ سَمْعِ الْغَنَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

ذَكَرَ مَنْ سَمِعَ الْغَنَاءَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قَدْ رَوَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَمِعُوا الْغَنَاءَ .

- ١٥ مِنْهُمْ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْنَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ : «بِالْأَغَانِي» ، بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي السَّائِبِ الْخَزْرَجِيِّ وَغَيْرِهِ ، قَالَ : دَخَلَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَدِينَةَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَأَبْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْفَقْتُ أَذُنَايَ [مِنْ] الْغَنَاءِ فَاسْمَعُونِي ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى عَزَّةِ الْمَيْلَاءِ فَإِنَّهَا مَنْ قَدْ

عَرَفْتُ ، فقال : إى وربّ هذه البنية ^(١) ! إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل شحذا ،
إبعثوا إليها عن رسالتى فإن أبت صرْتُ إليها ، فقال له بعض القوم : إنَّ الثقلَةَ تشتدُّ
عليها لتقل بدنُها وما بالمدينة دابةً تحملها ، فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوداج ؟
فوجهَ إليها بنحية فذكَرت عِلَّةً ^(٢) ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت
كنت أخبرَ بها ، قوموا بنا ، فقام هومع خواص أصحابه حتى طرَقوها فأذنت وأكرمت
واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها وقال لها : غَنَّى ، فغَنَّت

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا ^(٣) * فَهَجَّرَ أُمَ شَانُهَا ^(٤) شَانُهَا ؟
وَعَمْرَةَ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ * ءَ تَتَفَحُّ بِالْمَسِكِ أُرْدَانُهَا ^(٥)

قال : وهذا الشعر هو لقيس بن الخطيم في أم النعمان بن بشير وهي عمرة بنت رَوَاحَةَ
أخت عبدالله بن رَوَاحَةَ قال : فَأُشِيرُ إِلَى عَمْرَةَ أَنَّهَا أُمُّهَا فَامْسَكَتَ فَقَالَ : غَنَّنِي فَوَاللَّهِ
مَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا وَلَا تَغْنَى سَائِرَ الْيَوْمِ غَيْرُهُ ، فلم تزل تغنيه هذا اللحن حتى أنصرف .

ومنها : حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهاني
بسنده إلى محرز بن جعفر قال : خَتَنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ وَأَوَّلُمُ وَأَجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ
وَالْأَنْصَارُ وَعَاقَمَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَحَضَرَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفِّ بِصَرِّهِ يَوْمَئِذٍ وَنَقَلَ

(١) في الأغاني ، ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق « رُبَّ الكعبة » .

(٢) الأصل : لمن ، والتصويب عن الأغاني ، ج ١٤ ص ١٢١

(٣) كذا بالأصل ، وفي الأغاني : إليها .

(٤) غنيانها : أى استغناؤها ، وفي الأصل : « غنيانها » والتصويب عن الأغاني واللسان والديوان
الشاعر المذكور بعد المطبوع في ليبسك سنة ١٩١٤ م .

(٥) كذا في الأصل : وفي الأغاني واللسان والديوان « أُمُّ تَانَا شَانُهَا » وكلاهما ذو معنى والأول

أوجه .

(٦) جمع رد بضم فسكون وهو مَقْدَمُ كَمِ القميص أو القميص كله .

سمعه فَوَضَعَ بين يديه خُورَانٌ ليس عليه غيره إلا عبد الرحمن أبنه ، وكان يسأله كلما وُضِعَتْ صحفة قال : أ طعام يد أم يدين ؟ فلم يزل يأكل حتى جىء بشِوَاءٍ ، فقال : أ طعام يد أم يدين ؟ فقال : بل طعام يدين ، فأمسك يده ، حتى إذا فُرِغَ من الطعام ثَبَّتَ وسادَةً وأقبلت عَزَّةُ المَيْلَاءِ وهى إذا شَابَتْهُ ، فَوَضَعَ فى حجرها مِرْزَهْرَ فُضِرَتْ به وتَفَنَّتْ ، فكان أول ما أَبْتَدَأَتْ به شِعْرَ حسان

فلا زالَ قَصْرَيْنِ بُصْرَى وَجِلَقٍ ^(١) * عليه من الوَسْمِيِّ جَوْدٌ وَوَابِلٌ

فَطَرِبَ حسان وجعلت عيناه تنضَحَانِ على خديهِ وهو مُصْغٍ لها .

وروى أيضا بسنده إلى خارِجَة بن زيد أنه قال : دُعِينَا إلى مأْدُبَةٍ فى آل نُيَيْطٍ فحضرنا وحضر حسان بن ثابت فجلسنا جميعا على مائدة واحدة وهو يومئذ قد ذهب بصره ومعه أبنه عبد الرحمن ، وكان إذا أُتِيَ بطعام سأل أبنه عبد الرحمن أ طعام يد أم طعام يدين ؟ يعنى بطعام اليد الثريد ، وطعام اليدين الشواء لأنه يُهَشُّ نِشَا فإذا قال : طعام يد أكل وإذا قال : طعام يدين أمسك يده ؛ فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين مغتبتين إحداهما ” راتمة ” والأخرى ” عَزَّة ” فجلسنا وأخذنا مِرْزَهْرَيهما وضربنا ضربا عجيبا وَغَتَّا بقول حسان بن ثابت

أَنْظُرْ خَلِيلِي بَابَ جِلَقٍ هَلْ * تُؤْتِسِ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ ^(٢)
قال : فاستمع حسان يقول : قد أَرَانِي هُنَاكَ سَمِيعًا بِصِيرًا ، وعيناه تدمعان ، فإذا سكتا سكن عنه البكاء وإذا غَتَّتَا يبكى ، قال : وكنت أرى عبد الرحمن أبنه إذا سكتا يشير إليهما أن غَنِيَا ، فيبكى أبوه فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه ؟

(٨١)

(١) هى دمشق أو غوطتها وزنتها كحَصٍّ وقَنْب .

(٢) فى الأغانى ، ج ١٦ ص ١٥ : بها .

وروى أيضا بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال :
إني وفيّة من قريش عند قينة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن
حسان ، فكرهنا دخوله وشق علينا فقال لنا عبد الرحمن أبنه : أيسركم ألا يجلس ؟
قلنا : نعم ، قال : فمروا هذه إذا نظرت إليه أن تُنقى

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يُغشون حتى ما تهرئ كلابهم * لا يسألون عن السواد المقيّل

٥

قال : ففتته ، فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيمك الفاسق ؟
لعمري لقد كرهتم مجلدى اليوم ، وقام فانصرف . وهذا الشعر لحسان بن ثابت وهو
مما امتدح به جبلة بن الأيهم وهو من قصيدة طويلة منها قوله في مدح آل جفنة
بيض الوجهه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

١٠

وروى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى الحارث
أبن عبد الله بن العباس : أنه بينما هو يسير مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بطريق
مكة في خلافته ومعه من معه من المهاجرين والأنصار ، ترثم عمر بيت ، فقال له
رجل من أهل العراق — ليس مه عراق عيره — : غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين !
قال : فاستحيا عمر وضرب راحلته حتى انقطعت من الركب . قال المقدسي :

١٥

ويزيد ذلك وضوحا — وساق حديثا بسند رفعه إلى يحيى بن عبد الرحمن — قال : خرجنا
مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحج الأكبر حتى إذا كان عمر بالروحاء ^(١) كلم
الناس ربّاح بن المعترف ، وكان حسن الصوت بغناء الأعراب ، فقالوا : أنتمنا ^(٢)
وقصّر عنا الطريق ، فقال : إني أفرق من عمر قال : فكلم القوم عمر : إنا كلمنا

(١) موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) في الأصل : « المعرف » والتصويب عن أسد الغابة .

٢٠

رباحا أن يُسَمِّعَنَا وَيُقَصِّرَ عَنَّا طَرِيقَ الْمَسِيرِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ تَأْذَنَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا رِبَاحِ أَتُسَمِّعُهُمْ وَقَصِّرَ عَنْهُمْ الْمَسِيرَ فَإِذَا ائْتَحَرْتَ فَارْفَعْ وَاحْدُهُمْ بِشَعْرِ ضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَقَنَّى وَهُمْ مُحْرَمُونَ .

وروى أيضا بسنده إلى يَزِيدَ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَتَقَنَّى فَقَالَ : إِنَّ الْغَنَاءَ زَادُ الْمَسَافِرِ .

وروى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ الْبَجَلِيِّ : أَنَّ أَبَا مَسْعُودَ الْبَدْرِيَّ ، وَقَرظَةَ بْنَ كَعْبٍ ، وَثَابِتَ بْنَ يَزِيدٍ ، وَهُمْ فِي عُرْسٍ وَعِنْدَهُمْ غَنَاءٌ ، فَقُلْتُ : هَذَا وَأَتَمُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَقَالُوا : إِنَّهُ رُخِّصَ لَنَا فِي الْغَنَاءِ فِي الْعُرْسِ وَالْبِكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ فِي غَيْرِ نَوْحٍ ، إِلَّا أَنَّ شُعْبَةَ قَالَ : ثَابِتُ بْنُ وَدِيعَةَ مَكَانَ ثَابِتِ بْنِ يَزِيدٍ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا مَسْعُودٍ .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن أبي طالب المكي : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية وغيرهم وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضل المقدسي بسند رفعه إلى عمر بن أبي زائدة قال : حَدَّثَنِي أَمْرَأَةٌ عُمَرَ بْنِ الْأَصَمِّ ^(١) قَالَتْ : مَرَرْنَا وَنَحْنُ جَوَارٍ يَجْلِسُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَعَنَا جَارِيَةٌ تَقَنَّى وَمَعَهَا دُفٌّ وَهِيَ تَقُولُ

لَنْ فَتَنَّنِي فَهِيَ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتُ * سَعِيدًا فَأَمْسَى قَدْ قَلَى كُلَّ مُسْلِمٍ
وَأَلْقَى ^(٢) مَفَاتِيحَ الْقِرَاءَةِ وَأَشْتَرَى * وَصَالَ الْغَوَايِ بِالْكِتَابِ الْمُنَمَّمِ

فَقَالَ سَعِيدُ : تَكْذِيبَيْنِ تَكْذِيبَيْنِ .

(١) الذي في شرح الاحياء، ج ٦ ص ٤٦١ « عمرو » .

(٢) في الاصول فالق بالفاء . والتصويب عن شرح الاحياء، ج ٦ ص ٤٦١

ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعُباد والزهاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى أبي ريس ، قال : مررنا مع الشافعي وإبراهيم ابن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم

خيل لي ما بال المطايا كأنها * نراها على الأعقاب بالقوم تنكص^(١)

فقال الشافعي : ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم : أيطربك هذا ؟ قال : لا ، قال : فما لك حس !

وروى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : كنت أحب السماع وكان أبي يكره ذلك ، فواعدت ليلة ابن الخبازة فكثت عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام ، فأخذ يغني ، فسمعت خشفة فوق السطح ، فصعدت ، فرأيت أبي فوق السطح يسمع ما يغني وذيله تحت إبطه وهو يتختر كأنه يرقص . قال : وقد رويت هذه الحكاية أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل — وساق سندا إليه — قال : كنت أدعو ابن الخبازة وكان أبي ينهانا عن الغناء ، وكنت إذا كان عندي كتمته من أبي لئلا يسمع ، فكان ذات ليلة عندي وهو يقول ، فعرضت لأبي عندنا حاجة — وكانوا في رفاق — فجاء وسمعه يقول ، فوقع في سمعه شيء من قوله ، فخرجت لأنظر فإذا بأبي يخرج ذاهبا وجائيا ، فرددت الباب ودخلت ، فلما كان من الغد قال أبي : يا بني ، إذا كان مثل هذا فقم الكلام ، أو سماء . قال أبو الفضل : وابن الخبازة هذا هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر ، وكان عاصر أحمد وورثاه حين مات .

(٨٧)

(١) تنكص : ترجع ، وقد ورد هذا البيت في الأعاني ، ج ٤ ص ١٦٤ هكذا

خيل لي ما بال المطايا كأنها * نراها على الأدبار بالقوم تنكص

(٢) أي يتمايل .

وروى أبو الفضل أيضا بسند رفعه الى مُصْعَب الزُّهْرِيَّ أَنَّهُ قَالَ : حضرت مجلس مالك بن أَنَسٍ فسأله أبو مصعب عن السماع فقال مالك : ما أدرى ، أهلُ العلم ببلدنا لا يُنكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلا غيُّ جاهلٍ أو ناسكٍ عِرَاقِيٍّ غليظ الطبع . وقال أيضا : أخبرنا أبو محمد التيميُّ ببغداد قال : سألتُ الشريفَ أبا عليٍّ محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشميَّ عن السماع فقال : ما أدرى ما أقول فيه ، غيرَ أني حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التيميَّ سنة سبعين وثلثمائة في دعوة عَمَلِهَا لِأَصْحَابِهَا ، حضرها أبو بكر الأبهريُّ شيخ المالكية ، وأبو القاسم الدَّارِكيُّ شيخ الشافعية ، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث ، وأبو الحسن ابن سمعون شيخ الوعَاط والزَّهَّاد ، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين ، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التيميَّ شيخ الحنابلة فقال ١٠ أبو عليٍّ : لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق مَنْ يُفْتِي في حادثة يشبه واحدا منهم ، ومعهم أبو عبد الله غلام تامُّ ، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حَسَنٍ ، وربما قال شيئا ، فقليل له : قل لنا شيئا ، فقال لهم وهم يسمعون

حَطَّتْ أَنَامِلُهَا فِي بَطْنِ قُرْطَاسٍ * رِسَالَةٌ بِعَبِيرٍ لَا بِأَنْفَاسٍ (٢)

١٥ أَن زُرُّ قَدَيْتِكَ لِي مِنْ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ * فَإِنَّ حَبَّكَ لِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ
فَكَانَ قَوْلِي لِمَنْ أَتَى رِسَالَتَهَا * قَفْلِي لِأَمْشِي عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال أبو عليٍّ : فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أُفْتِيَ في هذه المسألة بِحَظَرٍ وَلَا إِباحة .

(١) كذا في الأصل والصواب أبو مصعب كما في كتب التراجم ويدل عليه قوله فيما بعد : فسأله أبو مصعب وهو كنية أحمد بن أبي بكر الزهري المدني أحد رواة الموطأ عن الإمام مالك .

(٢) بأنقاس : جمع نقس وهو المداد .

(٣) الذي في شرح الأحياء للسيد المرتضى

* أَن زُرُّ قَدَيْتِكَ قَفْلِي غَيْرِ مُحْتَشِمٍ *

ومن أحب السباع والغناء وسمعه من الزهاد والعباد والعلماء أبو السائب الخزومي . روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده الى صفية بنت الزبير بن هشام قالت : كان أبو السائب الخزومي رجلا صالحا زاهدا مُتَقَلِّلا يصوم الدهر وكان أرق خلق الله قلباوا أشدهم غزلا ، فوجه غلامه يوما يأتيه بما يُفِطِر عليه فأبطأ الغلام الى العتمة ، فلما جاء قال له : يا عدو نفسي ، ما أترك الى هذا الوقت ؟ قال : أجترت بباب فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته ، فقال : هاته يا بني ، فوالله لئن كنت أحسنت لأحبوك وإن كنت أسأت لأضربك ، فاندفع يغني بشعر كثير

ولما علوا شعبا تَبَيَّنْتُ أنه * يَقْطَعُ من أهل المجاز علائقي
فلازلن حَسَرَى ظُلُمًا لِمَ حَمَلْنَاهَا * الى بلدنا قليل الأصادق

١٠ فلم يزل يغنيه ويستعيده الى نصف الليل ، فقالت له زوجته : يا هذا ، قد أنتصف الليل وما أفطرت ، فقال لها : أنتِ الطلاق إن أفطرتنا على غيره ، فلم يزل يغنيه ويستعيده حتى أسحر ، فقالت له : هذا السحر وما أفطرتنا ، فقال لها : أنتِ الطلاق إن كان سُحُورنا غيره ، ثم قال لآبته : يا بني ، خذ جُبتِي هذه وأعطني خَلَقَكَ ليكون الحباء فضل ما بينهما ، فقال له : يا أبت ، أنت شيخ وأنا شاب وأنا أقوى على البرد منك ، فقال له : يا بني ، ما ترك هذا الصوت للبرد على سبيلا ما حييت . ويؤيد هذه الحكاية ما حكاه أبو طالب المكي في كتابه ، قال : كان بعض السامعين يقتات بالسماع ليقوى به على زيادة طيه ، كان يطوي اليوم واليومين والثلاثة ، فاذا تأقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فأثار تواجدَه فاستغنى بذلك عن الطعام .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جدّه قال : كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفة ، وكان يغشي عبد الله بن جعفر فسمع جارية مُغَنِّية لبعض النخاسين تُغني

بانت سعادُ وأمسى حبُّها أنقطعاً * وأحتلت الغورَ فالجَدَيْنِ فالفرعَا
وأُنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلْعَا

فهام الناسك وترك ما كان عليه حتى مشى إليه عطاء وطاوس ولاماه، فكان
جوابه لهما أن تمثل

٥ يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم * فما أبالي أطارَ اللومُ أم وقعا

فبلغ عبد الله بن جعفر خبره فبعث إلى النخاس فاعترض الجارية وسمع غناءها بهذا
الصوت وقال : ممن أخذتِه؟ قالت : من عَزَّةَ المِلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم
ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه، فقال : أُنحِبُ أَنْ تسمع هذا
الصوتَ ممن أخذته عنه تلك الجارية؟ قال : نعم، فدعا عَزَّةَ المِلاء فقال : غنِّيه
إياه، فغنَّته، فصعِقَ الرجل [وخرَّ] مَغْشِياً عليه، فقال ابن جعفر : أَيْمَنَّا بِهِ ، الماء ١٠
الماء ! فُضِضَ على وجهه، فلما أفاق قال له : أَكَلَّ هذا بلغ بك عشقها؟ قال :
وما خَفِيَ عليك أكثر قال : أفتُحِبُّ أن تسمعه منها؟ قال : قد رأيت ما نالني حين
سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على
مِلْكها فأنحرجها إليه وقال : خذها فهي لك والله ما نظرتُ إليها إلا عن عُزْرِضٍ،
فقبلَ الرجل يديه ورجليه وقال : أَلْتَمَتَ عَيْنِي وَأَحْبَبْتَ نَفْسِي وَتَرَكْتَنِي أَعِيشَ بَيْنَ ١٥
قَوْمِي وَرَدَدْتَ إِلَيَّ عَقْلِي ودعا له دعاء كثيراً، فقال عبد الله : ما أرضى أن أُعْطِيَكُهَا
هكذا، يا غلام، أحبل معه مثل ثمنها، ففعل .

قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين» : كان ابن مجاهد لا يُجِيبُ دعوةً إلا
أن يكون فيها سماع . قال : وكان أبو الخير العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله

عند السماع وصنّف فيه كتاباً وردّ فيه على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت : ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال : هو الصفاء الزلال الذي لا تثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وروى الأصفهاني بسند رفعه إلى ابن كُثَّاسة قال : أصطحب شيخ مع شاب في سفينة في القُرَات ومعهم مغنّية ، فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ وهى تُغنى فأحببنا أن نسمع غناها فهيناك ، فإن أذنت فعلنا ، فقال : أنا أصدّد في ظلال السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم فصعِد ، وأخذت المغنّية عودها وغنّت حتى إذا الصبح بدا ضوءه * وغابت الجوزاء والمِرْزَمُ أقبلتُ والوطءُ خَفِي كَمَا * ينسابُ في مَكْنَه الأرقمُ

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه وبثيابه في القُرَات وجعل يفوص ويطفو ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم ! فالتقوا أنفسهم خلفه فبعد لأي ما استخرجوه ، وقالوا : يا شيخ ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم عني ، فإني أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون ، فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دبّ من قدمي شيء إلى رأسي كديب النمل ونزل من رأسي مثله ، فلما اجتمعنا على قلبي عملت ما عملت .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : كنت أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّامِسيّة في حَرافة ووجه في طلي فصرتُ إليه ، فلما قُرْبْتُ منه سمعتُ غناء حيرني وشغّلني عن كلّ شيء ، فسقط سَوطِي عن يدي ، فالتفتُ إلى غلامي أطلب منه سوطاً ، فقال لي : قد والله سقط مني سوطي ، فقلت له : أيّ شيء كان سببَ سقوطه ؟ قال : صوت سمعته فحيرني فما علمتُ كيف سقط ، فإذا قصّته قصّتي . قال : وكنتُ أنكرُ أمر الطرب على الغناء وما يستفزّ الناس منه فيغلب على

عقولهم ، وأناظر المعتصم عليه ، فلما دخلت عليه يومئذ أعلمته بالخبر فضحك وقال :
هذا عمي كان يغتنيني

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَقِصٍ * أَنْشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاثًا
فَإِنْ تُبَيَّنَ مِمَّا كُنْتَ تُنَاطِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَمِّ الْغَنَاءِ سَأَلْتَهُ أَنْ يُعِيدَهُ ، ففعلتُ وفعل ، فبلغ
بِى الطَّرْبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْلُغُهُ مِنْ غَيْرِي ، وَرَجَعْتُ عَنْ رَأْيِي مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ وَعَمَّهُ
الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ .

ذَكَرَ مَنْ غَنَّى مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتُ
مِنَ الْغَنَاءِ نَقَلْتُ عَنْهُ

كَانَ مَنْ غَنَّى مِنَ الْخُلَفَاءِ — عَلَى مَا أوردَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ
بِالْأَغَانِي — وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتُ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ نُسِبَتْ لَهُ
أَصْوَاتٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُنْكَرَ ذَلِكَ وَلَعَلَّ مَا نُقِلَ عَنْهُ كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ . وَكَانَ رَحِمَهُ
اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا فَكَانَ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ

عَلَّقَ الْقَلْبُ سَعَادًا * عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كُلَّمَا عُوتِبَ فِيهَا * أَوْ نُهِيَ عَنْهَا تَمَادَى
وَهُوَ مُشْغُوفٌ بِسُعْدَى * وَعَصَى فِيهَا وَزَادَا

وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ مَا قِيلَ إِنَّهُ غَنَّاهُ مِنْ شَعْرِ جَرِيرٍ
فَقِفَا يَا صَاحِبَيَّ نَزَّرَ سَعَادًا * لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَدَعَا الْبِعَادَا^(١)

(١) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١ ش أدب هكذا :

أَلَمَّا صَاحِبَيَّ نَزَّرَ سَعَادَا * لَقَرَبَ مَرَارَهَا وَذَرَا الْبِعَادَا

وبرد هكذا أيضا في الأغاني ، ج ٨ ص ١٥٠ عدا الشطر الثاني فانه هكذا :

* لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَذَرَا الْبِعَادَا *

لَعَمْرُكَ إِنَّ نَفْعَ سَعَادَ عَنِّي * لمصروف ونفعي عن سعاد
إلى الفاروق يَنْتَسِبُ أَبْنُ لَيْلَى ^(١) * وَمَرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا
ومن ذلك ما قيل إنه غناه من شعر الأشهب بن رُمَيْلَةَ ^(٢)
أَلَا يَا دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى * كما قَدْ دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سَعَادَا
هَمَّا سَبَبْنَا الْفُؤَادَ وَهَاضَاهُ ^(٣) * ولم يَدِرْكَ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا
فَإِذَا نَعَرِفْ مَنَازِلَ مِنْ سُلَيْمَى * دَوَارِسَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عِرَادَا
ذَكَرْتُ لَهَا الشَّبَابَ وَآلَ لَيْلَى * فلم يَزِدْ الشَّبَابُ بِهَا مَزَادَا
فَإِنْ تَسِبَّ الذَّوَابُ أَمَّ عَمْرُو * فَقَدْ لَاقَيْتُ أَيَّامًا شِدَادَا

(٨٤)

وممن غنى من خلفاء الدولة العباسية، ممن دُونَتْ لَهُ صِنْعَةُ، الْوَائِقُ بِاللَّهِ
أَبُو جَعْفَرٍ هَارُونَ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ . حَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ
إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا دَارَ الْوَائِقِ بِاللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَى مَوْضِعٍ
أَمَرَ أَنْ أَدْخُلَهُ إِذَا كَانَ جَالِسًا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ عُودٍ مِنْ بَيْتٍ وَتَرْتُمًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ
مِنْهُ ، فَأُطْلِعُ خَادِمَ رَأْسِهِ ثُمَّ رَدَّهَ وَصَاحَ بِي ، فَدَخَلْتُ وَإِذَا أَنَا بِالْوَائِقِ بِاللَّهِ ، فَقَالَ :
أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَ ؟ فَقُلْتُ : الطَّلَاقُ كَامِلٌ لِإِزْمٍ لَهُ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حَرٌّ لَقَدْ سَمِعْتُ
مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ حُسْنًا ! فَضَحِكُ وَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ إِنَّمَا هَذِهِ فَضْلَةٌ أَدَبٍ وَعِلْمٍ
مَدَحُهُ الْأَوَائِلُ وَأَشْتَهَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعُونَ بَعْدَهُمْ وَكَثُرُوا
فِي حَرَمِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَمَهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَحِبُّ أَنْ تَسْمِعَهُ ؟
قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِخُطَابِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، هَاتِ الْعُودَ وَأَعْطِ
إِسْحَاقَ رَطْلًا ، فَدَفَعَ الرُّطْلَ إِلَيَّ وَضَرَبَ وَغَنَى فِي شَعْرِ لَأْبَى الْعَتَاهِيَةِ بِلَحْنٍ صَنَعَهُ فِيهِ

٢٠ (١) في الأصل : "لَيْلَى" والتصويب عن الأغاني والديوان . (٢) في الأصل : رَسَلَةٌ .
والتصويب عن الأغاني ، ج ٨ ص ١٥٨ (٣) في الأغاني ، ج ٨ ص ١٥٨ : وَأَصْبَتَاهُ .

أَصْحَتْ قُبُورُهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِمْ * تَسْنِي عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجُفُ الشَّيْلُ
لَا يَذْفَعُونَ هَوَامًا عَنْ وُجُوهِهِمْ * كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالْقَاعِ مُنْجِدِلُ

فشربت الرطل ثم قتت فدعوت له فأحتبسني وقال : أتشتهى أن تسمعه بالله ؟
فقلت : إى والله ، فننأيه ثانية وثالثة ، وصاح ببعض خدمه وقال : إحمل إلى إسحاق
الساعة ثلاثمائة ألف درهم ، قال : يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت
ثلاثة أرطال وأخذت ثلاثمائة ألف درهم فأنصرف إلى أهلك مسرورا ليُسروا معك ،
فانصرفت بالمال . وقال أبو الفرج بسنده إلى عريب المأمونية قالت : صنع الوراق بالله
مائة صوت ما فيها صوت ساقط ، ولقد صنع في هذا الشعر

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني إليك فإن الحب أقصاني

هذا كتابُ قتي طالَت بليتُهُ * يقول يا مُشْتَكِي بئى وأحزاني

قال : وكان الوراق بالله إذا أراد أن يعرض صناعته على إسحاق نسبها إلى غيره
فقال : وقع إليا صوت قديم من بعض العجائز فاستمعه ، وأمر من يغنيه إياه . وكان
إسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في ذلك أشد أخذ ، فإن كان جيذا رضىه وأستحسنه .
وإن كان فاسدا أو مُطَرَحًا أو متوسطا ذكر ما فيه ، فإن كان للوراق فيه هوى سأل
تقويمه وإصلاح فاسده وإلا أطرحه . وقال إسحاق بن إبراهيم : كان الوراق أعلم
الناس بالغناء وبلغت صناعته مائة صوت وكان أحذق من غنى بضرب العود ثم ذكر

أغانيه ، وذكر أبو الفرج الأصفهاني منها أصواتا ؛ منها

وَلَمْ أَرِ لَيْلَى غَيْرَ مَوْفِفٍ لَيْلَةٍ * بِخَيْفٍ مَنَى تَرْبَى حِمَارَ الْمُخَصَّبِ

وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا خَدَفَتْ بِهِ * مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَصَّبِ

أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَ مَالِكٍ * صَدَى أَيْتَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

وَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَأَطِيرٍ * مَعَ الصَّبَحِ فِي أَعْجَازِ نَجْمٍ مُغَرَّبِ

وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركها اختصارا .

قال : ولما خرج المعتصم الى عَمُورِيَّةَ اسْتَخْلَفَ الواثق ، فوجه الواثق الى الجلساء والمغنين أن يُسَكِّروا إليه يوما حده لهم ، ووجه إلى إسحاق ، فحضر الجميع ، فقال لهم الواثق : إني عزمتُ على الصَّبوح ولستُ أجلس على سريرٍ حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد فأجلسوا معي حلقةً وليكن إلى جانب كل جلييس مُغَنٍّ ، فجلسوا كذلك ، فقال الواثق : أنا أبدأ ، فأخذ العود فغنى وشربوا وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق وأعطى العود فلم يأخذه فقال : دعوه ثم غنوا دورا آخر ، فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يُغَنِّ وفعل ذلك ثلاث مرات ، فوثب الواثق بجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا فما قال لأحد منهم : اجلس ، ثم قال : على إسحاق ، فلما رآه قال : يا خُوِزَيَّ^(١) يا كَلْبُ ، أَتَبَدَّلَ لك وأُغْنِي فتَرفع على ! أتراني لو قتلتك كان المعتصم يُقَيِّدُنِي بك ؟ إبطوه ، فبُطِحَ وضُرب ثلاثين مِقرة ضربا خفيفا وحلف لا يُغْنِي سائر يومه سواه ، فأعتمر وتكلمت الجماعة فيه ، فأخذ العود وما زال يغنى حتى أفضى مجلسه . وللواثق بالله في الغناء أخبار وحكايات يطول بذكرها الشرح .

٨٥

ومنهم المتصمر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر . قال يزيد المهلبى : كان المتصمر حسنَ العلم بالغناء ، وكان إذا قال الشعر صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره ، فلما ولي الخِلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه ، فذلك لم تظهر أغانيه .

ومنهم المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . ذكر أيضا أنه كان يغنى أصواتا ، فما غنى به في شعر عدى بن الرَّقَّاع

٢٠ (١) الخوزى نسبة الى الخوز ، وهى بلاد حوزستان وأهلها ألأم الباس وأسقطهم فسا كما جاء في معجم البلدان لياقوت .

لَعُمْرَى لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلَنَا * بِأَكْثافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
فَرَنْ يَكُ مِنْهَا يَبْتَ أَمْنَا * وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

وهذه الأبيات من قصيدة لعدى بن الرقاع قالها في الواقعة التي كانت بين عبد الملك
أبن مروان ومُصْعَب بن الزُبَيْر وقُتِل فيها مصعب بن الزبير على ما نذكر ذلك إن
شاء الله تعالى في أخبار عبد الله بن الزبير .

ومنهم المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله ، هو ممن له يدٌ
في الغناء وصنعةٌ حسنة ، ومما نُقِل من أغانيه أنه غنى في شعر الفرزدق
ليس الشفيعُ الذي يَأْتِيكَ مُؤْتَرِّراً * مِثْلَ الشفيع الذي يَأْتِيكَ عُريَّانَا

وقال عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضد جمع النعم العشر في صوت
صنعه في شعر دُرَيْد بن الصَّمَّة وهو

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ * أَحْبَبَ فِيهَا وَأَضَعُ

قال : وأستعلمني هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ؟ فعزفته صحته ودلته على
ذلك حتى تيقنه فسرَّ به ، قال عُبيد الله : وهو لَعُمْرَى من جَيْد الصنعة ونادرها ،
قال : وقد صنع الحاناً في هذه الأشعار صنع فيها الفحول من القدماء والمحدثين
وعارضهم بصنعتيه فأحسن وشاكل وضاهى فلم يعجز ولا قصر . ولا أتى بشيء يُعتذر
منه . قال : فمن ذلك أنه صنع في قول الشاعر

أَمَّا الْقَطَاةُ فَإِنِّي سَوْفَ أَنْعُمُهَا * نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْتِي بَعْضَ مَا فِيهَا

(١) أصحرت : برزت الى الصحراء .

(٢) من ما ابتدأ المؤلف في الحديث عن المعتضد الذي هو ابن المعتمد ولم يترجم له كما فعل في سابقه .

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب الاعاني ، ج ٩ ص ٢٠ : « في عدة أشعار قد صنع » الخ .

بغاء في نهاية الجودّة وهو أحسن ما صنّع في هذا الشعر على كثرة الصنعة فيه
وأشترك القدماء والمحدثين في صنعته ، مثل معبد ونسيط ومالك وابن محرز وسنان
وعمر الوادي وابن جامع وإبراهيم وأبنة إسحاق وعلاويه . قال : وصنع في
تَشَكِّي الكَيْتِ الجَرَى لما جَهِدَتْهُ * وَبَيْنَ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا
فما قَصَرَ في صنعته ولا عَجَزَ عن بلوغ الغاية فيها مع أصوات له صنعها شَاهِرَةٌ مائة
صوت ما فيها ساقط ولا مرذول . فهؤلاء الذين لهم صنعة في الغناء من الخلفاء .



وأما أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة وَيَدُّ في هذا الفن

فمنهم إبراهيم بن المهدي ، وأخته عليّة بنت المهدي رحمهما الله تعالى ،
وإبراهيم يكنى أبا إسحاق وأمه شَكْلَة أُمّة مَوْلدة كان أبوها من أصحاب المازيار ١٠
يقال له : شاه أفرند قتل مع المازيار وسُيِّت شَكْلَة فُحِمَتْ إلى المنصور فوهبها
لحيّاة أم ولده فربّتها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك ، فلما كَبُرَتْ رُدَّتْ إليها ،
فراها المهدي فأعجبته فطلبها من حَيّاة فأعطته إياها فولدت له إبراهيم . قال أبو العرج
الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم قال : كان إبراهيم بن المهدي أَشَدَّ خَلَقَ
الله إعظاما للغناء وأحرصهم عليه وأشدّهم منافسةً فيه ، قال : وكانت صنعته لَيِّنَةٌ فكان ١٥
إذا صنع شيئا نسبته إلى غيره لثلاث يقع عليه طعن أو تفرّيع فَقَلَّتْ صنعته في أيدي الناس
مع كثرتها ، وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطرّبا لا تكتسبا وأغنى
لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتهى . قال : وكان حُسْنُ صوته يستر عَوَارَ ذلك ، وكان
الناس يقولون : لم يُر في جاهلية ولا إسلام أَخٌ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن

(١) كذا بالأصل ، وفي الطبري : سَكْلَة أم إبراهيم بن المهدي وهي بنت حُرناسان قهرمان المصمعيان ؛
وكتب مصدحه : حرادان ، أنظار الحر الأول من القسم الثالث ص ١٤٠ ملحق أوروبا .

المهدى وأخته علية، وكان إبراهيم يجادل إسحاق ويأخذ عليه في مواطن كثيرة إلا أنه كان لا يقوم به ويظهر إسحاق خطأه، ووقع بينهما في ذلك بين يدي الرشيد وفي مجلسه كلام كثير أفضى إلى أمور نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبار إسحاق ابن إبراهيم. وكان إبراهيم بن المهدى في أول أمره يتستر في الغناء بعض التستر إلا أنه يذكره في مجلس الرشيد أخيه، فلما كان من أمره في الوثوب على الخلافة ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا لخلافة المأمون بن الرشيد ثم أقمته المأمون بعد هربه منه، تهتك بالغناء ومشى مع المغنين ليلا إذا خرجوا من عند المأمون، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهر للناس أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وأنه تهتك فلا يصلح للخلافة. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطعمهم في الغناء وأحسنهم صوتا، وكان مع علمه وطبعه ومعرفة يقصر عن الغناء القديم وعن أن ينحوه في صناعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفًا شديدًا ويحققها على قدر ما يصلح له ويفي بأدائه فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك وابن ملك وإنما أغنى على ما أشتى وكما ألتذ، فهو أول من أفسد الغناء القديم.

وروى عن حمدون بن إسماعيل قال: قال إبراهيم بن المهدى: لولا أنى أرفع نفسي عن هذه الصنعة لأظهرت منها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبل مثلى. وروى أبو الفرج الأصفهاني عن جعفر بن سليمان الهاشمي قال: حدثنا إبراهيم ابن المهدى قال: دخلت يوما على الرشيد وبني طربة^(٢) تحار وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي فقال: بحياتي يا إبراهيم غن، فأخذت العود ولم ألثفت إليهما لما في رأسي من الفضلة، فغنيت

(٨١)

(١) في الأغاني ج ٩ ص ٤٩ «لا يقوم له».

(٢) في الأغاني ج ٩ ص ٥٠ «وي رأسي فضلة تحار».

أَسْرَى لِحَالِدَةَ الْخَيْالِ وَلَا أَرَى * شَيْئًا أَلَذَّ مِنْ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ يُمَلِّ حَدِيثُهُ * فَأَنْقَعُ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النَّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ * مَذْنُوتِ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُجَازِ مَوْدَتِي * لَيْسَ الْمَكْذَبُ كَالْجَلِيبِ الصَّادِقِ
فَسَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ لِأَبْنِ جَامِعٍ : لَوْ طَلَبَ هَذَا بَهَذَا الْغَنَاءَ مَا نَطْلَبُ لِمَا أَكَلْنَا
خَبْزًا أَبَدًا ، فَقَالَ ابْنُ جَامِعٍ : صَدَقْتَ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ غَنَائِي وَضَعْتُ الْعُودَ ثُمَّ قُلْتُ :
خُذَا فِي حَقِّكَمَا وَدَعَا بَاطِلُنَا .

وَرُويَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ يَحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ نِغْلًا فِي مَرَاتٍ إِلَى أَنْ
سَمِعَنِي ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ سَلْيَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لِي : عَمَكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ
الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ

سَقِيًّا لِرَبْعِكِ مِنْ رِبْعِ بَذَى سَلَمَ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَهْنِ
إِذَا أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةً * وَإِذَا أُجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسْنِي^(١)

فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دَرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ عِنْدَهُ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ
يُحْيَى : أَنَا أَحَبُّ أَنْ تُشْرِفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تُغْنِيَهُ صَوْتَا فُغْنِيَّتِهِ لِحَنَّا صَنَعْتُهُ فِي شَعْرِ الدَّارِمِيِّ
كَأَنَّ صُورَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفْتُ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرُوبَةِ الْعَتِقِ^(٢)
فَأَمَرَ لِي الرَّشِيدُ بِأَلْفِ دَرْهَمٍ .

وَحَكِيَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَمَّا صَنَعْتُ صَوْتِي الَّذِي هُوَ
قُلُّ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا ، وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أُرِدُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لَا عِيَا

(١) السَّادِرَةُ : الْمُنْخَرِجَةُ ، وَالرَّسْنُ الْحَبْلُ . (٢) فِي الْأَنَاقِ ح ٩ ص ٥١ « مِنَ الْمَصْرُوبَةِ الْعَتِقِ » .

وَأَعْرَفْنَا بِمَا آدَعَيْشَتْ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
فَافْعَلْ آلَانَ مَا أُرِدَ * تَ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبًا

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إلى يسألني عنه، فكتبت إليه الشعر وإيقاعه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه فغناه ثم لقيني فغنايه، ففضلني فيه بحسن صوته .
وقال ابن أبي طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي ينتحج فاطرب .

وعن محمد بن جرير بن عبد الله بن العباس الربيعي^(٢) قال : كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل محسن من المغنين يومئذ وهو جالس يلاعب أحدهم بالشطرنج فترتم إبراهيم بصوت فريدة في شعر أبي العتاهية

قال لي أحمد ولم يدر ما بي * أُنْجِبَ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًا
فَتَنْفَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حَبَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا

وهو يبكي، فلما فرغ ترتم به مخارق فأحسن فيه وأطربه وزاد على إبراهيم، فغناه إبراهيم وزاد في صوته على غناء مخارق، فلما فرغ رده مخارق وغناه بصوته كله وتحفظ فيه وكدنا نظير سرورا، فاستوى إبراهيم جالسا وكان متيكا وغناه بصوته كله ووقاه نغمه وشذوره ونظرت إلى كتفيه تهتران وبدنه أجمع يتحرك إلى أن فرغ منه، ومخارق شاخص نحوه يرعد وقد أنشع لونه وأصابه تحتلج، فقبل إلى أن الإيوان يسير بنا، فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبل يده وقال : جعلني الله فداك أين أنا منك؟ ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في شيء من غنائه، والله لكأنما كان يتحدث .

(١) في الأصول «وساطه» . والتصحيح عن الأمازي ح ٩ ص ٥٤

(٢) في الأمازي ح ٩ ص ٥٥ «عن محمد بن حير عن عبد الله» .

وروي عن منصور بن المهدي قال : كنت عند أخى إبراهيم في يوم كانت عليه فيه نوبة لحمد الأمين، فتشاغل بالشرب في بيته ولم يمض، وأرسل إليه الأمين عدة رسل فتأخر، قال منصور : فلما كان من غد قال لي : ينبغي أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فترضاه فما أشك في غضبه علينا ؛ فضينا فسالنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حاشير الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار، فدخلنا وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى فقال لي : اذهب فاختر منها عودا ترضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا يحتاج إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به ففعلت وجعلته في كتي، ودخلنا على الأمين وظهره إلينا، فلما بصرنا به من بعيد قال : أخرج عودك، فآخرجته فأندفع بُغْي

وكأيس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ليكي يعلم الناس أنى أمرؤ . آتيت الفتوة من بابها

وشاهدنا الورد والياسمين * والمسيمات بقصاها

وبربطنا داهم مغل * فأبى الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالسا وطرب طربا شديدا وقال : أحسنت والله يا عم وأحييت لي طربا، ودعا برطل فشر به على الريق وأبتدأ شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط، ولقد

(١) كذا بالأصول وفي الأغاني «جير الوحش» والأقرب أن يكون ما في الأصل محرفا عن «حائر» وما في الأغاني محرفا عن «حير» والحائر والحير بمعنى السنان والحطيرة كما في لسان العرب والقاموس .
(٢) كذا في الأصول ، والذي في الأغاني واللسان «وشاهدا الحل» وقال صاحب اللسان : والجل الذي في شعر الأعشى هو الورد، فارسي معرب .

(٣) القصاب : الأوتار التي سُويت من الأمعاء وقبل : جمع قاصب وهو الزامر .

(٤) البربط : العود . (٥) في الأغاني ج ٩ ص ٥٦ «رامت في شربه» .

رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ . كَانَ إِذَا أَبْتَدَأَ يَغْنَى صَغَتِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى تَكَادَ تَضَعُ رُءُوسَهَا عَلَى الدَّكَانِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ نَفَرَتْ وَبَعُدَتْ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أْبْعَدِ غَايَةِ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ عَنَّا فِيهَا ، وَجَعَلَ الْأَمِينُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ وَانْصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ يَنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطْ .

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُ مَخَارِقًا : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ غِنَاءً ؟ فَكَانَ يَجِيبُنِي جَوَابًا مُجْمَلًا حَتَّى حَقَّقْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ أَحْسَنَ غِنَاءٍ مِنْ أَبِي جَامِعٍ بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنَ غِنَاءٍ مِنِّي بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً أَحْسَنُهُمْ صَوْتًا ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ صَوْتًا وَحُسْبُكَ هَذَا ! .

وَعَنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : غَنَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لَيْلَةً مَجْمَدًا الْأَمِينَ صَوْتًا لَمْ أَرْضَهُ فِي شِعْرِ الْأَبِيِّ نُؤَاسَ وَهُوَ

يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدَّمَنِ * لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
(١)
سُنَّةُ الْعِشَاقِ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَنْبِ
(٢)
ظَنِّي بِي مَنْ قَدْ كَلَّفْتُ بِهِ * فَهُوَ يَحْفَوْنِي عَلَى الظَّنِّ
رَشَاءً لَوْلَا مَلَا حُتُّهُ * خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

١٥

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجَزْتَنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ بِعَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : وَهَلْ هِيَ إِلَّا خَرَجَ بَعْضُ الْكَوْفَةِ . هَكَذَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ ، وَقَدْ حَكَيْتَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَفِيهَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ قَالَ : أَوْقِرُوا زُورِقَ عَمِّي دَنَايِرَ فَأَوْقِرُوهُ ، فَانْصَرَفَ بِمَا لَمْ يَجْلِيلْ .

(١) فِي الْأَعْيَانِ : " فَاسْتَنْبِ " . (٢) الظَّنُّ : التَّهْمُ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : " صَنَى " وَ" الصَّنَى " وَهُوَ تَحْرِيفُ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَعْيَانِ ج ٩ ص ٧١ (٣) فِي الْأَعْيَانِ ج ٩ ص ٧١ " بَعْضُ الْكَوْفَةِ " .

٢٠

قال : وكان محمد بن موسى المنجّم يقول : حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناءً ببرهان ، وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يُغنيّ المغنون ويُغنيّ فإذا ابتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما في يديه وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مُضغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يُغنيّ حتى إذا أمسك وتغيّ غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء ، فلا برهان أقوى من هذا [في مثل هذا من] شهادة الفطن به واتفاق الطبايع مع اختلافها وتشعب طرقها على الميل إليه والالتقياد نحوه . وإبراهيم ابن المهدي أصوات معروفة ، منها ما غناه بشعر مروان بن أبي حفصة

هل تَطْمِسُون من الساءِ نجومَها ۖ بأَكفكم أو تستُرُون هلالَها

أو تدفعون مقالةً من ربكم ۖ جبريلُ بلسانها النبيّ فقالها

طرقتك زائرةٌ فحى خيالها ۖ زهراءُ تخطِط بالدلال جمالها

وأما عليّة بنت المهدي فقد قيل : ما أجمع في جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة . وروى عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ثم قام وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه فسمعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتناثر وفطن المأمون لما بي فضحك وقال : هذه عمتك عليّة تطارح عمتك إبراهيم .

قال أبو الفرج : وأمّ عليّة أم ولید مغنية يقال لها : مكنونة ، كانت من جوارى المروانية المغنية ، والمروانية هذه ليست من آل مروان بن الحكم وإنما هي زوجة الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكانت مكنونة من أحسن جوارى المدينة وجها وكانت رمتحاء ، وكانت حسنة البطن والصدر فاشترت للمهدي في حياة

أبيه بمائة ألف درهم فلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك أمة أغلظ على منها ، ولما اشترت للمهدى ستر أمرها عن أبيه المنصور حتى مات ، وولدت للمهدى عليّة هذه . وكانت عليّة بنت المهدى من أجمل الناس وأظرفهم ، تقول الشعر الجيد وتُصوغ فيه الألحان الحسنة ، وكان في جبينها فضلُ سعة فانتخدت العصاب المكحلة بالجواهر لتستر بها جبينها فهي أول من أحدث ذلك . قال : وكانت عليّة حَسَنَة الدين وكانت لا تُعنى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة فإذا طُهرت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن وقراءة الكتب ، ولم تلهُ بشيء غير قول الشعر في الأحيان إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه . وكانت رحمها الله تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حَلَّ منه عوضاً فبأي شيء يحتاج عاصيه والمنتهك لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة آرتكبها قط وما أقول في شعري إلا عبثاً .

وعن سعيد بن هُرَيم^(١) قال : كانت عليّة بنت المهدى تُحِبُّ أن تُرسل بالأشعار من تختصه فاختصت خادماً يقال له : طَلّ من خدم الرشيد ، تراسله بالشعر فلم تره أبداً فمشت على ميزاب وحدثته ثم قالت في ذلك

قد كان ما كُلفته زمناً * ياطل من وجدي بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً * أمشي على حنفي إلى حنفي^(٢)

خاف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تُسميه باسمه فضمنت له ذلك . وأسمع عليها يوماً وهي تقرأ آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : (فَإِنْ لَمْ يَصْبِهْهَا

(١) وفي الأناج ح ٩ ص ٨٣ : "سعيد بن إبراهيم" ، ويرجح ما ورد في الأصل ما جاء في تاريخ

الطبري في صفحات ١٤٥ و ٣٠٤ و ٤١١ و ٤٤٨ و ٦٧٦ من القديم الثالث طبع أوروبا .

(٢) كذا بالأصل ، وفي الأناج ح ٩ ص ٨٤ : "أمشي على حنفي إلى حنفي" ،

وَأَيْل) فَأَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ : (فَطَلَّ) فَقَالَتْ : فَالَّذِي نَهَى عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَخَلَ
الرَّشِيدَ فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ : قَدْ وَهَبْتُ لَكَ طَلًّا وَلَا أَمْنُوكَ بَعْدَهَا مِنْ شَيْءٍ تُرِيدُ بِهِ .
وَلَهَا فِي طَلِّ هَذَا عِدَّةُ أَشْعَارٍ صَنَعَتْ فِيهَا أَلْحَانًا وَكَانَتْ فِي بَعْضِهَا تُصَحِّفُ أَسْمَهُ وَتَكْنِي
عَنْهُ بَغِيرَهُ . وَكَانَتْ أَيْضًا تَقُولُ الشَّعْرَ فِي خَادِمٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ : رَشَاءٌ وَتَكْنِي عَنْهُ بِزَيْنَبَ ،

فَنَ شَعْرَهَا فِيهِ

وَجَدَ الْفَوَادُ بِزَيْنَبَا ۖ وَجَدَا شَدِيدًا مُتَعِبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِهَا ۖ أَدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبَا
وَلَقَدْ كُنَيْتُ عَنْ أَسْمَهَا ۖ عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا ۖ لَوْلَمْ أَجْدَلِي مَذْهَبَا
وَاللَّهِ لَا نَلَّ الْمَوْدَةَ أَوْ تَنَالَ الْكُوكَبَا

١٠

فَصَحَّفَتْ أَسْمَهُ فِي قَوْلِهَا : زَيْنَبَا ، وَهَذَا مِنَ الْجَنَاسِ الْخَطِئِ . قَالَ : وَكَانَتْ لَا تَمُ
جَعْفَرَ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا : طُغْيَانٌ ، فَوُشَّتْ بَعْلِيَّةً إِلَى رَشَاءٍ وَحَكَتْ عَنْهَا مَا لَمْ تَقُلْ ،
فَقَالَتْ عَلَيْهِ

لَطْفِيَّانَ خُفَّ مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً جَدِيدٌ فَلَا يَسْلَى وَلَا يَخْزَقُ
وَكَيْفَ بَلَى خُفَّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ۖ عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا خَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تَبْلِ جَوْرَبَا ۖ وَأَمَّا سَرَاوِيلُهَا فَمُزَّرَقُ

١٥

وَرَوَى عَنْ أَبِي هَفَّانٍ قَالَ : أَهْدَيْتُ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ نَفْلًا مَعَهَا يَوْمًا
وَأَخْرَجَ كُلَّ قَيْنَةٍ فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، وَكَانَ مَنْ حَضَرَ مِنْ جَوَارِيهِ الْغَنَاءَ وَالْخِدْمَةَ
فِي الشَّرَابِ زُهَاءً أَلْفَى جَارِيَةً فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ ،

٢٠

وأتصل الخبر بأم جعفر فعظم عليها ذلك، فأرسلت الى عليّة تشكو إليها، فأرسلت إليها عليّة: لا يهولك هذا، والله لأردّنه إليك، قد عزمْتُ أن أضع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جَوَارِيّ، فلا تُبقيّ عندك جاريةً إلّا بعثت بها إلىّ والبسيهت أنواع الثياب لياخذن الصوت مع جَوَارِيّ، ففعلت أم جعفر ما أمرتها به، فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلّا وعليّة وأم جعفر قد نَحَرَجتا إليه من مُجَرَّيَهما • مهمما زُهاءً • ألّفى جارية من جَوَارِيَهما وسائر جَوَارِي القصر عليهنّ غرائب اللباس وكلهنّ في الحن واحد هنّ ج صنعته عليّة، وهو

مُنْفِصِلٌ عَنِّي وما * قلبي عنه مُنْفِصِلٌ
يا هاجري اليوم لمن * نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

١٠ فَطَرِبَ الرشيد وقام على رجله حتى آستقبل أم جعفر وعليّة وهو على غاية السرور وقال: لم أر كالיום قط يا مسرور، لا تُبقيّ في بيت المال درهما إلّا نثرته، فكان ما نثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما يُمع بمثل ذلك اليوم •

وَرَوَى عن عَرِيب أنها قالت: أحسن يوم رأيته في الدنيا وأطيبه يوم آجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة وعندها أخوهما يعقوب بن المهديّ وكان

١٥ أَحَذَقُ النَّاسِ بِالزَّمْرِ، فبدأت عليّة فغنت من صنعتها وأخوها يعقوب يُزمر عليها
تَحَبُّبُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوَجِبُ الْقُرْبِ
تَبَصَّرُ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَاهَا هَوَى * نَجَا سَالِمًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا * فَإِنْ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ

وغنى إبراهيم في صنعته وزمر عليه يعقوب

٢٠ لَمْ يُنْسِنِكَ سرورٌ لا ولا حَزْبٌ * وَكَيْفَ لَا، كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكَ الْحَسَنُ
ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدِي * كُلِّي بِكُلِّكَ مشغولٌ ومُرْتَهَنٌ

يافردة الحسن مالى منك مذ كلفت * نفسى بحبك إلا الهى والحزن
نورٌ تولد من شمس ومن قمر * حتى تكامل فيك الروح والبدن
قالت عريب : فما سمعتُ مثل ما سمعتُ منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

٨٩

وروى عن خشف الواضحة قالت : تماريتُ أنا وعريب في غناء عليّة بمحضرة
المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقلت أنا : هي ثلاثة وسبعون صوتا ، وقالت عريب :
هى آثان وسبعون صوتا ، فقال المتوكل : غنّا غناها فلم أزل أغنّى غناها حتى
مضى آثان وسبعون صوتا ولم أدر الثالث والسبعين قالت : فقطع بى وأستعلتُ
عريبُ وأنكسرتُ ، قالت خشف : فلما كان الليلُ رأيتُ عليّة فيما يرى النائم فقالت :
يا خشف ، خالفتك عريبُ في غنائى ، قلت : نعم يا سيدتى ، قالت : الصواب
معلك ، أفتدري من ما الصوتُ الذى أنسيتيه ؟ قلت : لا والله ، ولوددتُ أنى فديتُ
ما جرى بجمع ما أملك . قالت : هو

بني الحب على الحورِ فلو * أنصفَ المعشوق فيه لسمع
ليس يستحسن في وصف الهوى * عاشقٌ يعرف تأليف الحُجج
وقليلُ الحب صرفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزج

وكانها قد آندفت تعنى به ، فما سمعتُ أحسن مما غنّته ، وقد زادتني فيه أشياء
في نومي لم أكن أعرفها ، فانتبهتُ وأنا لا أعقل فرحًا به ، فباكرتُ الخليفة وذكركُ له
القصّة ، فقالت عريب : هذا شئ صنعته أنت لما جرى أمس ، وأما الصوت
فصحيح ، خلقتُ للخليفة بما رضى به أن القصّة كما حكيتُ ، فقال : رؤياك والله
أعجب ، رحم الله عليّة فما تركتُ ظرفها حيّة ولا ميتة وأجازني جائزة سيّنة .

(١) في الأغاني ج ٩ ص ٨٩ "مه" .

(٢) في الأصول : "مصرف خالص" . والنصوب عن الأغاني ج ٩ ص ٨٩ .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده الى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شهدت
أبى جعفرا وأنا صغير وهو يحدث جدى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من
خَلَوْتِهِ مع هرون الرشيد قال : يا أبت ، أخذ بيدي أمير المؤمنين وأقبل فى حُجْرِهِ يَخْتَرِقُهَا
حتى آتتهى إلى حُجْرَةٍ مُغلقة ففتحها بيده ودخلها ودخلت وأغلق بابها من داخل بيده
ثم صرنا إلى رِوَاقٍ ففتحته وفى صدره مجلس مُغلق ، فقعَدَ على باب المجلس ونَقَرَ الباب
بيده نَقَرَاتٍ فسمعنا حسًّا ثم أعاد النقر ثانية ، فسمِعْتُ صوت عود ثم أعاد النقر الثالثة ،
فغنت جارية ما ظننت والله أن الله جل وعزّ خلق مثلها فى حُسْنِ الغناء وجَوْدَةِ
الضرب ، فقال أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غنى صوتى فغنت صوته وهو

وَمُحَنِّثٍ شَهِدَ الرَّفَافَ وَقَبْلَهُ * غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنْقَبًا

لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دَقَّهُ * نَقَرًا أَقْرَبَهُ الْعَيُونَ وَأَطْرَبًا

إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْنَهُ * فَشَكُونُ شِدَّةَ مَا يَهْنُ فَكَذِبًا

قال : فَطَرِبْتُ وَاللهِ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِظَ ثُمَّ قَالَ : غَنَى

* طَال تَكْذِيبِي وَتَصَدِيقِي *

فغنت

طَال تَكْذِيبِي وَتَصَدِيقِي * لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِلْمَخْلُوقِ

إِنْ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * حَسَنُوا نَقْصَ الْمَوَائِقِ

لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمَعْشُوقِ

قال : فَرَقَّصَ الرَّشِيدَ وَرَقَّصْتُ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ : آمِضْ بِنَا فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو مِنَّا

مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَضَيْنَا ، فَلَمَّا صرنا إلى الدَّهْلِيزِ قَالَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي : هَلْ

عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟ فَقُلْتُ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَسْأَلُ عَنْهَا

وَلَا تَكْتُمُ ذَلِكَ وَأَنَا أَخْبَرُكَ بِهَا ، هَذِهِ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمُهَدِي ، وَوَاللهِ لئن لَفِظْتَ بِهِ بَيْنَ يَدِي

أحد وبلغني لأقتلنك، قال فسمعتُ جدِّي يقول لأبي : فقد والله لفظت به، والله ليقتلنك فاصنع ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانيتها كثيرة وقد ذكرنا منها ما يُكْتَفَى به . قال أبو الفرج : وكان مولد عليّة سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشرة ومائتين ، وقيل : سنة تسع ومائتين ولها خمسون سنة ، وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضَمَّها اليه وجعل يقبّل رأسها ووجهها مُعْطًى ، فَشَرِقت من ذلك وَسَعَلَتْ ثم حُمّت بعقب هذا أياما يسيرة وماتت رحمها الله .

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد، هو أبو عيسى أحد وقيل : بل اسمه صالح
 ١٠. ابن هارون الرشيد، وأمه أم ولد بربرية. كان من أحسن الناس وجها ومجالسة وعشرة
 وأجمنهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً، وكان أبو عيسى جميل الوجه جدّاً، فكان إذا
 عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر ما كانوا يجلسون للخلفاء، وكانت
 عَرِيب المأْمُونِيَّة تقول : مَا سَمِعْتُ غَنَاءَ أَحْسَنَ مِنْ غَنَاءِ أَبِي عَيْسَى بْنِ الرَّشِيدِ وَلَا
 رَأَيْتُ وَجْهًا أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ .

١٥ وَرَوَى أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ يَوْمَا لِأَبِي عَيْسَى وَهُوَ صَبِيٌّ : لَيْتَ جَمَالَكَ لِعَبْدِ اللَّهِ !
بَعِيَ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ حَظَّهُ مِنْكَ لِي ! فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ
جَوَابِهِ عَلَى صِبَاهٍ وَصَمَةٍ إِلَيْهِ وَقَبْلِهِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَكَانَ أَبُو عَيْسَى جَيِّدَ الصَّنْعَةِ
وَلَهُ أَغَانٍ مَنَسُوبَةٌ إِلَيْهِ وَمَعْرُوفَةٌ بِهِ ، مِنْهَا

(۱) آورده الطبری باسم «صالح» فی صفحات ۷۳۸، ۷۵۸، ۷۶۶، ۷۶۷، ۷۶۸، ۷۶۹، ۷۷۰، ۷۷۱، ۷۷۲، ۷۷۳، ۷۷۴، ۷۷۵، ۷۷۶، ۷۷۷، ۷۷۸، ۷۷۹، ۷۸۰، ۷۸۱، ۷۸۲، ۷۸۳، ۷۸۴، ۷۸۵، ۷۸۶، ۷۸۷، ۷۸۸، ۷۸۹، ۷۹۰، ۷۹۱، ۷۹۲، ۷۹۳، ۷۹۴، ۷۹۵، ۷۹۶، ۷۹۷، ۷۹۸، ۷۹۹، ۸۰۰، ۸۰۱، ۸۰۲، ۸۰۳، ۸۰۴، ۸۰۵، ۸۰۶، ۸۰۷، ۸۰۸، ۸۰۹، ۸۱۰، ۸۱۱، ۸۱۲، ۸۱۳، ۸۱۴، ۸۱۵، ۸۱۶، ۸۱۷، ۸۱۸، ۸۱۹، ۸۲۰، ۸۲۱، ۸۲۲، ۸۲۳، ۸۲۴، ۸۲۵، ۸۲۶، ۸۲۷، ۸۲۸، ۸۲۹، ۸۳۰، ۸۳۱، ۸۳۲، ۸۳۳، ۸۳۴، ۸۳۵، ۸۳۶، ۸۳۷، ۸۳۸، ۸۳۹، ۸۴۰، ۸۴۱، ۸۴۲، ۸۴۳، ۸۴۴، ۸۴۵، ۸۴۶، ۸۴۷، ۸۴۸، ۸۴۹، ۸۵۰، ۸۵۱، ۸۵۲، ۸۵۳، ۸۵۴، ۸۵۵، ۸۵۶، ۸۵۷، ۸۵۸، ۸۵۹، ۸۶۰، ۸۶۱، ۸۶۲، ۸۶۳، ۸۶۴، ۸۶۵، ۸۶۶، ۸۶۷، ۸۶۸، ۸۶۹، ۸۷۰، ۸۷۱، ۸۷۲، ۸۷۳، ۸۷۴، ۸۷۵، ۸۷۶، ۸۷۷، ۸۷۸، ۸۷۹، ۸۸۰، ۸۸۱، ۸۸۲، ۸۸۳، ۸۸۴، ۸۸۵، ۸۸۶، ۸۸۷، ۸۸۸، ۸۸۹، ۸۹۰، ۸۹۱، ۸۹۲، ۸۹۳، ۸۹۴، ۸۹۵، ۸۹۶، ۸۹۷، ۸۹۸، ۸۹۹، ۹۰۰، ۹۰۱، ۹۰۲، ۹۰۳، ۹۰۴، ۹۰۵، ۹۰۶، ۹۰۷، ۹۰۸، ۹۰۹، ۹۱۰، ۹۱۱، ۹۱۲، ۹۱۳، ۹۱۴، ۹۱۵، ۹۱۶، ۹۱۷، ۹۱۸، ۹۱۹، ۹۲۰، ۹۲۱، ۹۲۲، ۹۲۳، ۹۲۴، ۹۲۵، ۹۲۶، ۹۲۷، ۹۲۸، ۹۲۹، ۹۳۰، ۹۳۱، ۹۳۲، ۹۳۳، ۹۳۴، ۹۳۵، ۹۳۶، ۹۳۷، ۹۳۸، ۹۳۹، ۹۴۰، ۹۴۱، ۹۴۲، ۹۴۳، ۹۴۴، ۹۴۵، ۹۴۶، ۹۴۷، ۹۴۸، ۹۴۹، ۹۵۰، ۹۵۱، ۹۵۲، ۹۵۳، ۹۵۴، ۹۵۵، ۹۵۶، ۹۵۷، ۹۵۸، ۹۵۹، ۹۶۰، ۹۶۱، ۹۶۲، ۹۶۳، ۹۶۴، ۹۶۵، ۹۶۶، ۹۶۷، ۹۶۸، ۹۶۹، ۹۷۰، ۹۷۱، ۹۷۲، ۹۷۳، ۹۷۴، ۹۷۵، ۹۷۶، ۹۷۷، ۹۷۸، ۹۷۹، ۹۸۰، ۹۸۱، ۹۸۲، ۹۸۳، ۹۸۴، ۹۸۵، ۹۸۶، ۹۸۷، ۹۸۸، ۹۸۹، ۹۹۰، ۹۹۱، ۹۹۲، ۹۹۳، ۹۹۴، ۹۹۵، ۹۹۶، ۹۹۷، ۹۹۸، ۹۹۹، ۱۰۰۰، ۱۰۰۱، ۱۰۰۲، ۱۰۰۳، ۱۰۰۴، ۱۰۰۵، ۱۰۰۶، ۱۰۰۷، ۱۰۰۸، ۱۰۰۹، ۱۰۱۰، ۱۰۱۱، ۱۰۱۲، ۱۰۱۳، ۱۰۱۴، ۱۰۱۵، ۱۰۱۶، ۱۰۱۷، ۱۰۱۸، ۱۰۱۹، ۱۰۲۰، ۱۰۲۱، ۱۰۲۲، ۱۰۲۳، ۱۰۲۴، ۱۰۲۵، ۱۰۲۶، ۱۰۲۷، ۱۰۲۸، ۱۰۲۹، ۱۰۳۰، ۱۰۳۱، ۱۰۳۲، ۱۰۳۳، ۱۰۳۴، ۱۰۳۵، ۱۰۳۶، ۱۰۳۷، ۱۰۳۸، ۱۰۳۹، ۱۰۴۰، ۱۰۴۱، ۱۰۴۲، ۱۰۴۳، ۱۰۴۴، ۱۰۴۵، ۱۰۴۶، ۱۰۴۷، ۱۰۴۸، ۱۰۴۹، ۱۰۵۰، ۱۰۵۱، ۱۰۵۲، ۱۰۵۳، ۱۰۵۴، ۱۰۵۵، ۱۰۵۶، ۱۰۵۷، ۱۰۵۸، ۱۰۵۹، ۱۰۶۰، ۱۰۶۱، ۱۰۶۲، ۱۰۶۳، ۱۰۶۴، ۱۰۶۵، ۱۰۶۶، ۱۰۶۷، ۱۰۶۸، ۱۰۶۹، ۱۰۷۰، ۱۰۷۱، ۱۰۷۲، ۱۰۷۳، ۱۰۷۴، ۱۰۷۵، ۱۰۷۶، ۱۰۷۷، ۱۰۷۸، ۱۰۷۹، ۱۰۸۰، ۱۰۸۱، ۱۰۸۲، ۱۰۸۳، ۱۰۸۴، ۱۰۸۵، ۱۰۸۶، ۱۰۸۷، ۱۰۸۸، ۱۰۸۹، ۱۰۹۰، ۱۰۹۱، ۱۰۹۲، ۱۰۹۳، ۱۰۹۴، ۱۰۹۵، ۱۰۹۶، ۱۰۹۷، ۱۰۹۸، ۱۰۹۹، ۱۱۰۰، ۱۱۰۱، ۱۱۰۲، ۱۱۰۳، ۱۱۰۴، ۱۱۰۵، ۱۱۰۶، ۱۱۰۷، ۱۱۰۸، ۱۱۰۹، ۱۱۱۰، ۱۱۱۱، ۱۱۱۲، ۱۱۱۳، ۱۱۱۴، ۱۱۱۵، ۱۱۱۶، ۱۱۱۷، ۱۱۱۸، ۱۱۱۹، ۱۱۲۰، ۱۱۲۱، ۱۱۲۲، ۱۱۲۳، ۱۱۲۴، ۱۱۲۵، ۱۱۲۶، ۱۱۲۷، ۱۱۲۸، ۱۱۲۹، ۱۱۳۰، ۱۱۳۱، ۱۱۳۲، ۱۱۳۳، ۱۱۳۴، ۱۱۳۵، ۱۱۳۶، ۱۱۳۷، ۱۱۳۸، ۱۱۳۹، ۱۱۴۰، ۱۱۴۱، ۱۱۴۲، ۱۱۴۳، ۱۱۴۴، ۱۱۴۵، ۱۱۴۶، ۱۱۴۷، ۱۱۴۸، ۱۱۴۹، ۱۱۵۰، ۱۱۵۱، ۱۱۵۲، ۱۱۵۳، ۱۱۵۴، ۱۱۵۵، ۱۱۵۶، ۱۱۵۷، ۱۱۵۸، ۱۱۵۹، ۱۱۶۰، ۱۱۶۱، ۱۱۶۲، ۱۱۶۳، ۱۱۶۴، ۱۱۶۵، ۱۱۶۶، ۱۱۶۷، ۱۱۶۸، ۱۱۶۹، ۱۱۷۰، ۱۱۷۱، ۱۱۷۲، ۱۱۷۳، ۱۱۷۴، ۱۱۷۵، ۱۱۷۶، ۱۱۷۷، ۱۱۷۸، ۱۱۷۹، ۱۱۸۰، ۱۱۸۱، ۱۱۸۲، ۱۱۸۳، ۱۱۸۴، ۱۱۸۵، ۱۱۸۶، ۱۱۸۷، ۱۱۸۸، ۱۱۸۹، ۱۱۹۰، ۱۱۹۱، ۱۱۹۲، ۱۱۹۳، ۱۱۹۴، ۱۱۹۵، ۱۱۹۶، ۱۱۹۷، ۱۱۹۸، ۱۱۹۹، ۱۲۰۰، ۱۲۰۱، ۱۲۰۲، ۱۲۰۳، ۱۲۰۴، ۱۲۰۵، ۱۲۰۶، ۱۲۰۷، ۱۲۰۸، ۱۲۰۹، ۱۲۱۰، ۱۲۱۱، ۱۲۱۲، ۱۲۱۳، ۱۲۱۴، ۱۲۱۵، ۱۲۱۶، ۱۲۱۷، ۱۲۱۸،

رَفَقَتْ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السَّهَادُ نَوًى * مِى فَنَومِ مُشْرَدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا : حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهَدُ
وَفَوَادِي مُحْسِنٍ وَجْهِهِكَ يَسْقَى وَيَكْدُ

- وله غير هذا من الأصوات . قال : وكان كثير البسط والجون والعبث ، وكان المأمون أشد الناس حبا له ، وكان يُعده للأمر بعده ويدكر ذلك كثيرا حتى لقد حُكي عنه أنه قال يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ولا يسهل شئ منهما على أحد وذلك لمحبتى أن يلى أبو عيسى الأمر بعدى لشدة حُبِّ إِيَّاه . وكانت وفاة أبي عيسى في سنة سبع ومائتين .

- رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ الْمَأْمُونَ لَيْلَةَ وَهْمٍ يَتَرَاءُونَ هِلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَبُو عَيْسَى أَخُوهُ مَعَهُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى قَفَاهُ ، فَرَأَوْهُ وَجَعَلُوا يَدْعُونَ ، فَقَالَ أَبُو عَيْسَى قَوْلًا أَنْكَرَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ يَسْخَطُ لَوُرُودِ الشَّهْرِ مَا صَامَ بَعْدَهُ . وَيَقُلُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ

دَعَا نِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ : وَلَا صُمْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ

- فَلَوْ كَانَتْ يُعِيدُنِي الْإِمَامُ بِقُدْرَةِ * عَلَى الشَّهْرِ لَا سَتُعِيدُنِي جَهْدِي عَلَى الشَّهِرِ^(٢)
فَالِهَ بَعْقَبَ هَذَا الْقَوْلَ صَرَعٌ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ ، وَلَمَّا مَاتَ وَجَدَ الْمَأْمُونَ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا .

رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونَ فَخَلَعْتُ عَمَامَتِي وَبَنَيْتُهَا وَرَأَيْتُ -- وَالْخُلَفَاءَ لَا تُعْزَى فِي الْعَهْمِ -- ، فَقَالَ لِي :

(١) فِي الْأَثْنَاءِ ح ٩ ص ٩٦ «دَهَانِي» .
(٢) يَقَالُ : «أَسْتَعِيدُ عَلَى فُلَانٍ الْأَمِيرَ فَأَعَادُنِي» أَيْ أَسْتَعِيدُ بِهِ عَلَيْهِ فَأَمَانِي .

يا محمد، حال القَدَر دون الوَطَر، فقلت: يا أمير المؤمنين، كل مصيبة أخطأتك شوى^(١)،
 بفعل الله الحزن لك لا عليك، قال: فركب المأمون إلى دار أبي عيسى فحضر جهازه
 وصلى عليه ونزل في قبره، وأمتنع من الطعام أياما حتى خيف أن يضرك ذلك به، قال:
 وما رأيت مصابا حزينا قط أجمل أثرا في مصيبته ولا أحرق وجدا منه، صامت^(٢)
 ودموعه تهيم على خديه من غير كلج ولا استنثار.

وروى عن أحمد بن أبي دُوَاد قال: دخلت على المأمون وقد توفى أخوه أبو عيسى
 وهو يبكي ويمسح عينيه بمنديل، ففعدت إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول الشاعر
 نَقْصُ من الدنيا وأسبابها * نَقْصُ المنايا من بنى هاشم

فلم يزل على تلك الحال يبكي ثم مسح عينيه وتمثل
 سَابِكُك ما فاقت دُموعي فإن تَفَضُّ * فحسبك مني ما تُجِنُّ الجوائح^(٣)
 كأن لم يمت حتى سِوَاكَ ولم تَقُمْ * على أحد إلا عليك السوائح

ثم ألفت إلى وقال: هيه يا أحمد! فتمثلت بقول عبدة بن الطبيب
 عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحمَا
 تحية من أوليته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلما
 فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيات قوم تهتما

فبكي ساعة، ثم ألفت إلى عمرو بن مسعدة فقال: هيه يا عمرو! فقال: نعم
 يا أمير المؤمنين

بتوا حذيفة لم تبكوا مثله * حتى نعود قبائل لم تُخَلِّقِ

(١) الشوى في الأصل، اليبس بمقتل كاليدس والرجليس يقال: رماه فأشواه أى لم يصب مقتله ثم استعمل
 في كل من أخطأ عرصا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل والمراد بها الأمر الحق. وفي اللسان يقال: «كل
 شئ، شوى أى هين ماسلم لك دينك». (٢) كذا في الأصل ولم نجد في كتب اللغة الاكلح كنع كلوحا
 وكلأحلا بصهما إذا تكثر في عبوس. (٣) في الأصل «الجوارح» والتصحيح عن الأناني ج ٩ ص ٩٨

قال : فإذا عَرِيبَ وَجَوَارٍ مَعَهَا يَسْمَعُنَ مَا يَدُورُ بَيْنَنَا فَقَالَتْ : اجْعَلُوا لَنَا مَعَكُمْ
 فِي الْقَوْلِ نَصِيبًا ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : قَوْلِي قُرْبَ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٌ ، فَقَالَتْ
 كَذَا فَلْيَجِلْ لِي الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ * فَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَقِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ
 كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَمْنَ بَيْنَهَا الْبَدْرُ^(١)

- فبكى وبكىنا ثم قال لها المأمون : نوحى ، فناحت وردة عليها الجوارى ، فبكى
 المأمون حتى قلت قد فاضت نفسه وبكىنا معه أحرق بكاء ، ثم أمسكت فقال
 المأمون : أصنعى فيه لحنا على مذهب النوح وغنى به ، ففعلت وغنته إياه على العود ،
 فولدلى لا يُخَلَفُ بأعظم منه لقد بكينا عليه غناءً أكثر مما بكينا عليه نوحاً .

ومنها عبد الله بن موسى الهادى ، قال أبو الفرج : كان له فى الغناء صنعة
 حسنة وله أصوات مذكورة منها قوله

١٠

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
 فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِيْنٌ بِنَشْتِيتِ مَا أَلْفَا
 وَلَمَّا رَأَاكَ قَلِيلَ الْمَمُومِ * كَثِيرَ الْهُوَى نَاعِمًا مُتَرَفَا
 أَلَحَّ عَلَيْكَ بِرَوْعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِيكَ مُسْتَهْدِفَا

- ١٥ قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء ، وكان له غلام
 أسود يقال له « قَلَمٌ » ، فعلمه الضرب فحْدَقَ فيه ، فاشتريته منه أُم جعفر بثلاثمائة
 ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أُم جعفر قال : كنت جالسا مع عبد الله بن
 موسى الهادى فتر به خادم لصالح بن الرشيد فقال له : ما أسمك ؟ قال : آسمى لا تَسْلُ ،

- ٢٠ (١) هذان البيتان من قصيدته لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي رثى بها محمداً وخطبة وأبا نصر بن حميد
 العلوى وفداً . يترت فيه « عريب » « بن بهان » « بن العباس » « لافضاء » « المقام » .

فأعجبه حسنه وحسن منطقه فقال لى : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر،
فقمتم معه، فأنشدنى فى ذلك اليوم

وشادين مرة بنا * يمحرج بالهظ المقل
مظلوم خضر ظالم * منه اذا يمشى الكفل
اعتدلت فامته * والطرف منه ما عدل
بدر نراه أبدا * طالع سعد ما أقل
سألته عن اسمه * فقال: إسمي لا تسأل
وطلعت فى وجنتي * وردتان من نجم
فقلت ما أخطأ الذى * سمالك بل قال المثل
لا تسألن عن شادن * فاق جمالا وكمل

٥

١٠

وقال فيه

عز الذى تهوى ودل * صب الفؤاد محتل
جد به الحجر وذا الشجر اذا جد قتل
من شادن منطق * فاق جمالا وكمل
تناصف الحسن به * فلا تسأل عن لا تسأل

١٥

وعن أحمد بن المكي قال : دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوم غلاما
ضاربا مغنيا قيمة عدل لا خيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت : نعم،
فأخرج إلى آتته القاسم وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليلة البدر،
فأخذ عودا يضرب به فأكبت على يديه أقبلهما، فقال لى عبد الله : أتقبل يد غلام
مملوك ! فقلت : أبى وأمى هو من مملوك ! وقبلت رجله أيضا، فقال : أما اذ عرفته
فأحب أن تضاربه، فعملت فلما رأى العلامة زيادنى فى الضرب عليه أعتم وأقبل على

٢٠

أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ، أنا متلذذٌ وهذا متكسبٌ ، فضحكتُ وقلتُ :
هو كذلك ياسيدي ، وعجبتُ من حدة جوابه معتذرا على صغر سنه .

- قال عبد الله بن حبيب : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعَرِّداً ، وكان قد أحفظ المأمون^(١) بما يُعربد عليه إذا شرب معه ، فأمر به أن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ، وأُقيد على بابه حرساً ، ثم تذاق من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ، ثم ناداه فعربد عليه أيضاً وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغرماً بالصيد ، فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه يقال له : حسن^(٢) فسمه في دُرَّاجٍ ، فلما أكله أحسَّ بالسُّم ، فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تروني ، ومات بعد أيام ، وأكل معه خادمان ، فمات أحدهما لوقته ، وضنى الآخر ثم مات بعد مدة .

- ومنهم عبد الله بن محمد الأمين ، قال أبو الفرج الأصفهاني : كان عبد الله ١٠
أبن محمد الأمين ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً لينا ويصنعه صنعة صالحة ، وكان بينه وبين أبي نهشل بن حميد مودة ، فأعرض عبد الله جارية مغنية لبعض نساء بني هاشم ، وأعطى بها مالا عظيماً ، وعرفت . ولأنها منه رغبة فيها فزادت عليه في السُّوم فتركها ، فاشتراها أخ لأبي نهشل فتبعها نفس عبد الله فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه ، فكتب عبد الله إلى أبي نهشل ١٥

يَا بَنَ حُمَيْدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ * مفتاح باب الحديث المُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ * عاهم لحق ضائع مُهْمَلِ
أَحْسَنْتَ فِي وُدِّي وَأَجَلْتَنِي * جُرْتَ فَعَالَ الْحَسَنِ الْمَجْمَلِ
يُتُّكَ فِي ذِي يَمِينٍ شَاخٌ * تَقْصُرُ عَنْهُ قُتًى يَذُبُّ

- (١) كذا بالأغاني ج ٩ ص ١٠١ وفي الأصل : «أعصل» (٢) في الأغاني ج ٩ ص ١٠١ «حسين» .
(٣) في الأصل «جميل» ، والتصويب عن الأغاني ، ويرجمه قوله في أول القصيدة الآتية : يابن حميد الخ .

خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا ذَا النَّدَى * وَجَدْتَ جُودَ الْعَارِضِ الْمَسْبِلِ
أَيَّ أَخٍ أَنْتَ لَذَى وَحْدَةٍ * تَرَكْتَهُ بِالْعَزَى فِي مَجْفَلِ
نَجُومٍ حَفَظِي مِنْكَ مَسْعُودَةً * فِيمَا أُرْجَى لَيْسَ بِالْأَفْلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قُلْتَهُ * وَسَهَّلَ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
لَا تَحْرِمْنِي وَلَدِيكَ الْمَنَى * بِاللَّهِ صَيْدَ الرِّشَاءِ الْأَكْهَلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسَهَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى مَا الرَّمَى فِي مَقْتَلِ
أَدْنِيَّتِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ * لِإِدْنَاءِ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَنَاسَيْتِ وَأَسْلَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَسْرَلِ
تَرَكْتَنِي فِي جُلَّةِ عَائِمَا * لِأَعْرِفَ الْمَدِيرَ مِنْ مُقْبِلِ
صَرَخَ بَأْمِرٍ وَاضِحٍ بَيْنَنَا * لِأَخِيرِي ذِي لَبِيسٍ مَشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعة منها قوله

أَلَا يَادِيرَ حَنْظَلَةَ الْمَفْدَى * لَقَدْ أَوْرَثْتَنِي سُقْمًا وَكَدًا
أَزَفَ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَيْكَ زَقًّا * وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُنْدَى

ومنها أبو عيسى بن المتوكل ، قال عبد الله بن المعتز : جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ
صِنْعَةٌ مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا الْجَيْدُ الصَّنْعَةِ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ .
وقال الثُّمَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ يَقُولُ : إِذَا أَتَمَمْتَ صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ

(١) في الأصول «إذ أنا» والتصويب عن الأعاني ج ٩ ص ١٠٢

(٢) في الأعاني ج ٩ ص ١٠٣ «بين» (٣) رواية الأعاني في ج ٩ ص ١٠٢

أَزَفُ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَيْكَ دَنًا * وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُنْدَى

ولعل ما في الأصل محرف عن * أَزَفَ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَيْكَ زَقًّا * بالالف ، لقوله بعد في الشطر الثاني
وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ أَلْخَ إِذْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ مَادِيٌّ مُحْسُوسٌ .

صوتا عدد أيام السنة تركت الصنعة ، فلما أتمها ترك الصنعة ، فمنها قوله في شعر على
ابن الجهم

هى النفس ما حملتها تحمّل * وللدهر أيامٌ تجبور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التجميل

قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو لعمري من جيد الغناء وفانح الصنعة وما لو لم
يصنع غيره لكفى .

ومنه عبد الله بن المعتز ، هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي ، قد وصفه
أبو الفرج الأصفهاني فقال : وأمره مع قرب عهده بعصرنا مشهور في فضائله وأدبه
شهرة يشترك في أكثرها الخاص والعام ، وشعره وإن كان فيه رقة الملوكة وغزل
الظرفاء وهلهة المحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجدين ، ولا تقصُر
عن مدى السابقين ؛ وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ليس
عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية ؛ وأطنب في وصفه وتقريره وهو فوق ما قال .
ثم قال : وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها ، وله
في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله
ابن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدل على فضله وغزارة أدبه ، وذكر
منها شيئا ليس هذا موضع إيراده ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره

هل ترجعن ليالي قد مضين لنا .. والدار جامعة أزمان أزمانا

قال أبو الفرج : ومن صنعتته الظريفة الشكل مع جودتها

وابلائي من تحضر ومغيب .. وحيب مني بعيد قريب

لم ترد ماء وجه العين إلا .. شرفت قبل ربها برقيب

قال : ومن صنعته التي تظارف فيما ومأج

زاحم كمي كمي فالتويًا * وافق قلبي قلبه فاستويًا

وطالما ذاقا الهوى فاكثويًا * ياقرّة العين وياهمي ويا

وحكى عن جعفر بن قدامة قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبّه فغضب الغلام

عليه فجهد أن يترضاه فلم يكن له فيه حيلة ، ودخلت عليه فأنشدني فيه

بأبي أنت قد تما * ديت في الحجر والغضب

وأصطباري على صدو * ذلك يوما من العجب

ليس لي إن فقدت وجهك في العيش من أرب

رحم الله من أعا * ن على الصالح وآحاسب

قال : فضيت إلى الغلام فلم أزل أداريه وأرفق به حتى رتبته له وجثته به فتر

لنا يومئذ أطيّب يوم وأحسنه .

ذكر من غني من الأشراف والعلماء رحمهم الله

كان من غني من الأشراف والعلماء على ما نقل إلينا من أخبارهم :

عبد العزيز بن عبد المطلب . ^(١) روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن

على المقدسي رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مسلمة قال : حدثني أبي قال : أتيت

عبد العزيز بن عبد المطلب ^(١) أسأله عن بيعة الحق للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد

الأحزاب ما كان بدؤها ؟ فوجدته مستلقيا وهو يفتي

فما روضةً بالحزن طيبة الثرى : يمجّ الندى جثثها وعمرارها ^(٢) ^(٣)

(١) كذا في الأصول . والذي في كتب التراجم والاعاني ج ١٥ ص ٦٨ « عبد العزيز بن المطلب »

وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ولي قضاء المدينة لعهد المنصور ثم المهدي وولى قضاء مكة .

(٢) شجر له زهر أصفر طيب الرائحة . (٣) الترجس البري .

بأطيب من أردان عَزَّة مَوْهِنًا * وقد أوقَدت بالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نارُها
من الخَفِرَاتِ البَيضِ لم تَلَقْ شِقْوَةً * وبالحَسَبِ المَكْنُونِ صَافٍ تُجَارُها
فإن بَرَزْتَ كَانتَ لِمَينِكَ قَزَّةً * وإن غَبْتَ عنها لم يَغْمَكْ عَارُها^(١)

قلت له : تُغْنِي أصلحك الله وأنت في جلالتك وشرفك ! أما والله لأحدوث بها

رُجْآنَ نَجْدٍ، قال : فوالله ما اكثرث وعاد يتغنى

فما ظبيَّةُ أدماءُ خَفَافَةُ الحَشَى * تَجُوبُ بِظُلْفِهَا بطونَ الخِمالِ
بأحسنَ منها إذ تقول تَدُلُّلًا * وأدْمُعُها تُذَرِّينَ حَشَوَ المَكَاكِيلِ
تَمْتَعُ بِذا اليومِ القصيرِ فإنه * رهينٌ بأيامِ الشهورِ الأطاولِ

قال : فندمت على قولي له قلت : أصلحك الله ، ألتحذني في هذا بشئ؟ فقال :

نعم حَدَّثَنِي أَبِي قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وأشعبُ
يُغْنِيهِ

مَعْقَرَةٌ كَالْبَدْرِ يُشَبِّهُ وَجْهَهَا * مُطَهَّرَةُ الأَثْوَابِ والعِرْضُ وافرُ
لَهَا نَسَبٌ زَالِكٌ وَعِرْضٌ مَهْدَبٌ * وعن كلِّ مَكْرُوهِ من الأَمْرِ زاجرُ
مِنَ الخَفِرَاتِ البَيضِ لم تَلَقْ رِيَّةً * ولم يَسْتَمِلْهَا عن ثَقَى الله شاعرُ

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى ، فقال

أَلَمْتُ بِنَا والليلُ دَاجٍ كَأَنَّهُ * جَنَاحُ غُرَابٍ عنه قد نَفَضَ القَطْرَا
فقلت أَعْطَارٌ نَوَى فى رَحَالِنَا * وما أَحْتَمَلْتُ لَبَى سِوَى رِيحِهَا عِطْرَا

فقال سالم : أما والله لولا أن تداوله الرواة لأَجْرَلْتُ جَائِزَتَكَ فَلَكَ من هذا الأَمْرِ
مَكَانٌ .

(١) رواية الأغاني في ج ١٤ ص ٥٩

ومنهم إبراهيم بن سعد، هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن
 ابن عوف الزهرى، كان من العلماء الثقات المحدثين، سمع أباه وابن شهاب الزهرى
 وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن يسار، روى عنه يزيد
 ابن عبد الله بن الهاد وشعبة بن الحجاج والليث بن سعد وأبناه يعقوب وسعد أبنا^(١)
 إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون ويونس المؤدب وأبو داود الطيالسى
 وسليمان بن داود الهاشمي وعبد العزيز الآدمي وعلي بن الجعد ومحمد بن جعفر الوركانى
 وأحمد بن حنبل وغيرهم، كان يُدبِّح السماع ويضرب بالعود ويُغنى عليه. وله فى ذلك
 قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عُفَيْر
 قال : قدم إبراهيم بن سعيد الزهرى العراق سنة أربع وثمانين ومائة فأكرمه الرشيد
 وأظهر برّه وسُئل عن الغناء فأفتى بتحليله ، فأتاه بعض أهل الحديث ليسمع منه
 ١٠ أحاديث الزهرى، فسمعه يتغنّى فقال : لقد كنتُ حريصا على أن أسمع منك فأما
 الآن فلا سمعت منك حديثا أبدا، قال : إذا لا أفقد إلا شخصك ، على وعلى
 ألا أحدث ببغداد ما أمتُ حديثا واحدا حتى أغنى قبله ، وشاعت هذه الحكاية
 ببغداد فبلغت الرشيد، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التى قطعها النبي صلى الله
 عليه وسلم فى سرقه الحلّى، فدعا بعود، فقال الرشيد : أعودُ الجَمْرَ ؟ قال : لا ولكن
 ١٥ عود الطرب، فتبسّم ، ففهمها إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين
 حديثُ السّيفيّ الذى آذانى بالأمس وألجأتنى إلى أن حلفت ، قال : نعم ، فدعا له الرشيد
 بعود فأخذه إبراهيم وغنّى

يا أمّ طلحة إنّ البين قد أفدّا ۖ ملّ التّواء لأن كان الرّحيل فدّا

(١) فى الأصول «سعيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .

فقال له الرشيد : مَنْ كَانَ مِنْ فَهَائِكُمْ يَنْكَرُ السَّمَاعَ ؟ قَالَ : مَنْ رَبَّطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ .
قال : فهل بلغك عن مالك في هذا شيء ؟ فقال : لا والله ، إِلَّا أَنْ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ
اجْتَمَعُوا فِي مَدْعَاةٍ كَانَتْ فِي بَنِي يَرْبُوعَ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ جِلَّةٌ ، وَمَالِكٌ أَقْلَهُمْ فِي فِقْهِهِ وَقَدَّرَ
وَمَعَهُمْ دَفُوفٌ وَمَعَازِفٌ وَعِيدَانُ يَغْتَنُونَ وَيَلْعَبُونَ ، وَمَعَ مَالِكٍ دَفٌّ مَرَبِّعٌ وَهُوَ يَغْنِيهِمْ

٥ سَلِمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَنَا * وَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنَا
وقد قالت لأترابٍ * لها زُهرٌ تلاقينَا
تعالين فقد طاب * لنا العيش تعالينَا

فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم . ومات إبراهيم في هذه السنة وهو ابن خمس
وسبعين سنة . قال : وكان إبراهيم بن سعد يُبَالِغُ فِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ
١٠ الْأُئِمَّةُ عَلَى ثِقَتِهِ وَعَدَالَتِهِ وَالرَّوَايَةِ عَنْهُ ، وَأَتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى إِخْرَاجِ حَدِيثِهِ
فِي الصَّحِيحِ ، وَلَمْ تَسْقُطْ عَدَالَتُهُ بِفَعْلِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بَلْ قُلِدَ قَضَاءُ بَغْدَادَ عَلَى جَلَالَتِهَا ،
وَقُلِدَ أَبُوهُ الْقَضَاءُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى شَرَفِهَا .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :
شَهِدْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ يَحْلِفُ لِلرَّشِيدِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَمَّنْ بِالْمَدِينَةِ يَنْكَرُ الْغَنَاءَ فَقَالَ : مَنْ
قَنَّعَهُ اللَّهُ خَزْيَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، ثُمَّ حَلَفَ إِنَّهُ سَمِعَ مَالِكَاً يَقْنِي
١٥ سَلِمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَنَا * فَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنَا

فِي عُرْسٍ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُكْنَى أَبَا حَنْظَلَةَ . وَرَوَى أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى
الْحُسَيْنِ بْنِ دَعْنَانَ الْأَشْجَرِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ نَحْلًا إِلَى الطَّرِيقِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ
فَجَعَلْتُ أَتَفَنَّى

٢٠ مَا بِالْأَهْلِكِ يَارَبَّابَ * خُزْرَا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ قد فُتحت وإذا وجه قد بدا 'تنبه لحية حمراء فقال : يا فاسق ،
أسأت التادية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ثم آدفع يغنيه ، فظننت أن طويسا
قد نُشِرَ يغنيه فقلتُ : أصلحك الله من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام
أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لى أمى : يا بنى ، إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم
يُلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء وأطلب الفقه فإنه لا يضرّ معه قبح الوجه ، فتركتُ المغنين
وأتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بى ماترى ، فقلت : فأعِدْ جُعِلْتُ فداءك ، فقال : لا ولا كرامة
أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس وإذا هو مالك ولم أعلم .

٥

ومنهم محمد بن اسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ،
كان عالما بالفقه والغناء جميعا ، وكان يحيى بن أكرم وصفه للمأمون بالفقه ، ووصفه
أحمد بن يوسف بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجب ما أجمع فيه العلم بالعلم والغناء ! .

١٠

ذكر من غنى من الأعيان والأكابر القواد

من نُسِبَتْ له صنعةٌ فى الغناء

منهم أبو دَلْف العِجْلِيّ ، هو أبو داف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بنى عجل
أبن لجيم بن صُعب بن على بن بكر بن وائل . كان محله من الشجاعة وبعد الهمة وعلو
المحلّ عند الخلفاء وعظم الغناء فى المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محلا كبيرا
ليس لكثير من أمثاله . قال أبو الفرج الأصبهانيّ : وله صنعة حسنة ، فمن جيد
صنعتة قوله — والشعر له أيضا —

١٥

بنفسى يا جَنَانُ وَأَنْتِ مَنّى * مكانَ الرُّوح من جَسَد الجَبانِ
ولو أنى أقول مكان نفسى * خَشِيتُ عليك بادرة الزمانِ
لإقدامى إذا ما الخيل حامت * وهاب كُجَاهُها حَرَّ الطَّمانِ

٢٠

- قال : وكان أحمد بن أبي دؤاد ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصم أن
 أبا دؤاد صديقه يغنى ، فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم أحمد
 ابن أبي دؤاد في موضع ، وأحضر أبا دؤاد وأمره أن يغنى ففعل ذلك وأطال ،
 ثم أخرج أحمد بن أبي دؤاد عليه ، نخرج والكراهة ظاهرة في وجهه ، فلما رآه أحمد
 قال : سوءٌ لهذا من فعل ! أبعد [هذا] السن وهذا المحل تصنع بنفسك ما أرى ! فنجعل
 أبو دؤاد وتشور وقال : إنهم ليكرهوني على ذلك ، فقال : هبهم أكرهوك على الغناء
 أهم أكرهوك على الإحسان فيه والإصابة ؟ . قال : وكان أبو دؤاد ينادم الوراق ،
 فوصف للمعتصم فاحب أن يسمعه وسأل الوراق عنه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا على
 نية الفصد غداً وهو عندي ، وفصد الوراق فأتاه أبو دؤاد وأتته رسل الخليفة بالهدايا
 فأعلمهم الوراق حصول أبي دؤاد عنده فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون : قد جاء
 الخليفة ، فقام الوراق وكل من كان عنده حتى تلقوه ، وجاء حتى جلس وأمر بندماء
 الوراق فرددوا إلى مجالسهم ، وأقبل الوراق على أبي دؤاد فقال : يا قاسم ، غنّ أمير المؤمنين ،
 فقال : صوتا بعينه أو ما اخترت ؟ قال : بل من صنعتك في شعر جرير ، فغنى
 بأن الخليل برامتين فودعوا * أوكلما أعتروا لين تجزع
 كيف العزاء ولم أجد مذغبتهم * قلبا يقسر ولا شرباً ينقع

- فقال المعتصم : أحسن أحسن ثلاثا وشرب رطلا ، ولم يزل يستعيده حتى شرب
 تسعة أراطال ثم دعا بحمار فركبه وأمر أبا دؤاد أن ينصرف معه فخرج معه فثبت
 في ندمائه ، وأمر له بعشرين ألف دينار . قال : وكان أبو دؤاد جوادا ممدوحا
 وفيه يقول علي بن جبلة من قصيدة يقول فيها
 ذاد ورد النى عن صدره * وأرعوى واللهو من وطره

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ (٢) في الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ « تضع نفسك » .

(٣) يقال : شورت الرجل وبالرجل فتشور : اذا خجلته فنجعل .

نَدِمِي أَنْ الشَّبَابَ مَضَى * لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشِيرِهِ
حَسَرْتُ عَنِّي بِشَاشَتِهِ * وَذَوَى الْمَحْمُودِ مِنْ ثَمَرِهِ
وَدِيمٌ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشِي * لَمْ يُرِدْ عَقْلًا عَلَى هَدَرِهِ

جاء منها

دَعَا جَدًّا حَظْطَانًا أَوْ مُضِيرًا * فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ
وَأَمْتَدَحَ مِنْ وَائِلِ رَجُلًا * عَصْرُ الْآفَاقِ مِنْ عَصَرِهِ

ومنها

الْمَسَايَا فِي مَقَانِبِهِ * وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا مُجَرِّهِ
مَلِكٌ تَدَى أَنْامِلُهُ * كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَأَنْبَسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ

ومنها

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيهِ وَوُحْشَتِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلٌّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةٌ : يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحَرِهِ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على بن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه ،

وقوله فيه

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَتَرْلَهَا * وَتُنْقِلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ * إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
تَزُورُ مُخْطَأَ فُتُوحِي الْبَيْضِ ضَاكِمَةً * وَتَسْتَهْلُ فِتْبَكِي أَعْيُنِ الْمَالِ

وكان سبب مدح على بن جبلة أبا دلف بقوله

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل فكان يُظهر من برّي وإكرامى والتحنّي بي أمرا عظيما مُفرطا حتى تأخرت عنه حياء ، فبعثت إلى معقلا وقال : يقول لك الأمير : قد آتقطعت عني وأظنك قد استقلت برّي ، فلا يُغضبك ذلك فإني سأزيد فيه حتى ترضى ؛ فقلت : والله ما قطعني إلا الإفراط في البرّ ، وكتبت إليه

ه
هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة * وهل يُرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا * فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر
فيم الآن لا آتيتك إلا مسالما * أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر
فإن زدني برّا تزايدت جفوة * ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

١٠ فلما قرأها معقل آسحسها ، وقال : أحسنت والله ، أما إن الأمير يُعجبه هذا من المعاني ؛ فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله ؛ ما أشعره وأرق معانيه ! وأجاني لوقته — وكان حسن البديهة حاضر الجواب —

ألا رب طيف طارق قد بسطته * وأنستهُ قبل الضيافة بالبشر
أتاني يُرجيني فما حال دونه * ودون القرى والعُرف من نائل سترى
١٥ وجدت له فضلا على بقصده * إلى وبرّا زاد فيه على برّي
فزودته ما لا يدوم بقاؤه * وزودني مدحا يدوم على الدهر
قال : وبعث بالآيات وصيفا وبعث إلىّ معه ألف دينار ، فقلت حينئذ
* إنما الدنيا أبو دلف * الآيات

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : كما عند أبي العباس
المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

٢٠

(١) أصله « فَرِ آلَان » ، حُذفت النون تخفيفا .

وقتي من ولد أبي دُلَف العجلى شبيه به في الجمال ، فقال المبرد لابن أبي البَحْتَرى :
أعرف لحدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يُسبق إليها ، قال : وما هي ؟ قال :
دُعِيَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذى يشربون منه
فقال فيهم

نَبِيذَانِ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ * لِإِشَارِ مُثْرٍ عَلَى مُقْتَرِ
فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ ذَا فِي الطَّعَامِ * لَزِمْتَ قِيَاسَكَ فِي الْمَسْكِرِ
وَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَعْلَ الْكِرَامِ * صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَحْتَرِى
تُبْعَ إِخْوَانِهِ فِي الْبِلَادِ * فَأَغْنَى الْمَقْلَ عَنِ الْمَكْتَرِ

فبلغت الأبيات أبا البَحْتَرى ، فبعث إليه ثلثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت
وقد فعل جَدُّ هذا القتي في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا ، قال : وما فعل ؟
قلت : بلغه أن رجلا افتقر من ثروة فقالت له امرأته : آفَرَضُ في الجند فقال
إليكَ عَنَى فَقَدْ كَلَّفَنِي شَطَطًا * حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِعِينَ قِفَ
تَمْشَى الْمَنَايَا إِلَى قُومٍ فَأَكْرَهَهَا * فَكَيْفَ أَمْشَى إِلَيْهَا عَارِي الْكَثِيفِ
حَسِبْتُ أَنْ نَفَادَ الْمَالِ غَيْرِنِ * أَوْ أَنَّ رُوحِي فِي جَنِّي أَبِي دُلَفِ ؟

٩٥

فأحضره أبو دُلَف وقال : كم أملتِ أمراًئك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار ،
قال : كم أملتِ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة ، قال : فذلك لك على ما أملتِ
وأملتِ أمراًئك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه ، قال : فرأيت وجه
ابن أبي دلف يتהלل وأنكسر ابن أبي البَحْتَرى ، وهذه الأبيات رويت لابن أبي قننٍ
ومنهم أخوه مَعْقِل بن عيسى ، كان فارساً شاعراً جواداً مغنياً فهِمَا بالنِّعَمِ
وَالْوَرِّ ، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وهو القائل لمخارق — وقد كان زار
أبا دلف بالجليل ثم رجع إلى العراق ، وله في ذلك غناء —

لعمري لئن قوت بقربك أعين * لقد سحنت بالبعد عنك عيون
فسر أو أقم، وقف عليك مودتي * مكانك من قلبي عليك مصون
فأوحش الدنيا إذا كنت نازحا * وما أحسن الدنيا بحيث تكون

ومنها عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله، فأما عبد الله فكان
محله من علو المنزلة وعظم القدر والتمكن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور في أخبارهم،
وتقلد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما يل ذلك، ثم نقل إلى نخراسان وله
عطايا وهبات وصلات لا ينكرها أحد، ومحله من الشجاعة والإقدام معروف، وكان
يعتنى بالغناء ويصنعه إلا أنه كان يترفع عن ذكره والاعتراف به ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة ، وكان أبنة
عبيد الله إذا ذكر شيئا منها من صغته قال : الغناء للدار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئا
من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة ؛ فن الأصوات التي صنع فيها عبد الله
أبن طاهر قوله

هلا سقيتم بنى حرم أسيركم ^(١) * نفسى فداؤك من ذى غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها * مضرّج بعد ما جادت بإزباد

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [بين] لين وشدة على رسم
الحدّاق القدماء . قال عبيد الله — رذك صوتا من أصواته — لما صنع أبى هذا الصوت
لم يجب أن يُسمع عنه شيء من الغناء ولا يُنسب إليه ؛ لأنه كان يترفع ^(٢) عن ذلك
وما جسّ بيده وترًا قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة

(١) كذا بالأصل ، وفي الأغاني ج ١١ ص ١٤ "بنى سهم" ثم قال : وهم يطن من هذيل وذكره

في موضع آخر بلفظ « بنى جرم » . (٢) الزيادة عن الأغاني ح ١١ ص ١٤

(٣) في الأصل « يرتفع » وما أثبتناه رواية الأغاني ج ١١ ص ١٦

وحسن الثقافة ما لا يعرفه كثير، قال: وبلغ من علم ذلك الى أن صنع في أبيات أصواتا كثيرة فآلقها على جواريه، فأخذها عنه وغنّ بها وسمعاها الناس منهم [ومن أخذ عنهم]، فلما أن صنع هذا الصوت

هلا سقيتم بنى سهم أسيركم * نفسى فداؤك من ذى غلة صادى^(١)

نسبه إلى مالك بن أبي السّمح، وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها :
 راحة^(٢)، وكانت ترغب إلى عبد الله لما ندبه المأمون إلى مصر وكانت تغنيه وأخذت
 هذا الصوت عن جواريه وأخذها المغنون عنها ورؤى لمالك بن أبي السّمح مدة،
 ثم قدم عبد الله العراق، فحضر مجلس المأمون وغنّى الصوت بحضرته ونُسب إلى
 مالك، فضحك عبد الله ضحكا كثيرا، فُسئل عن القصّة فصدق فيها، واعترف بصنعة^(٣)
 الصوت وكشف المأمون عن القصّة، فلم يزل كل من سُئل عنه عن أخذه فينتهى
 بالقصّة إلى راحة ويقف فلا يعدوها، فأحضرت راحة^(٤) وسُئلت، فأخبرت بقصته
 فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك ويقال : إنه
 لم يعجب من شيء عجبه من حذق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأما عبيد الله ويكنى أبا أحمد . قال أبو الصرج الأصبهاني : له محلّ من الأدب
 والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من^(٥)
 الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك [مما] يجل عن الوصف ويكثر ذكره؛ وله

(١) الزيادة عن الأغاني ج ١١ ص ١٧ (٢) في الأغاني ج ١١ ص ١٧ : «داحة» .

(٣) كذا بالأغاني، ج ١١ ص ١٧ وفي الأصل «عنا» .

(٤) كذا بالأصل، وفي الأغاني ج ١١ ص ١٧ «كل من سئل عنه يخبر عن أخذه» .

(٥) كذا بالأغاني، ج ٨ ص ٤٤ وفي الأصل «الطبقة» .

(٦) الزيادة عن الأغاني ج ٨ ص ٤٤

صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة إلى ما يعجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد حتى بلغه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها . وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المغنين فيعدل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ويرتفع عن إظهار نفسه بذلك فيومئ إلى أنه من صنعة جاريته شاجي، وسنذكر شاجي إن شاء الله تعالى في أخبار القيان، وكانت تخريج عبید الله وتأديبه . قال : ولما آخلت حال عبید الله كان المعتضد بالله يتفقدّه بالصلّات . ومن أصوات عبید الله التي جمع فيها النغم العشر قوله في شعر إبراهيم بن علي بن هزيمة

- (٣) وإنك إذ أطمعني منك بالرضا * وأياسني من بعد ذلك بالعصب
١٠ تُمَكِّنُهُ مِنْ دَرَاهَا كَفَّ حَالِبٌ : ودافقه من بعد ذلك ما حَلَبُ
(٢) وأخبار عبید الله كثيرة سذكر منها في هذا الباب في أخبار شاجي طرفاً ونوردها إن شاء الله تعالى في فن التاريخ ما يناسب، وأستغفر الله العظيم .

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية

وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ وَمِنْ أَشْتَهَرَ بِالْغِنَاءِ

- ١٥ والغناء قديم في الفرس والروم ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحُداة والنشيد، وكانوا يسمونه «الركانية» . وأوّل مَنْ نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة "سعيد بن مسجع" ومن أهل المدينة "سائب خاثر" . وأوّل من صنع الهزج "طويس" ولنبداً بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر مَنْ أخذ عنهم إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الأغاني في ج ٨ ص ٤٤ « في صوت واحد تنجيه هو » . (٢) كذا بالأغاني ج ٨

ص ٤٤ وفي الأصل «ساجي» . (٣) كذا بالأغاني ج ٨ ص ٤٤ ، وفي الأصل «إن» . ٢٠

ذكر أخبار سعيد بن مسجع

- هو أبو عثمان سعيد بن مسجع مولى بنى جُمَح، وقيل: مولى بنى مخزوم، وقيل: مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، مكيّ - أسود، وقيل: أصفر حسن اللون، وقيل: كان مؤلداً يُكنى أبا عيسى، وقيل: كان هو وأبن سُرَيْج لرجل واحد. مغنّ متقدم من فحول المغنّين وأكابرهم، وهو أول من وضع الغناء منهم، وأول من غنّى الغناء العربي بمكة، وذلك أنه مرّ بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام في أيام عبد الله ابن الزبير فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربيّ ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم والبربطية والأسطوخوسية، وأنقلب إلى فارس فأخذ غناء كثيراً وتعلّم الضرب ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم، وكان أول من فعل ذلك وتبعه الناس بعد، وعلم ابن سريج، وعلم ابن سُرَيْج الغناء والغريب. قالوا: وكان في صباه فطناً ذكياً، وكان مولاه مُعجّبا به فكان يقول: ليكونَ لهذا الغلام شأنٌ وما يمنعني من عتقه إلا حُسْنُ فِرَاسَتِي فيه، ولئن عشتُ لأتعرّفن ذلك، وإن مُت قبله فهو حرّ، فسمعه مولاه يوماً يتغنّى بشعر ابن الرّقاع يقول:
- ألم على طلل عفا متقادماً * بين الذؤيب وبين غيب الناعم
لولا الحياء وأن رأسي قد عسا * فيه المشيب لزلت أم القاسم

(١) كذا بالأغاني ج ٣ ص ٨٤ وفي الأصل «الأسطرخوسية» • وعارة الأغاني هي الصحيحة والأسطوخوسية معناها الأجرام السهارية وقد ورد في الفصل الثاني من كتاب «زین الألحان في علم التأليف والأوزان» مؤلفه محمد بن عبد الحميد اللاذقي «أن المناخرين نسبوا المقامات إلى البروج والأزوارات إلى الكواكب السبعة السبابة والشعب إلى العاصم لمشاهادتهم بين طبائع المسود إليه والمسبوب ماسبات معنوية حال رياضتهم وإن كانت غير معلومة لها وأما ثمرة الانساب فعلموه لها في علم جر التلوث وتسجيرها» • أعاده حصة الأستاذ نور الدين بك • مخطي •

(٢) في الأصل «الديك» والنصوب عن معجم يافوت ح ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا •

فدعاه مولاه، فقال : أعد يابنّ، فأعاده فإذا هو أحسن مما ابتدأ به وقال : إن هذا لبعض ما كنت أقول، ثم قال له : أتى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تُتغنى بالفارسيّة فقلبتها في هذا الشعر، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثر أدبه وأتسع في غنائه وشهر بمكة وأُعجبوا به ، فدفع إليه مولاه عبيد بن سريح وقال : يابنّ علمه وأجتهد فيه ، وكان ابن سريح أحسن الناس صوتا فتعلم منه ثم برز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفرس لما أمر معاوية ببناء دوره بمكة التي يقال لها : «الرقط» ، وكان قد حمل إليها بنائين من الفرس الذين كانوا بالعراق فكانوا يبنونها ، وكان سعيد بن مسجع يأتيهم فيسمع غنائهم على بنائهم ، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ ثم صاغ على نحو ذلك ، وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الألحان شعر الأحوص وهو

١٠

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدِ مَلَكْتَ فَأَسِجِحِي . قَد يَمْلِكُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيُسِجِحُ
مُنَى عَلَى عَائِشٍ أَطْلَتِ عَنَاءَهُ * فِي الْغُلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَاءُ تُسْرِحُ
إِنِّي لَا نَصَحَكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَن يَغْشُ وَيَنْصَحُ
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حَبَّهَا * قَالَتْ أَجِدُّ مِنْكَ ذَا أُمٍ تَمَزَحُ

وهذا من أقدم الغناء العربيّ المنقول عن الفارسيّ . قال : وعاش سعيد بن مسجع حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك .

١٥

ومن أخبار سعيد ما حكاه أبو الفرج الأصفهانيّ بسند رفعه قال : كتب عامل لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجع قد أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليه أن آقبض ماله وسيّره إلىّ ، فتوجه ابن مسجع إلى الشام ، فصحبته رجل له جوار مغنيات في الطريق ، فقال له : أين تريد؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشام ، فصحبته حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسجدها

٢٠

٩٧

فسالوا : مَنْ أَخَصَّ النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجح عليهم فسلم ثم قال : يا فتیانُ ، هل فيكم مَنْ يُضيف رجلا غربيا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَبْنة يقال لها : « برق الأفق » ، فتناقلوا به إلا فتي منهم تَذَمُّع فقال له : أنا أُضيفك وقال لأصحابه : أنطلقوا أتم وأنا أذهب مع ضيفي فقالوا : لا ، بل تجيء معنا أنت وضيفك ، فذهبوا جميعا إلى بيت القَبْنة ، فلما أُتُوا بالغداء قال لهم سَعِيد : إني رجل أسود ولعل فيكم مَنْ يَقْدِرُنِي فَأنا أجلس وآكل ناحيةً وقام ، فأستحيوا منه وبعثوا له بما أكل . فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا ، ثم أخرجوا حاريتين فجلستا على سرير قد وُضِعَ لهما ففتتا إلى العشاء ، ثم دخلتا وخرجت جارية حَسَنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستا أسفل السرير عن يمينه وشماله وجلست هي على السرير ، قال ابن مسجح : فتمثلتُ هذا البيت

فقلتُ أشمسُ أم مصابيحُ بيعة * بدت لك خَلْفَ السَّجَفِ أم أنتَ حالم

فغَضِبَت الجارية وقالت : أ يضرب مثلُ هذا الأسود بي الأمثال ! فنظروا إلى نظرا منكرا ، ولم يزالوا يُسَكِّنُونَهَا ثم غَنَّت صوتا . قال ابن مسجح : فقلت أحسنت والله ، فغضب مولاه وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقَدِّم على جاري ! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فأنصرف إلى منزلي فقد ثَقَلَت على القوم ، فذهبت أقوم فتذمُّع القوم وقالوا : بل أقم وأحسن أدبك ، فأقمت ففنت فقلت : أخطأت والله وأسأت ثم أندفعتُ فغَنَّت الصوت ، فوثبت الجارية فقالت لمولاه : هذا أبو عثمان سَعِيد بن مسجح فقلت : إني والله ، أنا هو ، والله لا أقيم عندكم ووثبت ، فوثب القرشيون

(١) جاء في لسان العرب في مادة «دمم» : التذمُّع للصاحب هو أن يحمط ذمامه ويطرح عن همه ذم

الناس له إن لم يحمطه .

فقال هذا : تكون عندى ، وقال هذا : تكون عندى ، [وقال هذا : بل عندى ^(١)] فقلت : والله لا أقیم إلا عند سيّدكم ! يعنى الرجل الذى أنزله منهم ، وسألوه عما أقدمه ، فأخبرهم ، فقال له صاحبه : إني أَسْمُرُ الليلة عند أمير المؤمنين فهل تُحَسِّن أن تحدو؟ فقال : لا والله ولكنى أصنع حُدَاءً ، فقال له : إن منزلى بجدهاء منزل أمير المؤمنين فإذا وافقتُ منه طيبَ نفس أرسلتُ إليك ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طيبَ النفس أرسله إلى ابن مسجح ، فأنحرج رأسه من وراء شُرف القصر ثم حدا
إليك يا معاذُ يابنَ الفضل ^(٢) : إن زُلزَلَ الأقدامُ لم تُزَلِّزِ
عن دين موسى والكتاب المنزل ^(٣) * تُقيمُ أصداعُ القرونِ المِيلَ
* للحق حتى ينتحوا للأعدلِ *

- ١٠ فقال عبد الملك للقرشيّ : من هذا؟ فقال : رجل حجازيّ قدم علىّ ، قال : أحضره ، فأحضره ، ثم قال له : [هل] تُغْنِي غناء الركبان ؟ فغنى ، فقال له : هل تغنى الغناء المتقن ؟ قال : نعم ، قال : هيه ، فغنى ، فاهترّ عبد الملك طرباً ثم قال : أقسم بالله إن لك في القوم أسماً كبيراً ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه « سَعِيد بن مسجح » قبض مالى عاملُ الحجاز ونفانى ، فتبسم عبد الملك ثم قال : قد وَصَحَ عذْرَ فَيَّانٍ قُرَيْشٍ أن يُنْفِقُوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله وكتب ^(٤)
١٥ إلى عامله بالجهاز أن أَرْدَدَ إليه ماله ، ولا تُتَعَرَّضَ إليه بسوء ، والله أعلم .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٨٧

(٢) في الأصل هكذا * إليك يا معاوى الفصل * والتصويب عن الأغانى ج ٣ ص ٨٧

(٣) في الأصل هكذا «أضرع» ، وفي الأغانى ج ٣ ص ٨٧ «أصداع» وكلاهما محرف عن

٢٠ «أصداع» بالعين المعجمة لأنه من صدع يصدع صدوعاً وصدداً بمعنى مال ومه لأقيم صدعك أى ميلك .

(٤) كذا بالأصل وفي الأغانى ج ٣ ص ٨٨ «وكتب الى عامله برّد ماله عليه وآلا يعرض له بسوء» .

ذكر أخبار سائب خاثر

هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار مولى لبنى ليث، وأصله من فء كسرى وأشتهر عبد الله بن جعفر فأعتقه، وقيل: بل كان على ولائه لبنى ليث ولكنه أقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرف به. وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. قال: وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيْسٍ إماماً صَنَاجَاتِ فَأَنَّى بِهِنَّ الْمَدِينَةَ، فَكُنَّ يَلْعَبْنَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَيَسْمَعُ النَّاسُ مِنْهُنَّ فَأَخَذَ عَنْهُنَّ. وقدم رجل فارسي يُعْرِفُ بِنَشِيطٍ، فغنى، فعجب عبد الله بن جعفر منه، فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غداء هذا الفارسي بالعربية ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل في

لِمَنِ الدِّيارُ رُسُومُهَا قَفَّرُ * لَعِبْتُ بِهَا الْأَرْواحُ وَالْقَطَرُ
وَحَلَا لَهَا مِنْ بَعْدِ سَاكِنِهَا * جَجَجَ مَضَيْنَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ
وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا * شَرِقُ بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة. قال: ثم اشتري عبد الله بن جعفر نَشِيطًا بعد ذلك فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربي، وأخذ عنه ابن سُرَيْجٍ وَحِيلَةَ وَمَعْبُدَ وَعَزَّةَ الْمَيْلَاءِ وغيرهم. وقيل: إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مرتجلا. قال ابن الكلبي: وكان [سائب تاجرا] مُوسِرًا يبيع الطعام بالمدينة، وكان تحته أربع نسوة، وكان أقطاعه إلى عبد الله بن جعفر وهو مع ذلك يُخَالِطُ سَرَوَاتِ النَّاسِ

(١) في الأغاني ج ٧ ص ١٨٨: «اشترى». (٢) من الاعبات بالصنع، وهو صفيحة

مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وقيل: الصنع ذو الاوتار الذي يلعب به.

(٣) كذا بالأصل، وفي الأغاني ج ٧ ص ١٨٨ «وقد صنع لمن الديار» الخ.

(٤) الزيادة عن الأغاني ج ٧ ص ١٨٨.

وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته ، وكان قد آلى على نفسه ألا يغنى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قُتل على ما ذكره . وأخذ عنه معبد غناء كثيرا ، قال : وسمع معاوية غناء سائب خاثر مرارا ، فالمرة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاوية ، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه ، فأذن له ؛ فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى

* لمن الديار رسومها قفرُ * الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أشهد لقد حسنه ، وقضى معاوية حوائجه وأحسن إليه ووصله ، وقيل : أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد فسمع صوتا أعجبه وأستخفه السماع ، فاستمع حتى مل ثم دعا بكري بفس عليه وأشتهى الاستراذه ، فاستمع بقية ليلته ، فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال : يا بني ، من كان جليساك البارحة ؟ قال : أئى جليس يا أمير المؤمنين ؟ وأستمعهم عليه ، فقال : عرفني به فإنه لم يخف على شيء من أمرك ، قال : هو سائب خاثر ، قال معاوية : فأكثر له يا بني من برك وصلتك فما رأيت مجالسته بأسا .

قال ابن الكلابي : وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالإذن للباس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالباب أحد ، فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند عبد الله بن جعفر ، فركب معاوية بغلته ثم توجه إليهم ، فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرفي هذا لك إن أندفعت فغنى ، وكان الطرف من خر ؛ فقام بين السامطين وغنى فقال

لما الحفقات الغر يلمعن بالضحي ^(١) * وأسيافنا يقطرن من تجدة دما

(١) كذا في الأغاني ج ٧ ص ١٩٠ وكامل الميرد وديوان قائله سيدنا حسام بن ثابت المطبوع

في أوروبا ، وورد بالأصل « في الدجى » .

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك ثم أنصرف وأخذ سائب خاثر المطرف^(١). وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة، قال: وكان يخشى على نفسه من أهل الشام، ففرج اليهم وجعل يقول: أنا مغن ومن حالي ومن قصتي كيت وكيت وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله، فقالوا له: غن لنا، ففعل. فقام أحدهم فقال: أحسنت والله، ثم ضربه بالسيف فقتله، وبلغ يزيد خبره ومرّ به اسمه في أسماء من قُتل فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر؟ فعُرف به، فقال: ويله ماله ومالنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسا! فما الذي حمّله على عداوتنا! لا جرم أن بغيه علينا صرعه. وقيل إنه لما بلغه قتله قال: إنا لله! أوبلع القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد، وقال: قبّحكم الله يا أهل الشام، تجدهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه، وقد قيل: إنه تقدّم يوم الحرة وقاتل حتى قُتل، والله أعلم.

ذكر أخبار طويس

هو عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم، وغيرها المختون فقالوا: أبو عبد النعم، وطويس لقبٌ غلب عليه وقيل: اسمه طاوس مولى بنى مخزوم، وكان أيضا يلقب بالذائب لأنه غنى

قد برانى الحب حتى * كدّت من وجدى أذوب

وهذا أول غناء غناه وهزج هزجه، وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا: "أشأم من طويس" لأنه ولد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقُطِم يوم

(١) روى المبرد في الكامل حكاية لمعاوية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه انظر

مات أبو بكر رضى الله عنه ، وَخَتَنَ يوم مات عمر رضى الله عنه ، وتزوج يوم قُتِلَ عثمان ، ووُلِدَ له يوم مات عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان مَحْتَمًا أَحْوَل طويلا وقيل : إنه وُلِدَ ذاهبَ العين اليمنى . قالوا : وكانت أمّه تمشي بين نساء الأنصار بالتمام . وطوَّيس أول من صَنَعَ الهَرْجَ والرَّمْلَ في الإسلام ، وكان الناس يضربون به المثل فيقولون : « أَهْرَجُ من طوَّيس » وكانت لا يضرب بالعود وإنما ينقر بالدَفِّ ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المدائني قال : قدم ابن سريج المدينة فجلس يوما في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسنُ الناس غناء ، إذ مرَّ بهم طوَّيس فسمعهم وما يقولون ، فاستلَّ دُفَّهُ من حِضْنِهِ ونَقَرَهُ وغنَّى ، فلما سمعه ابن سريج ، قال : هذا والله أحسنُ الناس غناء لا أنا . وقال المدائني : قال مُسلم بن مُحارب : حدثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سفر ومعنا رجلٌ من أصحابنا فاتهمنا إلى واد فدعونا بالغداء فذَّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وكان قبل ذلك يأكل معنا ، فخرجنا نسال عن حاله فلقينا رجلا طويلا أَحْوَل مضطربَ الخلق في زِيِّ الأعراب ، فقال لنا : مالكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل ، فقال : ما أسمُ صاحبكم ؟ فقلنا : أُسيد فقال : هذا واد قد أُخِذَتْ سباعه فارتحلوا فلو قد جاوزتم الوادى استتر صاحبكم وأُسيد وأَكَل ، قلنا في أنفسنا : هو من الحق ، ودخلتنا فزعة ، ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخَ رَوْعُكُمْ فانا طوَّيس ، فقال له رجل منا : مرحبا بك أبا عبد النعم ، ما هذا الزى ؟ فقال : دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببتُ أن أنخطي

(١) في الأغانى ج ٢ ص ١٧٤ : «مسلة» .

(٢) في الأصول «فطلق» والتصويب عن الأغانى ج ٢ ص ١٧٤

(٣) كذا بالأمر . وفي الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «أخاف» .

(٤) هكذا بالأمر . والذى في الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «استتر صاحبكم رأكلي» بدون أسد .

الأحياء فلا يُنكرونى، فسأله رجل منا أن يغنينا، فاندفع ونقر بَدْفَ كان معه مرَّج، فلقد خُيِّلَ لى أن الوادى ينطق معه حسنا وتعجبا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا. قال المدائنى: وكان طُويس وَلِها بالشعر الذى قالته الأوس والخزرج فى حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء، فقلَّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طُويس إلا وقع فيه شيء، فنهى عن ذلك فقال: والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوسدوني التراب وذلك لكثرة تولع القوم به، وكان يُبدى السرائر ويُخرج الضغائن؛ وغناؤه يُستحسن ولا يُصبر عن حديثه.

وحكى الأصهبانى عفا الله عنه، قال: كان بالمدينة مخنث يقال له: النعاشى فقيل لمروان بن الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا، فبعث إليه فاستقرأه أم الكتاب، فقال: والله ما معى بنائما، أو ما أقرأ النبات فكيف أقرأ أمهم! فقال: ١٠ أنهزأ لا أم لك!، فأمر به فقتل بيطحان^(١) وقال: من جاءنى بمخنث فله عشرة دنانير، فأتى طُويس وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فأخبر بمقالة مروان، فقال: أما فضلى الأمير عليهم بفضل حتى جعل فى وفهم شيئا واحدا؟ ثم خرج حتى نزل السويداء على ليلتين من المدينة فى طريق الشام فترها فلم يزل بها بقية عمره وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك. ثم ساق الأصهبانى هذه القصة فى موضع آخر بسند ١٥ آخر قال: خرج يحيى بن الحَكَم وهو أمير على المدينة فبصر بشخص فى السبحة مما يلى مسجد الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى جلس فاستراب به فوجه إليه أعوانه فأتى به كأنه امرأة فى ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مخنضب فقال له أعوانه: هذا ابن نَعاش المخنث، فقال: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا، أقرأ أم القرآن، فقال:

(١) بطحان بفتح الباء، اسم راد بالمدينة واليه ينسب البطحانيون وأكثرهم يضم الباء، قال ابن الأثير: ولعله الأصح. انظر اللسان فى مادة «بطح».

لو عَرَفْتُ أَمْتَهُنَّ عَرَفْتُ الْبَنَاتِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَتْ عَنْقَهُ وَسَاقَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّهُ
قال : جعل في كل مِخْنَتٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره أن أبان بن عثمان لما أَمَرَهُ
عبد الملك على الحجاز، أَقْبَلَ حَتَّى [إِذَا] دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهَا ،
فَخَرَجَ مَعَهُمْ طُوَيْسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي كُنْتُ قَدْ أُعْطِيتُ
الله تعالى عهدا إن رأيتك أميراً لأَخِصْبَيْنِ يَدِي إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ ثُمَّ أَرُدُو بِالذِّفِّ بَيْنَ يَدَيْكَ
ثم أَبْدَى عَنْ دِفِّهِ وَتَقَنَّى [بِشَعْرَ ذِي جَدَنِ الْحِمْرِيِّ] ^(١)

مَا بِالْأَهْلِكِ يَا رَبَّابُ . خَزَرًا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

فَطَرَبَ أَبَانُ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : حَسْبُكَ يَا طَاوُسُ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ
طُوَيْسٌ لِنُبُلِهِ فِي عَيْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، بَجَسْ ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ كَافِرٌ
فَقَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، وَالله إِنِّي لَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ [صَلَّى
الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] وَأَصَلَّى الْخَمْسَ وَأَصُومُ رَمَضَانَ وَأَحْجُّ الْبَيْتَ ، قَالَ : أَفَأَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ عَمْرُو
ابن عثمان ؟ وَكَانَ عَمْرُو أَخَا أَبَانَ لِأُمِّهِ وَأُمِّهِ ، فَقَالَ طُوَيْسٌ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنَا وَالله
مَعَ حُلَاثِلِ نِسَاءِ قَوْمِي أَمْسِكُ بِذِيوَلَهْنٍ يَوْمَ زُقْتُ أَمْلَكَ الْمُبَارَكَةُ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ ،
فَاسْتَحْيَا أَبَانُ وَرَمَى بِطَرْفِهِ إِلَى الْأَرْضِ .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ٣٨

(٢) هكذا بالأصول ، والذي في اللسان والقاموس أنه من باب رمى فضارعه «أَرَدِي» يقال ردى
الغلام إذا رفع إحدى رجله وقفز بالأخرى .

(٣) وردت هذه الجملة في الأصول ولم ترد في رواية الأغانى ج ٤ ص ٣٨ وقد جرت عادة النساخ

في مثل هذا المقام أن يزيدوها .

(٤) في الأصول «على» والتصويب عن الأغانى ج ٤ ص ٣٨

ذكر أخبار عبد الله بن سُرَيْج^(١)

هو أبو يحيى عبد الله بن سُرَيْج مَوْلَى بَنِي نَوْفَل بن عبد مناف، وقال ابن الكلبي: إنه مَوْلَى لَبْنِي الحارث بن عبد المطلب، وقيل: إنه مَوْلَى لَبْنِي لَيْث ومزله بمكة. وقال الحسن بن عتبة اللّهي: إنه مَوْلَى لَبْنِي عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان آدمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سُنَاطًا^(٢) في عَيْنِهِ قَبْلَ^(٣)، وبلغ خمسًا وثمانين سنة، وكان منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر.

ونَقَلَ أيضًا عن ابن الكلبي أنه كان مُحْتَنًا أَحْوَلَ أَعْمَشَ يُلقَب وجهه الباب، وكان لَا يُغْنَى إِلَّا مُتَقَبًا، مُسَبِّلَ القِنَاعِ على وجهه، قال: وكان أحسن الناس غناء، وكان يغني مرَّجِلًا وَيُوقَعُ بقضيب، وقيل: كان يصرب بالعود، وعنى في زمن عثمان بن عفان، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك. وقيل: كان اسمه عُبَيْد بن سُرَيْج من أهل مكة. وقال ابن جُرَيْج: كان عُبَيْد بن سُرَيْج مَوْلَى آل خالد بن أُسَيْد، وقيل: كان أبوه تَرْيَكًا. وقيل: كان عُوْدُهُ على صنعة عيدان الفرس، وهو أوَّل من ضرب به على الغناء العربي بمكة. وذلك أنه رآه مع العجم الذين قَدِم بهم ابنُ الزَّيَّير لبناء الكعبة، فأعجب أهل مكة عناؤهم. فقال ابن سُرَيْج: أنا أضرب به على غنائى، فضرب به فكان أحذق الناس. وأخذ الغناء عن سَعِيد بن مسْجَع وقد تقدّم ذكر ذلك. وأوَّل ما اشتهر بالغناء في خُتَانِ ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَيْن، قال ابن سُرَيْج لَأَمَّ الغلام: خَفَضَ عليك بعض المغرم والكلفة فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به. وكان معبّد إذا أعجبه غناء نفسه قال: أنا اليوم سُرَيْجِي.

(١) هكذا بالأصول، وفي الأغاني ح ١ ص ٩٧ «عبدالله» وسيأتي قريباً أنه يسمى «عبد بن مريج».

(٢) السَّنَاط في اللغة هو الذي لا حيلة له أصلاً أو الحفيف العارض أو من له حيلة وليس في عارضيه شيء.

(٣) القَبْل: مثل الحول في العين أو هو أحسن منه.

ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبي رباح لقيه بذى طوى وعليه ثياب مُصَبَّغة وفي يده جَرَادَة مشدودة الرَّجْل بحَيْط يُطِيرها ويَحْذِها كلها تَحَلَّتْ ، فقال له عطاء : يا فتان ، ألا تُكفِّ عما أنت فيه ! كفى الله الناسِ مُثُونَك ، فقال له ابنُ سُرَيْج : وما على الناس من تلويحِ ثيابي ولعبي بجرادتي ! فقال : تغنيهم أغانيك الخبيثة ، فقال له ابنُ سُرَيْج : بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم عليك إلا سمعت متى بيتا من الشعر فإن سمعت منكرا أمرتني بالإمساك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية إن أمرتني بعد استماعك متى بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ، فاطمع ذلك عطاء في ابنِ سُرَيْج وقال له : قل ، فاندفع يغني بشعر جرير

١٠. إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِكَ غَادِرُوا * وَشَلَّا بَعِيكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا
غَيْضُ مَنْ عِبْرَاتِهِ وَقُلْ لِي * مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطرابا شديدا وداخلته أَرْجِيَّةٌ ، خلف ألا يكلم أحدا ببقية يومه إلا بهذا الشعر وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل من يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يحبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُشَدُّ هذا الشعر حتى صلى المغرب ، ولم يُعاود ابنُ سُرَيْج بعدها ولا تعرض له .

١٥. وَحِكِي عَنْهُ أَيْضًا أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ حَجَّ فِي عَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ وَمَعَهُ ابْنُ سُرَيْجَ ،
فَلَمَّا رَمَوْا الْجُمُراتِ تَقَدَّمَا الْحَاجَّ إِلَى كَثِيبٍ عَلَى خَمْسَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ مُشْرِفٍ عَلَى طَرِيقِ
الْمَدِينَةِ وَطَرِيقِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَهُوَ كَثِيبٌ شَاخٌ مُفَرَّدٌ عَنِ الْكُثْبَانِ ، فَصَارَا إِلَيْهِ
فَاكَلَا وَشَرَبَا ، فَلَمَّا آتَشِيَا أَخَذَ ابْنُ سُرَيْجِ الدَّقَّ فَفَرَّقَهُ وَجَعَلَ يَتَغَنَّى وَهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَى الْحَاجِّ ، فَلَمَّا أَمْسَا رَفَعَ ابْنُ سُرَيْجِ صَوْتَهُ وَتَغَنَّى بِشِعْرِ لَعْمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَسَمِعَهُ
٢٠. الرُّكَّانُ ، فَعَمَلُوا بِصَيْحُونِ بِهِ : يَا صَاحِبَ الصَّوْتِ أَمَا نَتَقَى اللَّهَ ! قَدْ حَبَسْتَ النَّاسَ عَنِ

مناسكهم ، فيسكتُ قليلا حتى إذا مَضَوْا رفع صوته ، فيقف آخرون إلى أن وقف عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكَيْتِب ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن تُرَدِّد شيئا مما سمعته منك ؟ قال : نعم وُيُعمَة عِين ، فأياها تريد ؟ فاقترح صوتا فغناه ، ثم قال له آبن سُريخ : ازدد إن شئت ، فاقترح صوتا آخر فغناه ، فقال له : والثالث ولا أستريدك ، فغناه الثالث ، وقال له آبن سُريخ : أَبَقَيْتْ لك حاجة ؟ قال : نعم تنزلُ لأخاطبك ، فنزل إليه فاذا هو يزيد بن عبد الملك فأعطاه حُلَّتَه وخاتمَه وقال : خذهما ولا تُخَدِّع فيهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار . فعاد آبن سُريخ بهما فأعطاهما لعمربن أبي ربيعة وقال : هما بك أشبه منهما بي ، فأخذهما وعَوَّضه عنهما ثلثمائة دينار ، وغدا فيهما إلى المسجد فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويسألون عمر عنهما ، فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرَّ به فسمع آبن سُريخ وهو يُغنى ، فقال : لله دَر هذا الصوت لو كان بالقرآن !

قال إبراهيم بن المهدي : كان آبن سُريخ رجلا عاقلا أديبا وكان يعاشر الناس بما يشتهون فلا يغيثهم بما مُدِّح به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غَضاضةٌ منهم .

ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده ، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أُنْخِص إلى آبن سُريخ ، فأشخصه إليه ، فلما قَدِم مكث أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه ثم ذَكَرَه فاستحضره ، فدخل عليه وسلم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه ، فقال : ويحك يا عبيد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوَفَادَة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظَرْف لسانك وحلاوة مجلسك ، قال : جُعِلْتُ

فَدَّاءُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ لَا أَنْ تَرَاهُ» ^(١) ، قَالَ الْوَلِيدُ : إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا
تَكُونَ أَنْتَ ذَاكَ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ ، فَأَنْدَفَعْتُ بِغَنِيِّ بَشْعَرِ الْأَخْوَصِ
وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بَيْتِي ^(٢) مُقِيمَةً .. وَحَلَّ بَوْحٌ ^(٣) جَالِسًا أَوْ تَهَمًّا
يَمَانِيَّةً شَطَطَتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا * رَجَاءٌ وَظَنًّا بِالْمَغِيبِ مُرَجًّا
أَحَبُّ دَنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى * بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا تَتَلَمَّا
بِكَاها وَمَا يَدْرِى سِوَى الظَّنِّ مَا بَكَى * أَحْبَابُ يَسْكُنِي أُمَّ تَرَابًا وَأَعْظَمًا
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً * تُزِلُّ عَنْكَ يَوْمَئِذٍ أَوْ تُفِيدُكَ مَغْنَمًا ^(٤)
فَإِنَّ بِكَفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ * وَغَيْثَ حَيَا يُحْيِي بِهَا النَّاسُ مُرْهِمًا
إِمَامٌ أَنَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثَبِّ * عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمًا
تُخَيِّرُهُ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ .. وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالْبَاسِ أَعْلَمًا
يَسْأَلُ الْغِنَى وَالْعِزَّ مَنْ نَالَ وَدَّهَ .. وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَشَامَا ^(٥)

❦

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ الْأَخْوَصَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُبَيْدُ هَيْهَ ! فَنَفَاهُ
بَشْعَرِ عِدَى بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيَّ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ

طَارَ الْكَرَى وَالْمُهِمُّ فَكُنْتُمَا .. وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَامْتَنَعَا
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعًا أَسْكَنُ بِهِ * وَأَسْنِظَلُ زَمَانًا تُنْمَتُ أَقْشَعَا
وَأَسْبَدُّ الرُّأْسَ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ * قَيْنَانِي مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا زَعَا
فَإِنْ تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ * وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الْوَرَعَا

(١) هدى إحدى روايات المثل ، حكاه المبدئي في مجمع الأمثال ، والرواية المشهورة وهي التي صدر بها هذه

الروايات «تسمع بالمعدي حي من أن تراه» (٢) بيش : اسم واد . (٣) بوح : ناحية بعلان .

(٤) في الأغاني ج ١ ص ١١٨ : أنما . (٥) في الأصول : «ان تشاما» ولم يظهر له معنى .

وما أثبتناه رواية الأغاني . وتشام أخذ نحو شماله ولعله يريد بذلك النكاحية عن كونه حائذا عن الطريق السوي

وقد كنى في القرآن الكريم بأصحاب الكرم الميمة عن أهل الخير كما كنى بأهل المشامة عن أهل الشر .

فقد ^(١)يَبْتُ أُرَاعِي الْخَوْدَ رَابِعَةً * على الوسائد مسروراً بها ولِماً
براقعة النفر يَشْفِي الْقَلْبَ لَذْتَهَا * إذا مُقْبِلَهَا فِي رِبْقِهَا كَرَعَا
كالأخوان بضاحى الروض صَبَّحَهُ * غَيْثُ أَرَشٍ بِنَنْضَاجٍ وَمَا نَقَعَا
صَلَّى الذِّى الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ * والمؤمنون إذا ما جمعوا الْجُمَعَا
على الذِّى سَبَقَ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً * بالأجر والحمد حتى صاحبَاهُ مَعَا
صَلَّى الذِّى جَمَعَ الرَّحْمَنُ أَمْتَهُ ^(٢) على يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا
عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَفْقِدَهُ * وَأَنْ نَكُونَ لِرَاجٍ بَعْدَهُ تَبْعَا
إِنْ الْوَلِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ * مُلْكٌ أَعَانَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَارْتَفَعَا
لَا يَمْنَعُ اللَّهُ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ * لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطَوْنَ مَا مَنَعَا

١٠ فقال الوليد: صدقت يا عبيد، أتى لك هذا؟ قال: (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ). قال الوليد:
لو غير هذا قلت لأحسنست أدبتك، قال ابن سريج: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)
قال الوليد: (يَزِيدُ فِي آخِلَتِي مَا يَشَاءُ) قال ابن سريج: (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) قال الوليد: لَعَلِمَكَ وَاللَّهِ أَكْثَرُ وَأَعْجَبُ إِلَى مَنْ غَنَّاكَ! غَنَّنِي،
فَغَنَّاهُ بِشِعْرِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ فَقَالَ ^(٤)

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهَمًا فَأَعْتَادَهَا * من بعد ما سَمِلَ الْيَلَى أَبْلَادَهَا ^(٥)
[إِلَّا رِوَايسِي كُلَّهُنَّ قَدْ أَصْطَلَى * جَمْرًا وَأَشْعَلَ أَهْلَهَا بِقَادَهَا ^(٦)

(١) في الأغاني ج ١ ص ١١٨: «راقدة». (٢) كذا في الأصول ولعله محرف عن «عل»
وفي الأغاني ج ١ ص ١١٨ «هو». (٣) في الأغاني ج ١ ص ١١٨ «الاس».

(٤) رأينا أن ثبت هذه القصيدة كاملة، وقد قلناها عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد نشرها
فيها حصرة الأستاذ أحمد تيمور ماشا وقال انه لا يوجد منها في كتب اللغة والأدب إلا أبيات متفرقة وإنه عثر
عليها تامة في مجموع مخطوط قديم خزانة الأستاذ أحمد زكي ماشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للثعالبي.
والأبيات الموضوعة بين قوسين من بعض غير موجودة بالأصل.

(٥) أبلادها: آثاها. وفي رواية أخرى «درس» بدل «شمل».

(٦) رواية الأغاني ج ٨ ص ١٨٣ «رواك» بدل «رواسي»، وحررا «أشعل بدل «جمر وأشعل».

- كانت رواحلٌ للقدور فعُرِّيت * منهنَّ وأستلب الزمانُ رمادها
(١)
وتتكرَّت كلُّ التنكُّر بعدنا * ولأرض تعرف بعلمها وجمادها [^(٢)
ولربِّ واضححة العوارض حُرَّة * كالرَّيم قد صرَّبت به أوتادها ^(٣)
تصطاد بهجتها المعلل بالصَّبا * عرضاً فتقصدُه ولن يصطادها ^(٤)
كالظليمة البكر الفريدة ترتعى * من أرضها قُفَّاتٍ وعهادها ^(٥)
خِصبت بها عقد البراق حنينها * عن عركِها علجانها وعِرادها ^(٦)
كالزَّين في وجه العروس تبدَّلَتْ * بعد الحياء فلاعبت أَرادها
تُرْجي أغنَّ كأف إبرة رَوْقه * قلمُ أصاب من الدواة مِدَّادها ^(٧)
ركبت به من عالجٍ متحيراً * قفرا تُريث وحشُه أولادها ^(٨)
فترى مخانيبه التي تسبقُ الثرى * والهَبْرُ يُونِقُ نبْها رُودها ^(٩)
بانَتْ سعادٌ وأخلفت ميعادها * وتباعدت عنا لِمَنع زادها ^(١٠)
إني إذا ما لم تصلني خُلَّتِي * وتباعدت عني أغفرتُ بِعادها ^(١١)

(١) البعل الأرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر الا مرة واحدة في السنة ، والجناد اليابسة التي لم يصبها

مطر ولا شيء فيها . (٢) في الأغاني ج ١ ص ١١٩ « طلمة » .

(٣) المعلل ناصبا المشغول به المتلهي ، وأقصده رماه بسهم فقتله . ١٥

(٤) القفات جمع قفة وهي كال نال الأزهرى شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيس ، والعهاد

جمع عهد بالفتح وعهدة بالفتح والكسروهي مطر بعد مطر يدرك آخره بل أوله .

(٥) في هذا البيت اضطراب ويروى

خِصبت لها عقد البراق جبينها * من عركها علجانها وعِرادها

والبراق جمع بركة وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، والعلجان والعراد نباتان . ٢٠

(٦) عالج اسم موضع . (٧) مخانيبه : معاطفه وشأياه ، وتسق من الوسق وهو الجمع ، والهبر

المطامش من الأرض . (٨) الخلة بالصم الخليله .

[إِنَّمَا تَرَى شَيْئِي تَقْشَعُ لِمَتِي * حَتَّى عَلَا وَصَحَّ يَلُوحُ سَوَادُهَا^(١)
 فَلَقَدْ ثَبِتَ يَدَ الْفَتَاةِ وَسَادَةً * لِي جَاعِلًا يَسْرِى يَدِي وَسَادَهَا
 وَأَصَاحِبَ الْجَيْشِ الْعَرِمِمْ فَارِسًا * فِي الْخَلِيلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا
 وَقَصِيدَةً قَدْ بَثَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا * حَتَّى أَقُومَ مِيْلَهَا وَسِنَادَهَا^(٢)
 نَظَرَ الْمُتَّقِفِ فِي كَعُوبِ قَنَاتِهِ * حَتَّى يَقْسِمَ نِقَافَهُ مُنَادَهَا^(٣)
 فَسْتَرَتْ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرِمٍ * وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النِّعَمِ سِدَادَهَا^(٤)
 وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا * عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكِي أَرْزَادَهَا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْنَهُ * وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
 وَإِذَا الرِّبْعُ نَتَابَعَتْ أُنْوَاؤُهُ * فَسَقَ خُنَاصِرَةَ الْأَحْصَصِ بِخَادَهَا^(٥)
 نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا * غَيْثًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا
 أَوْ لَا تَرَى أَنَّهُ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا * أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
 وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَّاكَهَا * مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرِشَادَهَا
 أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلْتُ * وَكَفَفْتُ عَنْهَا مِنْ يَوْمٍ فَسَادَهَا
 وَأَصْبَحَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَصِيبَةً * عَمَتْ أَقَاصِي غَوْرَهَا وَنِجَادَهَا
 ظَفَرًا وَنَصْرًا مَا تَتَبَّعُ مَثَلَهُ * أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا
 فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الشَّنَاءَ وَجَدْتُهُ * بَجَعَ الْمَكَارِمَ طَرَفَهَا وَتِلَادَهَا

(١) يلوح من لاه : عيره . (٢) الساد كل عيب يلحق القافية .

(٣) منادها : معوجها . (٤) يقال : سداد من عوز وعيش لما سدد به الحلة .

(٥) جاء في معجم البلدان لياقوت : الأحص كورة كيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلتين وبين

التيال من مدينة حلب فصبتها « حاصرة » مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن

الا ليسير منها ؛ وقد أورد البيت هكذا

وَإِذَا الرِّبْعُ نَتَابَعَتْ أُنْوَاؤُهُ * فَسَقَ خُنَاصِرَةَ الْأَحْصَصِ وَزَادَهَا

[غلب المسامح الوليدُ سماحة * وكفى قریشَ المفضلاتِ وسآدها

تأنيه أسلاب الأعرّة عنوة * قسرا ويجمع للحروب عتاده

واذا رأى نارَ العدو تضرمت * سامى جماعة أهلها فأقتاده

يعمرم تبدو الروابي ذى وعى * كالحرة أحتمل الضحى أطوادها^(١)

أطفأت نارا للحروب وأوقدت * نار قدحت براحتيك زنادها

فبدت بصيرتها لمن يبنى الهدى * وأصاب حر شديد حُساده

واذا غدا يوما بنفحة نائل * عرضت له الغد مثلها فأعاده

واذا عدت خيلٌ تبادر غاية * فالسابق الجالى يقود جِادها]

فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع ، ووضعوا بين يديه كيسَ الدنانير

وَيَدَرُ الدَرَاهِمَ ، ثم قال الوليد : يا مَوْلى بنى نَوْفَل بن الحارث لقد أُوتِيتَ أمراً جليلاً ،

فقال ابنُ سُرَيْج : وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله مُلكاً عظيماً وشرفاً عالياً وعزاً

بَسَطَ يدك فيه ، فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله ، فأدام الله لك ما وُلاكَ

وحفظك فيما آستراك ، فإنك لما أعطاك ، ولا يَنْزِعُه منك إذ رآكَ له مَوْضِعاً .

قال : يا نَوْفَلُ ، وخطيب أيضاً ! قال ابنُ سُرَيْج : عنك نطقٌ ، ولباسك تكلمٌ ،

وبعزك بينتُ ، وكان قد أمر بإحضار الأُحوص بن محمد الأنصارى وَعَدِي بن

الرَّقَاع العاملى ، فلما قدما عليه أمر بإنزلهما حيث ابنُ سُرَيْج فأَنْزَلَا منزلاً بجوار منزله ،

فقالا : والله لَقُرْبُ أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قُربك يا مَوْلى بنى نَوْفَل ، وإن

فى قُربك لما يَلْذَنَّا وَيَسْغُنُنَا عن كثير مما تُريد ، فقال لهما ابنُ سُرَيْج : أَوْقِلْهُ شُكْرًا !

(١) الوعى بالمهلة الجلبة ، والحرة بالفتح الأرض الصلبة اللينة . والمعنى أن الروابي التى يخارب فيها

هذا الجيش تبدو للماطر كأنها حرة حل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية .

فقال له عدى : كأنك يابن الغناء تمنى علينا [على وعلى^(١)] إن جمعنا وإياك سقف بيت
أوصحن دار عند أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أو لا تحتمل لأبي يحيى الزلة والهفوة ،
وكفارة يمين خير من لحاج في غير منفعة ، فتحول عدى وبقى الأحوص ، وبلغ الوليد
ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج فأدخله بيتا وأرعى دونه سترًا ثم أمره إذا فرغ
الأحوص وعدى من كلمتهما أن يغنى ، فلما دخلوا وأنشدها مدائح لها فيه ، رفع ابن
سريج صوته من حيث لا يروونه وضرب بعود ، فقال عدى : يا أمير المؤمنين أتأذن
لى أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عامل ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن
سريج يخطى رقاب قريش والعرب من تهمّة إلى الشام ترفعه أرض وتخفضه أخرى
ليسمع غناؤه ! قال : ويحك يا عدى ! أو لا تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله
ما سمعته قط ولا سمعت مثله ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة
من الجن يتغنون ، فقال : أخرج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج ، فقال عدى : حقّ
لهذا أن يُحمل ! حقّ لهذا أن يُحمل ! ثلاثا ، ثم أمر لها بمثل ما أمر به لابن سريج
وأرتحل القوم .

وروى أبو الفرج أيضا عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال : كان
على مكة نافع بن علقمة الكافى فشدد فى الغناء والمغنين والبيد وادى فى المختين ،
فخرج فية من قريش إلى بطن محسر وبعثوا برسول لهم ، بغاءهم براوية من شراب
الطائف ، فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا ، فقلت : هو
على لكم ، فقال لى بعضهم : دونك هذه البغلة فاركبا وأمض إليه ، فأتيته فأخبرته
بمكان القوم وطلبهم إياه ، فقال لى : ويحك ! وكيف لى بذلك مع شدة السلطان

(١) الزيادة عن الأغانى ح ١ ص ١١٩ .

(٢) جاء فى معجم البلدان : أنه موضع بين مكة وعرفة ، وقيل بين منى وعرفة .

في الغناء وندائه فيه! فقلت له: أتردهم؟ قال: لا والله فكيف لي بالعود! فقلت: أنا أخبؤه لك فشاؤك، فركب وسترْتُ العودَ فأردفني، فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع ابن علقمة قد أقبل، فقال لي: يابن بركة، هذا الأمير. فقلت له: لا بأس عليك أرسل عِنانَ البغلة وآمِض ولا تخف، ففعل. فلما حاذيناه عَرَفتي ولم يعرف ابن سُريج، فقال لي: يابن بركة مَنْ هذا أمامك؟ قلت: من ينبغي أن يكون! هذا ابن سُريج، فتبسَّم ثم تمثَّل

فإن تَنجُ منها يا أَباتُ مُسَلِّمًا * فقد أَفَلَّتِ المِجْجَاجُ خَيْلَ شَيْبِ

ثم مضى ومضينا، فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح، فقلت له: غنني مرتجلا، فرفع صوته فحِيلَ إلى أن الشجرة تنطق معه، فغنى وقال

كيف التواءُ بطن مكة بعدما * هم الذين تُحِبُّ بالإنجاد
أم كيف قلبك إذ ثَوِيْتُ مُجَمَّرًا * سَقَمًا خَلا فُهُمُ وَلونكَ بَادِي^(١)
هل أنت إن ظعن الأُحْبَةَ غَادِي * أم قَبْلَ ذَلِكَ مُدِجٌ بِسَوَادٍ^(٢)

قال: فقلت أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك، فكيف بنافع بن علقمة! المغرور من غره نافع، ثم قلت: زدني وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك، فغنى وتناول عودًا من الشجرة فوقع به على الشجرة فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفَقِ بطون الضأن على العيدان إذا أخذتها عيدانُ الدفلى وغنى

(١) في الأغاني ج ١١ ص ٢٠ «وكربك بادي» .

(٢) في الأصل «من» ، والتصويب عن الأغاني ج ١١ ص ٢٠ .

(٣) في الأصل «لأحسنست» والتصحيح عن الأغاني ج ١١ ص ٢١ .

لَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلَى وَغْرَبَةٍ * فَالْهَجْرُ فِي تَلَفِ الْمَحَبِّ سَرِيعُ
مَنْ ذَا فَدَيْتُكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ * دَفْعًا إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَيْهِ ضُلُوعُ

فقلت : بنفسى أنت والله ، مَنْ لَا يُكَلِّ وَلَا يَمَلِّ ! والله ما جَهْل مَنْ فِهْمَك ،
أركب بنا فدتك نفسى ، قال : أُمِيهَلْنِي كَمَا أُمِيهَلْتُكَ أَقِضْ بَعْضَ شَأْنِي ، فقلت :
وهل عما تريد مدفع ؟ فقام فصلى ركعتين ثم ضرب بيده إلى الشجرة وقال : أشهد
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثم مضينا والقوم مُسْتَشْرِفُونَ ، فلما دنونا
منهم إِذَا الْغَرِيضُ يُغْنِيهِمْ

مِنْ خَيْلٍ حَىَّ لَا تَزَالُ مُغِيرَةً * سَمِعْتُ عَلَى شَرَفِ صَهِيلِ حِصَانٍ

فبكى ابن سُرَيْجٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ خَرَجَتْ ، فقلت : مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَجِي؟
جَعِلْتُ فِدَاكَ لَا يَسُوءُكَ اللَّهُ وَلَا يُرِيكَ سُوءًا ، قال : أَبْكَانِي هَذَا الْخَنْثُ بِحَسَنِ
غَنَائِهِ وَشَجَا صَوْتِهِ . والله مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْنَى وَهَذَا الصَّبِيُّ حَىٌّ ، ثُمَّ نَزَلَ وَاسْتَرَاحَ
وَرَكِبَ ، فَلَمَّا سَرْنَا هُنَيْهَةً أَدْفَعَ الْغَرِيضُ يَغْنَى لَهُمْ بِلَحْنِهِ

يَا خَلِيلِي قَدْ مَلِيتُ ثَوَائِي . بِالْمُصَلَّى وَقَدْ سَمِيتُ الْبَقِيعَا
بَلْغَانِي ذِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى . وَأَرْجِعَانِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرِّجُوعَا

قال : ولصوته دوى في تلك الجبال ، فقال ابن سُرَيْجٍ : يَا بَنَ بَرَكَةَ ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا
الْغَنَاءِ قَطْ ؟ قال : وَنَظَرُوا إِلَيْهَا فَأَقْبَلُوا تَسَاوَى يَسْحَبُونَ أَعْطَافَهُمْ وَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ وَجْهَ
ابْنِ سُرَيْجٍ ، فَتَزَلُ فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ ثَلَاثًا ، وَالْغَرِيضُ لَا يَنْطِقُ بِحَرْفٍ ، وَأَخَذُوا فِي شَرَابِهِمْ
وَقَالُوا : يَا حَبِيبَ النَّفْسِ وَشَقِيقَهَا ، أَعْطَاهَا بَعْضُ شَأْنِهَا ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَبِيهِ فَأَخْرَجَ

(١) في الأصول « والله لا يسوءك هذا ولا يريك سوءا » والتصويب عن الأغاني ج ١١ ص ٢١

(٢) في الأغاني ج ١١ ص ٢١ « منهاها » .

(٣) كذا في الأغاني ج ١١ ص ٢١ وفي الأصل « جنبه » .

منه مضرباً ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره، فـأَرايْتُ^(١) [يداً] أحسن من يده
ولا خشبة تَحِلَّتْ لى أنها جوهرة إلهى، ثم ضرب فلقد ضجَّ القوم جميعاً ثم غنى،
فكُلُّ قال : لَيْكَ لَيْكَ، فكان مما غنى به هَرَج

لَيْسِكَ يَا سَيِّدِي * لَيْسِكَ أَلْفَا عَدَدَا

لَيْسِكَ مِنْ ظَالِمَةٍ * أَحْبَبْتُهَا مَجْتَهَدَا

قَوْمِي إِلَى مَلْعَبِنَا * نَحْكُ الْجَوَارِي الْخُرَدَا

وَضَعُ يَدٍ فَوْقَ يَدٍ * نَرْفَعُهَا يَدَا يَدَا

فكُلُّ قال : نفعل ذاك فلقد رأيتنا نستبق أينا تقع يده على يده، ثم غنى

مَا هَاجَ شَوْقَكَ بِالصَّرَائِمِ * رَبْعُ أَحَالٍ لَأَلِّ عَاصِمُ^(٢)

رَبْعُ تَقَادَمَ عَهْدُهُ * هَاجَ الْمَحَبِّ عَلَى التَّقَادُمِ

فِيهِ النَّوَاعِمُ وَالشُّبَا * بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَاعِمِ

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ الْجَيِّتِ عَمِيمَةٍ رِيَا الْمَعَاصِمِ

ثم غنى بقوله

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا * وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ

فَقَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً * وَفِيهِنَّ خَوْدُ كَلِمَاهَا غَضِيضُ

وَوَلَّيْتُ مُحْزُونًا الْفَوَادَ مُرَوَّعًا * كَثِيْبًا وَدُمُعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

(١) الزيادة عن الأغاني ج ١١ ص ٢١ .

(٢) في الأغاني ج ١١ ص ٢١ «سَجَّ» .

(٣) في الأغاني ج ١١ ص ٢٢ «لَأْتُمْ عَاصِمَ» .

قال : فلقد رأيت جماعة من الطير وقعن بقرنا وما تحس قبل ذلك فيها شيئا ،
فقال الجماعة : يا تمام السرور وكال المجالس ، لقد سعد من أخذ بمحطه منك وخاب
من حرمك ، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك ، غنا ، فغنى
يا هند إنك لو علمت باذلين لتابعا

قال : فبدرت من بينهم فقبلت عينيه ، فتهاوت القوم عليه يقبلونه ، ولقد رأيتني
وأنا أرفعهم عنه شفقة عليه . وكانت وفاة ابن سريج باليلة التي أصابته من الجدأ
بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في خلافة الوليد ، ودفن في موضع يقال له
« دسم » . رحمة الله عليه وعنا عنه وغفر له ، والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥)

حكى أنه لما احتضر نظر إلى أبنته تبكي فبكي وقال : إنه من أكبر همى أنت
وأخشى أن تصيبي بعدى ، فقالت : لا تخف فما غيت شيئا إلا وأنا أغنيه ، فقال :
هاق ، فأنذفت فغنت وهو مصيغ إليها ، فقال : قد أصبت ما في نفسى وهوت على
أمرك ثم دعا سعيد بن مسعود الهدلى فزوجه إياها ، فآخذ أكثر غناء أبيها وأتخله .

ذكر أخبار معبد

هو معبد بن وهب ، وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطن ، وقيل : إن قطنا مولى
العاص بن واقصة الخزرمي ، وقيل : مولى معاوية بن أبى سفيان ، غنى معبد في أيام
بنى أمية في أوائلها ، ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق . قال أبو الفرج الأصفهاني :

(١) في الأصول « يحضك » والتصويب عن الأغاني ج ١١ ص ٢٢

(٢) موضع قرب مكة كما في القاموس ومعجم البلدان .

(٣) هكذا بالأصول وفي الأغاني ج ١ ص ١٩ « وابصة » بالباء الموحدة .

إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود
السرير والبأس ينظرون إليها وهي تندبه وتقول شعر الأخص

قد لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي * كَأَنِّي الداءِ الْوَجِيعِ

ونجى الهم مِئِي * بات أدنى من ضجيجي

كلما أَبْصَرْتُ رَبِّعًا * خاليًا فاضت دموعي

قد خلا من سيدِّ كا * ن لنا غير مُضِيعِ

لا تَلَمَّنَا إِنْ خَشَعْنَا * أو هَمَمْنَا بِخُشُوعِ

وكان معبد قد علمها هذا الصوت فدبته به ، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

كان معبد من أحسن الناس غناءً وأجودهم صنعةً وأحسنهم خلقاً ، وهو إمام أهل

المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خاثر وتيسيط الفارسي مولى عبد الله بن جعفر ،

وعن جميلة مولاة بهز بن م. بن سليم ، وفي معبد يقول الشاعر

أَجَادَ طُوَيْسٌ وَالسَّرِيحِيُّ بَعْدَهُ * وما قَصَّاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ

وحكى أبو العرج أيضاً أن الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجه إليه البريد إلى

المدينة فأحضره ، فلما بلغ الوليد قدومه أمر ببركة مئيت ماء ورد وخُلطَ بمسك

وزعفران ، ثم جلس الوليد على حافة البركة وفُرش لمعبد مقابلته وضُرب بينهما سترٌ

ليس معهما ثالث ، وجرى بمعبد فقيل له : سلم على أمير المؤمنين وأجلس في هذا

الموضع ، فسلم ، فردَّ عليه من خلف السجف ، ثم قال له : أتدرى لم وجهت إليك ؟

قال : الله أعلم وأمير المؤمنين ، قال : ذكرتكَ فأحببتُ أن أسمع منك ، فقال له معبد :

أغنى ما حضر أو ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : غنَّ

ما زال يعدُّو عليهم ريبٌ دهرهم حتى تغافوا وريبٌ الدهر عداءٌ

فغناه ، فرفع الجوارى السجف ، ثم خرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ،
ثم خرج منها فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ثم شرب وسقى
معبداً ثم قال له : غنّني يا معبد

يَا رَبْعُ مَالِكَ لَا تُجِيبُ مُتَيًّا * قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِراً وَمُسَلِّماً
جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةٍ * حَتَّى تَرَى عَنْ زَهْرِهِ مُتَبَسِّماً
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ دَعَاكَ أَجَبْتَهُ * وَبَكَيتَ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ إِذَا دَمًا

قال : فغناه ، وأقبل الجوارى فرفعن السّتر ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبدًا وقال له :
غنّني يا معبد

❦

عَجِبْتُ لَمَّا رَأَيْتُنِي * أَنْدَبُ الرِّبْعِ الْحَيَلَا
وَاقِفًا فِي الدَّارِ أَبْيَى .. لَا أَرَى إِلَّا الظُّلُولَا
كَيْفَ تَبْكِي لِأُنَاسٍ - لَا يَمْلِكُونَ الدِّمْيَلَا^(١)
كُلَّمَا قُلْتُ أَطْعَمْتُ دَارَهُمْ جُدُّوا الرِّحِيلَا^(٢)

قال : فلما غناه ألقى نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى
معبداً وقال له : يا معبد ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ حُظُوَّةً عِنْدَ الْمُلُوكِ فَلْيَكُنْ أَسْرَارَهُمْ ،
فقال : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به ، فقال الوليد : يا غلام أحمل
إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحْصَلُ له في بلده ، وألّني ديناراً لشفقة طريقه ، فحملت
إليه كلّها ، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه في ذلك
المجلس خمسة عشر ألف دينار .

(١) صرب من السرب . (٢) في الأغاني ج ١ ص ٢٧ «قالوا» .

وقال أبو الفرج بسند رفعه : إن معبداً كان قد علّم جارية من جوارى الحجاز الغناء تدعى "طبية"^(١) ، وعُني بتخريجها ، فاشتراها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كلّ مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان ، فأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبة إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغناؤه على سائر الأغاني من أهل عصره إلى أن عُرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره ، فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز ، بغاء معبد في طلب سفينة تجعله إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، فركب فيها وكلاهما لا يعرف الآخر ، وانحدرت السفينة ، فلما صاروا بقم نهر الأُبلة^(٢) ، أمر الرجل جواريه بالغناء فغتن إلى أن غنت إحداهن صوتاً من غناء معبد فلم تُجد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم ، فقال مولاها : — وقد غضب — وأنت ما يدريك ما الغناء ! ما هو إلا أن تُمسك وتلزم شأنك ، فأمسك . ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت من غناؤه فأحلت ببعضه ، فقال لها معبد : يا جارية قد أحللت بهذا الصوت إخلالاً كثيراً ، فغضب الرجل وقال له : ويلك ! ما أنت والغناء ، ألا تكف عن هذا الفضل ! فأمسك معبد ، وعُني الجوارى ملياً ، ثم غنت إحداهن صوتاً من غناؤه فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه ، أما نقوين^(٣) على أداء صوت واحد ! فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع

(١) وفي بعض النسخ «طبية» وفي الأغاني ح ١ ص ٢٤ «طبية» .

(٢) الأُبله بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة كما في معجم البلدان لياقوت .

(٣) كذا في الأغاني ح ١ ص ٢٥ وفي الأصل «ألا نقوين» .

هذا الفضول بوجه ولا حيلة فأقسم بالله إن عاودت لأخرجك من السفينة ، فأمسك
معبد حتى سكنت الجوارى سكتة ، فاندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ منه ،
فصاح الجوارى أحسنت والله يا رجل فأعده ، قال : لا والله ولا كرامة . ثم أندفع
يغنى الثانى فقلن لسيدهن : ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناء ، فسله أن يعيده
علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه منه ، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا . قال : قد سمعتم
سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه ، وقد استقبلناه بالإساءة فاصبرن حتى نداريه ،
قال : ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فقبل رأسه ، وقال :
يا سيدي أخطانا عليك ولم تعرف موضعك ، فقال له : وهبك لم تعرف موضعى قد
كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول ، فلم يزل يرق
به حتى نزل إليه ، وكان معبد قد أجلس فى مؤخر السفينة ، فقال له الرجل : ممن
أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخذه جواريك ؟ قال :
أخذه من جارية كانت لى ، كانت قد أخذت الغناء عن أبى عبّاد معبد وكانت تحل
منى مكان الروح من الجسد ، ثم أسأثر الله بها وبقي هؤلاء الجوارى وهن [من] تعليمها ،
فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعا ، وأفضل صنعته على كل
صنعة ، فقال له معبد : وإنا لأنت هو ، أفتعرفنى ؟ قال : لا ، قال : فصك معبد
بيده صامته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة
ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، والله لا قصرْتُ فى جواريك هؤلاء
ولأجعلن لك فى كل واحدة خلفا من الماضية ، فاكب الرجل والجوارى على يديه

(١) الزيادة عن الأعاصى ج ١ ص ٢٦

(٢) فى الأصول « فانه » والتصويب عن الأنافى ج ١ ص ٢٦

ورجله يَقْبَلُونَهَا ويقولون : كَتَمْنَا نَفْسَكَ حَتَّى جَفَوْنَاكَ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَأَسَانَا عَشْرَتَكَ وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَمَنْ نَتَّقِي أَنْ نَلْقَاهُ، ثُمَّ غَيَّرَ الرَّجُلُ أَثْوَابَ مَعْبَدٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ عِدَّةَ خَلَعٍ وَأَعْطَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ثَلَاثَةَ دِينَارٍ وَطَبِيبًا وَهَدَايَا مِثْلَهَا، وَأَتَخَذَ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ فَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى رَضِيَ حَقَّقَ جَوَارِيَهُ ثُمَّ وَدَّعَهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْحِجَازِ .

ذكر أخبار الغرييض

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

- هو عبد الملك وكنيته أبو زيد، وقيل : أبو مروان . والغرييض لَقَّبَ لَقَّبَ بِهِ ، لِأَنَّهُ [كَانَ] طَرَى الْوَجْهَ يَضْرِبُ غَضَّ الشَّبَابِ حَسَنَ الْمَنْظَرِ فَلُقِّبَ بِذَلِكَ ، وَالْغَرِيضُ الطَّرَى^(١) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : شَبَّهَ بِالْإِغْرِيزِ وَهُوَ الْجَمَّارُ ثُمَّ نُقِلَ ذَلِكَ عَلَى الْأَسْنَةِ خُدِفَتِ الْأَلْفُ فَقِيلَ : الْغَرِيضُ ، وَهُوَ مِنْ مُوَلَّدِي الْبَرِّ وَلَوْلَاؤُهُ لِلثَّرَبِ صَاحِبَةٌ عُمَرُ ١٠
- أَبْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَخَوَاتُهَا الرُّضَيَّا وَقَرْيَةُ وَأُمُّ عِمَانَ بَنَاتُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَصْغَرِ ، قَالُوا : وَكَانَ يَضْرِبُ بِالْعُودِ وَيَنْقُرُ بِالْدَفِّ وَيُوقِعُ بِالْقَضِيبِ ، وَكَانَ قَبْلَ الْغَنَاءِ حَيَّاطًا ، وَأَخَذَ الْغَنَاءَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ خَدَمَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ طَبْعَهُ وَظَرْفَهُ وَحَالَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، خَشِيَ أَنْ يَأْخُذَ غَنَاءَهُ فَيُغْلِبَهُ عَلَيْهِ وَيَفُوقَهُ بِحُسْنِ وَجْهِهِ وَحَسَدِهِ ، فَاعْتَلَّ عَلَيْهِ وَشَكَاهُ إِلَى مَوْلِيَّاتِهِ وَكُنَّ دَفَعْنَهُ إِلَيْهِ لِيُعَلِّمَهُ ١٥ الْغَنَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَجَنَّبُ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَدَهُ ، فَعَرَفَ مَوْلِيَّاتُهُ غَرَضَ ابْنِ سُرَيْجٍ فِيهِ وَأَنَّهُ حَسَدَهُ ، فَقُلْنَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ نَوْحَنَا عَلَى قَتْلَانَا فَتَأْخُذَهُ وَتُفْنِيَّ عَلَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْمَعْنَهُ الْمَرَاتِي فَاحْتَذَاهَا وَخَرَجَ غَنَاءَهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ يَنْوُحُ مَعَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُ الْمَأْتَمَ وَتُضْرَبُ

دونه المَحْبِبُّ ثم يَنُوحُ فَيَقِينُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ ، فَلَمَّا كَثُرَ غَنَاؤُهُ عَدَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لَشَجَائِهِ ،
 فَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ لَا يَفْنَى صَوْتًا إِلَّا عَارِضُهُ فِيهِ فَيَغْنَى فِيهِ لَحْنًا آخَرَ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ
 مَوْقِعَ الْغَرِيضِ أَشْتَدَّ عَلَيْهِ وَحْسَدُهُ ، فَغْنَى الْأَرْمَالُ وَالْأَهْزَاجُ ، فَاشْتَمَاهَا النَّاسُ فَقَالَ
 لَهُ الْغَرِيضُ : يَا أَبَا يَحْيَى قَصَّرتُ الغناء وحذفته ، قَالَ : نَعَمْ يَا مَخْنَثُ حِينَ جَعَلْتَ تَنُوحَ
 عَلَى أَبِيكَ وَأَمَّا ، قَالَ : وَلَمْ يُفَضَّلْ ابْنُ سُرَيْجٍ عَلَيْهِ إِلَّا بِالسَّبْقِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْغَرِيضُ أَشْجَى غَنَاءً ، وَابْنُ سُرَيْجٍ أَحْكَمَ صَنْعَةً . وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ
 الْأَصْفَهَانِي بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى أَيُّوبَ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَوْلى لآلِ الْغَرِيضِ قَالَ : حَدَّثَنِي
 بَعْضُ مَوْلِيَائِي وَقَدْ ذَكَرَنَ الْغَرِيضُ قَتَرَحْنَ عَلَيْهِ ، وَقُلْنَ حَاءًا يَوْمًا خَدَّشْنَا بِحَدِيثِ
 أَنْكَرَنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَفَنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَةً ، قَالَتْ : وَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ يَجْوَارِنَا فِدْفَعْنَاهُ
 إِلَيْهِ وَلَقِّنَ الْغَنَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا ، فَفَتَنَ أَهْلَ مَكَّةَ بِحُسْنِ وَجْهِهِ مَعَ
 حُسْنِ صَوْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ سُرَيْجٍ جَلَاهُ عَنْهُ ، فَكَانَ بَعْضُ مَوْلِيَائِهِ تَعْلَمُهُ
 النِّبَاحَةُ فَبَرَزَ فِيهَا ، بَغَاءً يَوْمًا فَقَالَ : تَهَنَّنِي الْحَنُّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَسْمَعَنِي صَوْتًا عَجِيبًا فَقَدْ
 أَبْتَنَيْتُ عَلَيْهِ لَحْنًا فَاسْتَمِعِيهِ مِنِّي ، فَأَنْدَفَعَ فَغْنَى بِصَوْتٍ عَجِيبٍ فِي شَعْرِ لَمَرَّارِ الْأَسَدِيَّ
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا يَنْ ذِي الْغَصَى * وَهَضَبَ الْعِنَانِ مِنْ عَوَانَ وَمِنْ يَكْرِ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلًّا وَمَا تَرَى * بِهِ عِنْدَ لَيْسَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ

قَالَتْ : فَكَذَّبْنَاهُ وَقُلْنَا : شَيْءٌ فَكَرَفِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا الْجَنَسِ ، فَكَانَ فِي كُلِّ
 يَوْمٍ يَأْتِينَا فَيَقُولُ : سَمِعْتُ الْبَارِحَةَ صَوْتًا مِنَ الْحَنِّ بِتَرْجِيعٍ وَتَقْطِيعٍ فَقَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِ
 صَوْتًا كَذَا وَكَذَا بِشَعْرِ فُلَانٍ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ وَنَحْنُ نَنْكَرُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّا لَكَذَلِكَ لَيْلَةً

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ « لِإِشْبَاهِهِ » أَدْلَمُ بَحْدَهُ فِي اللَّسَانِ وَلَا فِي الْقَامُوسِ ، وَعِبَارَةُ الْأَعَانِي

فِي ج ٢ ص ١٢٩ « لِمَا كَانَ بِهِ مِنَ الشَّحَا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي ج ٢ ص ١٣٥ : « الْفَيَّان » .

وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سَمَرًا فيه ليلتنا والغريص يغنينا بشعر
عُمَر بن أبي ربيعة حيث يقول

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدِّ الْبُكُورِ * نَعَمْ فَلَأَيَّ هَوَاهَا تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عَزِيفًا عَجِيبًا وَأَصْوَاتًا ذَعَرَتْنَا وَأَفْرَعَتْنَا، فقال لنا الغريص :

٥ إن في هذه الأصوات صوتا إذا نمتُ سمعته وَأَصْبَحُ أُنِجِي عَلَيْهِ غِنَائِي، فأصغينا إليه
فإذا نَعْمَتُهُ نَعْمَةُ الْغَرِيصِ بعينها، فصَدَقْنَا تلك الليلة . وكانت وفاة الغريص باليمن
في خلافة سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وكان قد هَرَبَ مِنْ نَافِعِ
أَبْنِ عَاقِمَةَ لَمَّا وَلِيَ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَنِ وَأَسْتَوطنَهَا ومات بها . ولالغريص أخبار
مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نُثَبِّتَ في هذا الموضوع ما ستقف عليه
إن شاء الله تعالى .

١٠

فمن ذلك ما حكاه أبو المرحج الأصبهاني في كتابه المترجم «بالأغاني» ، في أخبار الحارث
أَبْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْخَزْزُومِيِّ ، بعد أن ساق قطعة من أخباره
مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهواها وَيُسْتَبَّ بها في شعره، ثم قال
في أثناء ذلك : لما قدمت عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارث وهو أمير
١٥ مكة يومئذ ، وكان ولِئَها مِنْ فِئَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فأرسل إليها ، إني أريد
السلام عليك ، فإذا خَفَ ذلك عليكِ أَذِنْتُ ، وكان الرسولُ الْغَرِيصُ ، فأرسلت إليه
إِنَّا حُرْمٌ فَإِذَا أَحْلَلْنَا أَذْنَاكَ ، فلما حَلَّتْ خرجت سرًّا على بغلتها ، ولحقها الغريصُ
بُسُفَانٌ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ ومعه كتاب الحارث إليها وفيه

مَا ضَرَكُمْ لَوْ قُلْتُمْ سَدَدًا * إِنَّ الْمَطَايَا عَاجِلٌ غَدَهَا

ولها علينا نعمة سَلَمَتْ * لَسَا عَلَى الْإَيَّامِ نَجَحَدَهَا

لَوْ أَتَمَمْتَ أَسْبَابَ نَعْمَتِهَا * تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُهَا

٢٠

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ! ثم قالت للغريص هل أحدثت شيئا؟ قال : نعم فأسمي، ثم أندفع يغنى في هذا الشعر، فقالت عائشة : والله ما قال إلا سدا ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه ، وأستحسن الشعر، وأمرت للغريص بخمسة آلاف درهم وأثواب، [وقالت] : زدني، فغنى في قول الحارث أيضا حيث

يقول

زعموا بأن البين بعد غد * فالقلب مما أحدثوا يحف
والعين منذ أجد بينهم * مثل الجمان دموعها تكف
تسكو ونسكو ما أشت بنا * كل بوشك البين معرف
ومقالها — ودموعها تنجم — * أقل حينك حين تتصرف

فقالت عائشة : يا غريص ، بحق عليك أهو أمرك أن تغنني في هذا الشعر؟ قال : لا وحياتك باسيدي فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غنني في شعره، فضاها شعر عمر بن أبي ربيعة — وكان عمر قد سأل ذلك — فقال

أجمعت خلق مع الهجر بنا * جلل الله ذلك الوجه زينا
أجمعت بينها ولم تك منها * لذه العيش والشباب قصيا
فولت حمولها وأستلت * لم تيل طائلا ولم تمض دينا
ولعد فلت يوم مكد لما * أرسلت تقرأ السلام علينا
أنعم الله بالرسول الذي أر * سل والمرسل الرسالة عينا

قال فضحكت ثم قالت : وأنت يا غريص فأعني بالله بك عينا وأنعم بآب أبي ربيعة عينا، ثم لطف حتى أدبت إلينا رسلته ، وإن وفاءك له لما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك،

(١) الرابذة عن الأغاني ح ٣ ص ١٠٤

(٢) كذا بالأصل ، وفي الأغاني ح ٣ ص ١٠٥ «لعد للفت» .

وكان عمر سأل الغرييض أن يغنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لما غضبت بنوتيم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها، فقال له عمر بن أبي ربيعة: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم، فوق له، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى، ثم أنصرف الغرييض من عندها فابق عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت في تلك السنة فقال لها جوارياها: هذا الغرييض، فقالت لهن: على به، بخن به إليها، قال الغرييض: فلما دخلت سلمت فردت على وسألني عن الخبر، فأقصصه عليها فقالت: غني بما غنيته به، ففعلت، فلم أرها تهش لذلك، فغنيته معرضا ومُدكرا بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي — يخاطب أمراته وقد نزل به أضياف —



١٠ أقول والضيف مخشي ذماته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
يا ربه البيت قومي غير صاغرة * ضمي إليك رجال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب في ظلماتها الطنبا
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

فقالت وهي مبتسمة: نعم وقد وجب حقك يا غرييض، فغني، فغنيته
١٥ يادهر قد أكرت بجعتنا * بسرأتنا ووقرت في العظم
وسلبتنا ما كنت محله * يادهر ما أنصفت في الحكم
لو كان لي قرن أناضله * ما طاش عند حفيظة سهمي
لو كان يعطي النصف قلت له * أحرزت قسمك فآلة عن قسمي

(١) كذا بالأصول والأعاني، ولم نجد في القاموس واللسان أفص بمعنى فص، ولعلها محذرة

عن ما قصصته .

٢٠

(٢) في الأصول «كثرت بجعتنا» والتصويب عن لسان العرب في مادة «وقر» والأغاني ح ٣ ص ١٠٥

(٣) وقر العظم مدعه .

فَقَالَتْ : نَعْطِيكَ النَّصْفَ فَلَا يَضِيعُ سَهْمُكَ عِنْدَنَا وَتُنْزَلُ لَكَ قِسْمُكَ ، وَأَمَرَتْ
لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثِيَابَ عَدْنِيَّةٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَطْلَافِ ، قَالَ الْغَرِيضُ : فَأَتَيْتُ
الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا لِي
جَمِيعًا ، وَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ فَأَعْلَمْتُهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَمَا أَنْصَرَفَ
أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِمِثْلِ مَا أَنْصَرَفْتُ بِهِ ، نَظَرَةُ مِنْ عَائِشَةَ وَنَظَرَةُ مِنْ عَاتِكَةَ — وَهُمَا
أَجْمَلُ نِسَاءِ عَالَمِهِمَا — وَبِمَا أَمَرْتَا لِي بِهِ ، وَالْمَنْزِلَةُ عِنْدَ الْحَارِثِ — وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ —
وَأَبْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَمَا أَجَازَانِي بِهِ جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ .

وَلِنَصِلَ هَذَا الْفَصْلَ بَشْيَءٍ مِنْ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَذْكَرُ .

- هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ طَالِحَةَ بْنِ عُيَيْدٍ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ
أَبْنِ تَيْمٍ ، وَأُمُّهَا أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ
لَا نِسْرَ وَجْهَهَا مِنْ أَحَدٍ ، فَعَاتِبَهَا مُصْعَبٌ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَبَعَالِي
وَسَمَنِي بِمَيْدَمِ جَمَالٍ أَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، فَمَا كُنْتُ لِأُسْتَرِهِ ،
وَوَاللَّهِ مَا فِيَّ وَصْمَةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ . قَالَ أَبُو الْمَرْجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : وَكَانَتْ
شَرِيسَةً الْخُلُقِ وَكَذَلِكَ نِسَاءُ بَنِي تَيْمٍ ، هُنَّ أَشْرَسُ خَلْقِ اللَّهِ خُلُقًا وَأَحْظَاهُنَّ عِنْدَ
أَزْوَاجِهِنَّ . قَالَ : وَأَلَّتْ عَائِشَةُ مِنْ زَوْجِهَا مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَتْ : أَنْتَ عَلَى
كَظْهَرِ أُمِّي ، وَقَعَدْتَ فِي غُرْفَةٍ وَهِيَ أَمَا يُصْلِحُهَا ، فَخُفِّدْ مُصْعَبَ أَنْ تُكَلِّمَهُ فَأَبَتْ ،
فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا ابْنَ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فَسَأَلَهَا كَلَامَهُ ، فَقَالَتْ : كَيْفَ يَمِينِي^(١) ؟ قَالَ : هَا هُمَا
الشَّعْبِيُّ فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَاسْتَفْتَيْهِ ، فَدَخَلَ الشَّعْبِيُّ عَلَيْهَا فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا
بَشْيَءٍ ، فَأَمَرَتْ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَحَكَى أَبُو الْمَرْجِ أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ
لَمَّا عَزِمَ عَلَى زَوَاجِ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، جَاءَهُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

(١) فِي الْأَوَّلِ : « يَمِينِي » وَالنَّصُوبُ سِ الْأَعْيَانِ ج ١٠ ص ٥٤ .

الصدِّيق وسعيد بن العاص إلى عَزْرَةَ المَيْلَاءِ، وكانت عَزْرَةُ هذه يَأْلُفُهَا الأَشْرَافُ وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أَظْرَفِ الناس وأَعْلَمُهُم بِأُمُورِ النِّسَاءِ، فقالوا لها: إنا خطبنا فأنظري لنا، فقالت لمصعب: يَأْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَمِنْ خَطْبَتٍ؟ قال: عائِشَةُ بنت طلحة، قالت: فأنْتِ يَأْنِ أَبِي أُحِيحَةَ؟ قال: عائِشَةُ بنت عُثْمَانَ ابن عفان، قالت: فأنْتِ يَأْنِ الصَّدِّيقِ؟ قال: أُمُّ الْهِثِمِ بنت زكريَّا بن طلحة، فقالت: يا جارية، هاتِي مَنَقَلًا نَعْنِي حَقِّهَا، فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها، فبدأت بعائِشَةَ بنت طلحة، فقالت: فَدَيْتُكِ، كُنَّا فِي مَادُبَةٍ أَوْ مَاتِمٍ لِقْرِيشٍ فَتَذَاكَرُوا جَمَالَ النِّسَاءِ وَخُلُقَهُنَّ فَذَكَرُواكِ فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصْفُكِ، فَدَيْتُكِ، فَأَتَيْتُ ثِيَابَكَ، ففعلت، فأقبلت وأدبرت فَأَرْتَجِ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا، فقالت لها عَزْرَةُ: خذِي ثوبَكَ، فقالت عائِشَةُ: قَدْ قَضَيْتِ حَاجَتِكَ وَبَقِيَتْ حَاجَتِي، فقالت عَزْرَةُ: وَمَا هِيَ فَدَيْتُكِ؟ قالت: تَغْنِي صَوْتًا، فَأَنْدَفَعْتَ تَغْنِي لَحْنَهَا فِي شِعْرِ الْجَمِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَعْمَرِ الْعُدْرِيِّ

خَلِيلٍ عَوْجًا بِالْحَمَلَةِ مِنْ جُمَلٍ * وَأَتْرَاهَا بَيْنَ الْأَصْفَرِ وَالْحَبْلِ
تَقِفُ بِمَغَانٍ قَدْ عَفَا رَسْمَهَا إِلَيَّ * تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَيْلِ
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصَّغَارُ بِجِلْدِهَا : لَأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ
وَأَحْسَنَ خَلَقَ اللَّهُ جَيِّدًا وَمُقَلَّةً * تُشَبِّهُ [فِي النِّسْوَانِ] بِالشَّادِنِ الطُّفْلِ (٢)

فقبلت عائِشَةُ مابين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وطرائف من أنواع الفضة، فدفعتها إلى مولاتها، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهنَّ، ثم أتت القوم في السقيفة فقالوا: ما صنعتِ؟ فقالت: يَأْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، أَمَا عائِشَةُ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتِ

مثلها مقبلة ولا مدبرة ! مخطوطة المتنين ، عظيمة العجيزة ، ممتلئة الترائب ، نقيّة الثغر
وصفحة الوجه ، قرعاء الشعر ، ممتلئة الصدر ، نحيفة البطن ذات عُنْكَ ، ضخمة السرة ،
مُسرولة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيبان : أما أحدهما فيواريه
الخمار ، وأما الآخر فيواريه الخلف ، عِظْمُ الأُذُن والقَدَم ، وكانت عائشة بنت طلحة
كذلك . ثم قالت عَزْرَة : وأما أنتِ يَا بنَ أَبِي أُحِيحَة فإني والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقٍ
عائشة بنت عثمان لامرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكأنما أُفْرِغَتْ إفراغا ولكن
في الوجه رَدَّةٌ ، وإنِ استشرتني أشرتُ عليك ، قال : هات ، قالت : عليك بوجه
تستأنس به . وأما أنتِ يَا بنَ الصَّدِيقِ : فوالله ما رأيتُ مثلَ أُمِّ الهَيْثَمِ كأنها خُوطِبانة
تتفنى ، أو كأنها جَانٌّ يَتَفَنَّى على رَمَلٍ . لو شئتُ أن تعقد أطرافها لفعلت ، ولكنها
شخنة الصدر وأنت عريض الصدر ، فاذا كان كذلك كان قبيحا ، لا والله حتى يلا
كل شيء مثله ، قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

وحكى أبو الفرج أيضا أن مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ إنما تزوجها بعد عبدالله بن عبد الرحمن
أبن أبي بكر ، وقال : وكانت عائشة بنت طلحة تُسَبِّه بِجَالَتِهَا عائشة أُم المؤمنين رضى
الله عنها ، فزوجتها عائشة من أبن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أول
مَنْ تزوجها ، ولم تَلِدْ عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران
وبه كان يُكْنَى ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكلٍّ من هؤلاء عَقِب . وأنا
من عقب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث بن طلحة ، وليس
هذا موضع سرد نَسَبِي فأسرده . قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها

(١) في الأغاني ج ١٠ ص ٥٥ : « حشف » .

(٢) في الأصل « طرفاها » والنصوب عن الأغاني ج ١٠ ص ٥٥

(٣) أى دقيقتة . (٤) في الأغاني ج ١٠ ص ٥٦ : « وبه كانت تكى » .

عبد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مُغْصَبَةً تريد عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها، فأراها أبو هريرة فسبح الله تعالى وقال : كأنها من الحُور العين ! فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر، وكان عبد الله قد آلى منها، فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء، فضمَّها إليه وكان مُوَلِّيًا منها فقليل له : ^(١) طلقها، فقال

يقولون طلقها لِأَصْبَحَ نَاوِيًا * مُقِيًّا عَلَى الْهَمِّ، أَحْلَامُ نَائِمٍ
وإِن فِرَاقِ أَهْلِ بَيْتِ أَحِبَّهُمْ * لَهُمْ زُلْفَةٌ عِنْدِي لِأَحَدَى الْعِظَامِ

وتُوفِّي عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فإِ فتحت فأها عليه . وكانت عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها تُعَدُّ هذا عليها فى ذنوبها التى نعتدها ، ثم تزوجها بعده مُصْعَبُ بن الزُّبَيْر ، ففهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إِنْ مُصْعَبًا قَدَّمَ أَيْرَهُ وَأَخَّرَ خَيْرِهِ ، فبلغ قوله عبد الملك ابن مروان ، فقال : لَكِنَّهُ هُوَ أَخَّرَ خَيْرِهِ وَأَيْرَهُ ؛ وَكُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَخِيهِ يُؤَنِّبُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُقَسِّمُ عَلَيْهِ أَلَّا يَلْحَقَ بِمَكَّةَ وَلَا يَنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَنْزِلَ إِلَّا بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الَّذِى يُحَسِّفُ بِهِ بِالْبَيْدَاءِ ، فَمَا أَمَرْتُكَ تَنْزِلُهَا إِلَّا لَهْدَاءِ ، فَصَارَ إِلَيْهِ وَأَرْضَاهُ مِنْ نَفْسِهِ فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

وكانت عائشة تمتنع على مُصْعَبَ فى غالب الأوقات ؛ لِحُبِّى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها، فقالت : نَوْمَتِى كَانَتْ أَحَبَّ إِلِىَّ مِنْ هَذَا اللَّوْلُؤِ ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهَا مَعَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى شَكَا ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِهِ ابْنِ أَبِي قُرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَكْفِيكَ هَذَا إِنْ أَذِنْتَ لِي ، قَالَ : نَعَمْ أَفَعَلْ مَا شِئْتُ ، فَأَتَاهَا لَيْلًا وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ فَاسْتَاذَنَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَتْ : أُنْفِىْ مِثْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ . قَالَ : نَعَمْ ، فَأَذِنْتُ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ لِلْأَسْوَدَيْنِ : أَحْفِرَا هَاهُنَا

(١١١)

(١) فى الأصول هكذا « ملق فيها » والتعويص عن الأناس ح ١٠ ص ٥٦

بئرا، فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر؟ قال : شؤم مولاناك، أمرنى هذا الظالم أن أدفنها حية، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فَأَنْظِرْنِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ، قال : هيمات لاسبيل إلى ذلك، وقال للأُسُودَيْنِ : أَحْفِرَا، فلما رأت الحِدَّ منه بكت وقالت : يابن أبى قُرُوءَ إلك لقاتلى ما منه بد؟ قال : نعم، وإنى لأعلم أن الله عز وجل سيخزيه بعدك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب، قالت : وفى أى شىء غضبه؟ قال : مِنْ آمْتَنَاعِكَ عَلَيْهِ وَقَدْ ظَنَنْتُكَ تُبْغِضِيَنَّهُ وَتُتَطَلَّعِينَ إِلَى غَيْرِهِ، فَقَدْ جُنَّ، فقالت : أَلَأَسْأَدُكَ اللهُ إِلَّا عَاوَدْتَهُ . قال : أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي، فبَكَتْ وَبَكَى جَوَارِيهَا، فَقَالَ لَهَا : قَدْ رَقَقْتُ لَكَ وَحَلَفْتُ لَهَا إِنَّهُ يُغْتَرَّرُ بِنَفْسِهِ وَقَالَ لَهَا : فَمَا أَقُولُ؟ قالت : تَضْمَنُ لَهُ عَنِّي أَنَّى لَا أَعُودُ أَبَدًا، قال : فإلى عندك؟ قالت : قِيَامٌ بِحَقِّكَ مَا عِشْتُ، قال : فَأَعْطِنِي الْمَوَاتِيْقَ، فَأَعْطَتْهُ، فَقَالَ لِلْأُسُودَيْنِ : مَكَانَكُمَا، وَأَنْتَى مُصْعَبًا فَاخْبِرْهُ، فَقَالَ : أَسْتَوْتِقُ مِنْهَا بِالْأَيَّامِ، فَاسْتَوْتِقُ مِنْهَا فَفَعَلْتُ، وَصَلَحْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُصْعَبٍ . قال : وَكَانَ مُصْعَبٌ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِعْجَابًا بِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا شَيْبَةٌ فِي زَهَانِهَا حُسْنًا وَدِيَانَةً وَجَالًا وَهَيْئَةً وَشَارَةً وَعَقَّةً، وَأَنَّهُ دَعَتْ يَوْمًا نِسْوَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا جِئْنَهَا أَجْلَسَتْهُنَّ فِي مَجْلَسٍ قَدْ نُضِدَ فِيهِ الرِّيحَانُ وَالْفَوَاكِهِ وَالطَّيِّبُ وَالْحَبَامِرُ، وَخَامَتْ عَلَى كُلِّ أَمْرَاءَ مِنْهُنَّ خَلْعَةً مِنَ الْوَشْيِ وَالخَزِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَدَعَتْ عَزْرَةَ الْمَيْلَاءِ فَفَعَلَتْ بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ وَأَضْعَفَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ لِعَزْرَةَ : هَاتِ يَاعَزْرَةَ فَنَتْنِيَا، فَفَتْنَتْهُنَّ فِي شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، فَقَالَتْ

وَتَغَرَّرَ أَغْرَ شَنِيبِ اللَّثَاثِ * لَذِيذِ الْمُقْبَلِ وَالْمُبْتَسِمِ
وَمَا دُقْتُهِ غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ * وَبِالظَّنِّ يَقْضَى عَلَيْكَ الْحَكْمُ

وَكَانَ مُصْعَبٌ قَرِيبًا مِنْهُنَّ وَمَعَهُ إِخْوَانٌ لَهُ، فَقَامَ فَأَنْتَقَلَ حَتَّى دَنَا مِنْهُنَّ وَالسْتَوْرُ مُسَبَّلَةً، فَصَاحَ بِهَا : يَا هَذِهِ إِنَّا قَدْ ذُقْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ عَلَى مَا وَصَفْتِ، فَبَارَكَ اللهُ فِيكَ

- يَا عَزْرَةَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ : أَمَا أَنْتِ فَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْكِ مَعَ مَنْ عِنْدِكَ ، وَأَمَّا عَزْرَةُ فَتَأْذِنِينَ لَهَا أَنْ تُغْنِنَا هَذَا الصَّوْتَ ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْكِ ، فَفَعَلَتْ وَخَرَجَتْ عَزْرَةُ إِلَيْهِمْ ، فَغَنَّتْ هَذَا الصَّوْتَ مَرَارًا ، وَكَادَ مُصْعَبُ أَنْ يَذْهَبَ عَقْلُهُ فَرِحَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا عَزْرَةُ ، إِنَّكَ لَتُحْسِنِينَ الْقَوْلَ وَالْوَصْفَ وَأَمْرَهَا بِالْعُودِ إِلَى مَجْلِسِهَا . قَالَ : وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَ مُصْعَبٍ حَتَّى قُتِلَ عَنْهَا ، فَخَطَبَهَا بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَقَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ مِنَ الشَّامِ فَنَزَلَ الْكَوْفَةَ فَبَلَغَهُ أَنْ بَشْرًا خَطَبَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا جَارِيَةً لَهَا وَقَالَ :
- قُولِي لَأَبْنَةِ عُمَى : إِنْ عَمَّكَ يُقْرَتُكِ السَّلَامَ وَبِقَوْلِكَ : أَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا الْمُبْسُورِ الْمَطْحُولِ وَأَنَا أَبْنُ عَمِّكَ أَحَقُّ بِكَ ، وَإِنْ تَزَوَّجْتُ بِكَ مَلَأْتُ بَيْتَكَ خَيْرًا فَتَزَوَّجْتَهُ فَبَنَى عَلَيْهَا بِالْحَيْرَةِ ، فَهَدَتْ لَهُ سَبْعَةَ أَفْرِشَةٍ عَرْضُهَا أَرْبَعُ أَذْرَعٍ ، فَأَصْبَحَ لَيْلَةً بَنَى بِهَا عِن تِسْعَةٍ ، فَلَقِيَتْهُ مَوْلَاةُهَا ، فَقَالَتْ : أَبَا حَفْصٍ ، فَذَيْتُكَ قَدْ كَلَّتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَهَا حَمَلَ إِلَيْهَا أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَخَمْسِمِائَةَ أَلْفِ مَهْرٍ ، وَخَمْسِمِائَةَ أَلْفِ هَدِيَّةٍ وَقَالَ لِمَوْلَاتِهَا : لَكَ عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ إِنْ دَخَلْتُ بِهَا اللَّيْلَةَ ، وَأَمْرًا بِالْمَالِ فَخُيِّلَ فَأُلْقِيَ فِي الدَّارِ وَغُطِّيَ بِالثِّيَابِ وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ فَقَالَتْ لِمَوْلَاتِهَا : مَا هَذَا ، أَفَرُشُ أَمْ ثِيَابٌ ؟ قَالَتْ : أَنْظِرِي إِلَيْهِ ، فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ مَالٌ ، فَتَبَسَّمتْ ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : أَجْزَاءُ مَنْ حَمَلَ هَذَا الْمَالُ أَنْ يَبِيتَ عَزْرَبًا ! قَالَتْ :
- لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ لَا يَحْجُوزُ دُخُولُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَتَيْنَ لَهُ وَأَسْتَعِدَّ ، قَالَتْ : وَمَاذَا ؟ فَوَاللَّهِ لَوَجْهُكَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ زِينَةٍ وَمَا تَمُدُّ بِنَ يَدِكَ إِلَى طِيبٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ مَالٍ أَوْ فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَكَ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْذِنِي لَهُ . فَقَالَتْ : أَفَعَلِي ، فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ : بَيْتُ بَنَاتِ اللَّيْلَةِ ، بَخَاهُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَأُذِنِي إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ الطَّعَامَ كُلَّهُ حَتَّى أَعْرَى الْخِلْوَانَ وَغَسَلَ يَدَهُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَتَوَضَّأِ فَأَخْبَرَ بِهِ ، فَقَامَ فَمَتَوَضَّأَ وَقَامَ يَصِلِّي حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَنَمْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَعَلَيْكُمْ آذَنُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَادْخُلْ ، فَادْخَلَتْهُ

١١٦

وَأَسْبَلْتُ السَّيْرَ عَلَيْهِمَا، فَعَدَدْتُ لَهُ فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلَةِ عَلَى قَلَّتْهَا سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً دَخَلَ
الْمُتَوَضَّأَ فِيهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ : أَتَقُولِينَ شَيْئًا؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ! فَضَحَكَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِ عَائِشَةَ وَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ
أَبْنَ عَمِّكَ؟ فَضَحَكَتْ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ

قَدْ رَأَيْتُكَ فَلَمْ تَحُلْ لَنَا * وَهَلْوَكَ فَلَمْ نَرْضَ الْخَبَرَ

وَمَكَثَتْ عَائِشَةُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ثَمَانِي سِنِينَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ،
وَلَمَّا مَاتَ نَذَبَتْهُ قَائِمَةٌ وَلَمْ تَنْدُبْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنْ أَزْوَاجِهَا إِلَّا جَالِسَةً، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ،
فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ أَكْرَمَهُمْ عَلَى وَأَمْسَمَهُمْ بِي رَحْمًا، فَأَرَدْتُ إِلَّا أَنْتَزِجَ بَعْدَهُ . وَكَانَتْ
الْمَرْأَةُ إِذَا نَذَبَتْ زَوْجَهَا قَائِمَةً لَا تَنْتَزِجُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَلَمْ تَنْتَزِجْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بَعْدَ
زَوْجِهَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَمِنْ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ أَبُو الْوَرْجِ الْأَصْبَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى يَزِيدَ
ابْنِ عِيَّاضَ، قَالَ : أَسْتَأْذِنْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي الْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهَا
وَقَالَ : أَرْفَعِي حَوَائِجَكَ وَأَسْتَظْهَرِي، فَإِنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ تَحْجُ، فَفَعَلْتُ، وَتَجَهَّزْتُ
بِهَيْئَةٍ جَهَدْتُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِذَا مَوْكِبٌ قَدْ جَاءَ فَضَعَضَعَهَا^(١)
وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهَا، فَقَالَتْ : أَرَى هَذِهِ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا : هَذِهِ
جَارِيَتُهَا^(٢)، ثُمَّ جَاءَ مَوْكِبٌ آتَرَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا : عَائِشَةُ عَائِشَةُ، فَضَعَضَعَهُمْ^(١)
فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا : هَذِهِ مَا شِطَّتْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ مَوَاكِبُ عَلَى هَذَا لِحَاشِيَتِهَا ثُمَّ أَقْبَلَتْ
فِي ثَلَاثَةِ رَاحِلَةٍ عَلَيْهَا الْقَبَابُ وَالْهُوَادِجُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . قَالَ :

(١) فِي الْأَغَانِي ج ١٠ ص ٦٠ «ضَعَضَعَهَا» أَوْ «ضَعَضَعَهُمْ» .

(٢) فِي الْأَغَانِي ج ١٠ ص ٦٠ «حَازَتْهَا» .

ووفدت عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها: ما أوفدكِ؟ قالت: حبست السماء مطرها ومنع السلطان الحق، قال: فانا أصِل رحمكِ وأعرف حقكِ، ثم بعث إلى مشايخ أمية فقال: إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة، فحضرُوا فما تذكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا أستمته، فقال لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟^٥ قالت: أخذته^(١) عن خالتي عائشة رضى الله عنها، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة. قال: ولما تايمت عائشة كانت تُقيم بمكة^(٢) سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتتزره وتجلس فيه بالعشيات فتتناضل بين الرماة، فتربها الثميرى الشاعر فسالت عنه، فانتسب لها فقالت: اتنوني به، فبغى به، فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب، فامتنع وقال: بنت عمى وقد صارت عظاما بالية، قالت: أقسمتُ عليك لما فعلت، فأنشدها قوله

نَزَلَنَ بَفَحٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً * يَلِينُ لِلرَّحْمَنِ مُعْتِمِرَاتِ
يُخْرِجْنَ أَطْرَافَ الْأُكُفِ مِنَ التَّقَى * وَيَخْرِجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتِمِرَاتِ^(٤)
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ الثَّمِيرِ رَاعَهَا * وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
تَضَعْنَ مِسْكَ بَطْنِ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ - بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خِفَرَاتِ

وزينب هذه هي زينب بنت يوسف التَّقَفَى أخت الحجاج، وكان الثميرى يهاوها ويُسَبِّبُ بها، وله معها أخبار يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها، قال: فقالت له

(١) هكذا بالأصول. وفي الأذنى ح ١٠ ص ٦٠ «أخذتها».

(٢) كذا بالأذنى ح ١٠ ص ٦١ وفي الأصل «مقيمة».

(٣) اسم وادٍ بمكة.

(٤) في الكامل للبردح ١ ص ٢٩٠ طبع أوروبا ورد هذا البيت هكذا:

يُخْرِجْنَ أَطْرَافَ الْبَاهِ مِنَ التَّقَى . وَيَخْرِجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتِمِرَاتِ

عائشة — لما أنشدتها هذا الشعر — والله ما قلت إلا جميلا ، ولا وصفت إلا كرما
وطيبا ودينا وتقي ، أعطوه ألف درهم ؛ فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها ،
فقلت : على به ، بخاء فقالت له : أنشدني من شعرك في زينب ، قال : فَأَنْشِدُكَ
من قول الحارث فيك ؟ فوثب موالها إليه ، فقالت : دَعُوهُ فإنه أراد أن يستفيد

⑪٢

لأبنة عمه ، هات فأنشدها

ظَنَنْ الأُمَيْرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ * وَغدا بُلْبُكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
وَتَنوُّ شَقْلُهَا عَجِيزَتُهَا . نَهَضَ الضَّعِيفُ نَوًى بِالْوَسَقِ
مَا صَبَحَتْ زَوْجًا بَطْلَعَتَا * إِلَّا غدا بكواكب الطُّلُقِ
بيضاء من تَمِيمٍ كَلَفْتُهَا * هذا الجنون وليس بالعشق

١٠ فقالت : والله ما ذكر إلا جميلا ، ذكر أنى إذا صَبَحَتْ زَوْجا بوجهي غدا
بكواكب الطُّلُقِ ، وأنى غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق . أعطوه ألف درهم
وأكسوه حُلَّتَيْنِ ولا تُعَدُّ لِإِيتَانَا يَا مُمَيْرِي ؛ والله أعلم [ولنرجع الى أخبار المغنين] ^(١) .

ذكر أخبار محمد بن عائشة

١٥ يُكْنَى أبا جعفر ولم يكن له أب يُعرف فُنُسِبَ إلى أمه ؛ وكان يزعم أن أسم أبيه
جعفر . وعائشة أمه مولاه لَكَنْيَرُ بْنُ الصَّلْتِ الْكِندِيّ - حليف قريش ، وقيل : هي
مولاه لآل المطالب بن [أبي] ^(٢) وداعة السهمي . وقال ابن عائشة — وقد سأله الوليد بن يزيد
فقال : يا محمد أَلَيْغِيهِ أَنْتَ ؟ — قال : كانت أمي يا أمير المؤمنين ماضطةً وكنتُ غلاما
وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت : آرفعوا هذا لابن عائشة ، فغلبت على نسي . ^(٣)

(١) هذه الزيادة في إحدى النسخ . (٢) الزيادة عن الأغاني ج ٢ ص ٦٢

(٣) كذا بالأصل وهي مكررة مع قوله : «وقل ابن عائشة» .

(٤) رواية الأغاني في ج ٢ ص ٦٢ «قالوا» .

قالوا : وكان ابن عائشة يَقْتَنُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ ، وكان فتیان المدينة قد فَسَدُوا في زمانه بِمُحَادَثَتِهِ وَمِجَالَسَتِهِ ؛ وَأَخَذَ عَنْ مَعْبَدٍ وَمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ ، وَلَمْ يَمُوتَا حَتَّى سَاوَاهُمَا عَلَى تَقْدِيمِهِ لَهَا وَأَعْتَرَفَهُ بِفَضْلِهِمَا . وَكَانَ تَيَاهَا سَيِّئُ الْخُلُقِ ، إِنْ قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : تَعَنَّ ، قَالَ : أَلَمْثَلُ يَقَالُ هَذَا ! فَإِنْ غَنَى وَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : أَحَسَنْتَ ، سَكَتَ ؛ فَكَانَ قَلِيلًا مَا يُنْتَفَعُ بِهِ .

وكان ابن عائشة مُنْقَطِعًا إِلَى الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ ، وَكَانَ الْحَسَنِ مُكْرَمًا لَهُ ، فَسَأَلَهُ الْحَسَنِ أَنْ يُخْرِجَ مَعَهُ إِلَى الْبُغْيَةِ^(١) ، فَاِمْتَنَعَ ابْنُ عَائِشَةَ ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ الْحَدَّ ، فَلَمَّا عَاينَ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَالَ : أَخْرُجْ طَائِعًا لَا كَارَهَا ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِبَغْلَةٍ فَرَكَبَهَا وَمَضَى إِلَى الْبُغْيَةِ ، فَتَرَلَا الشَّعْبَ ثُمَّ أَكَلُوا ؛ وَقَالَ لَهُ : غَنَى ، فَأَنْدَفَعَ فَغَنَاهُ صَوْتًا فَاسْتَحْسَنَهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : وَاللَّهِ لَا غَنِيَّتُكَ فِي يَوْمِي هَذَا شَيْئًا ؛ فَأَقْسَمَ الْحَسَنِ أَلَّا يَفَارِقَ الْبُغْيَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَاعْتَمَ ابْنُ عَائِشَةَ لِيَمِينِهِ وَنِدْمٍ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَالَ لَهُ : غَنَ فَقَدْ بَرَّتْ يَمِينُكَ ، فَنَظَرَ إِلَى نَاقَةٍ تَقْدُمُ جَمَاعَةَ إِبِلٍ فَأَنْدَفَعَ يَغْنَى

تَمُرُّ بِكُنْدَلَةٍ أَلْمِجَنِيَّتِ يَرْمِي بِهَا السُّورَ يَوْمَ الْقِتَالِ

وهي أبيات لأمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حماراً وحشياً ؛ والبيت يمر بالياء .

وقيل : سأل العقيق مرةً فدخل عَرَصَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ [الماء] حَتَّى مَلَأَهَا ، فَخَرَجَ^(٢) النَّاسُ إِلَيْهَا ، وَخَرَجَ ابْنُ عَائِشَةَ جُلُوسًا عَلَى قَرْنِ الْبُئْرِ ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ الْحَسَنِ عَلَى بَغْلَةٍ وَمَعَهُ غُلَامَانِ أَسْوَدَانِ ، فَقَالَ لَهَا : إِمْضِي رُويْدًا حَتَّى تَقِفَا بِأَصْلِ الْقَرْنِ الَّذِي عَلَيْهِ ابْنُ عَائِشَةَ ، ففعل ذلك ؛ ثُمَّ نَادَاهُ الْحَسَنِ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا ابْنَ عَائِشَةَ ؟

❦

(١) ضيعة بالمدينة أو عين عزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في القاموس .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٢ ص ٦٣

قال : بخير ؛ قال : أنظر من تحتك فنظر فإذا العبدان ؛ قال : أنعرفهما ؟ قال :
نعم ؛ قال : فهما حران لئن لم تغنني مائة صوت لأمرنهما بطرحك في البئر ، وهما
حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما ، فاندفع ابن عائشة وغنى بشعر الهذلي

ألا لله درك من * فقي قديم إذا رهبوا
وقالوا من فقي للحر * ب يرقبنا ويرقب^(٢)
فكنت فتاهم فيها * إذا تدعى لها تب
ذكرت أني فعادوني * صداع الرأس والوصب
كما يعتاد ذات ألبو^(٣) بعد سلوها الطرب

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى حماد الراوية أن الوليد بن يزيد
استقدمه من العراق إلى الشام على دواب البريد ، وكان مما حكاه عنه قال :

قدمت عليه فأذن لي ، فدخلت فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان أصفران وعنده
معبد ومالك بن أبي السَّمح وأبو كامل مولاه ، فاستشدي^(٤)
* أمِنَ المنون وريبها تتوجع *

فأشدته حتى أتيت على آخرها ؛ ثم قال : يا مالك ، غنى
ألا هل هاجك الأظعا * ن إذ جاوزن مطلقا

فغناه ؛ ثم قال : غنى

جلا أمية غنى كل مظلمة : سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

(١) كذا في الأغاني ج ٢ ص ٦٣ وفي الأصل : « فهما أحرار إن لم تعق مائة صوت لأمرها
بطرحك في البئر وهما حران إن لم يفعلا إن لم أقطع أيديهما » .

(٢) في الأصل « فترقب » والتصحيح عن الأغاني ج ٢ ص ٦٤ وديوان الهذليين .

(٣) في الأصل : « على عدين » . والتصويب عن ديوان الهذليين .

(٤) وروى « وريبه » وكلاهما صحيح لأن المنون يذكر ويؤث .

٥

١٠

١٥

٢٠

فغناه، ثم قال : غَنَّنِي

أَتَنَسَى إِذْ تُودَعُنَا سُلَيْمَى^(١) . بِفَرْجِ بَسَامَةٍ ، سُقِيَ الْبَشَامُ !

فغناه، ثم أتاه الخاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ،
فأذن له ، فدخل شاب لم أر أحسن وجهاً منه ، فقال له : غَنَّنِي

وهي إذ ذاك عليها مِثْرٌ * ولها بيتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبٍ

فغناه، فنبتذ إليه الثوبين ، ثم قال : غَنَّنِي

طاف الخيالُ فمرحَباً * أَلْقَا برؤية زَيْنَبَا

فغَضِبَ مَعْبُدٌ وقال : يا أمير المؤمنين إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا وإنك
تركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال : يا أبا عباد ، ما جهلتُ قدرَك

ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه ، قال حماد :
فسألتُ عن الغلام فقيس لي : هو أبْنُ عائِشة . وحكى عن شيخ من تنوخ قال :

كنتُ صاحبَ سِتر الوليد بن يزيد فرأيتُ أبْنَ عائِشة عنده وقد غناه

إِنِّي رأيتُ صبيحةَ النَّفَرِ . حُورًا نَفَّيْنَ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ

مثل الكواكب في مطالعها * بعدَ العشاءِ أَطْفَنَ بالبدرِ

وخرجتُ أبْنِي الْأَجْرَ مُحْتَسِبًا * فرجعتُ موفورًا من الوزرِ

فطرب الوليدُ حتى كَفَرَ وألحد ، وقال : يا غلام ، أسقنا بالسما السابعة ، ثم قال :

أحسنْتَ والله يا أميري ، أعد بحقِّ عبدِ خمس فأعاد ، ثم قال : أحسنتَ يا أميري

والله ، أعد بحقِّ أمية فأعاد ، ثم قال : أعد بحقِّ فلان حتى بلغ من الملوك نفسه ،

(١) ورد هذا الشطر هكذا بالأصول والأغاني ج ٢ ص ٦٥ ، ورواية اللسان « أتذكر » بدل « أتسى »

وروى بوجه آخر فيه منسوب بالجرير * أتذكر يوم تصقل عارضها *

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٧٢ « الرابعة » .

فقال : أعد بحياتي فأعاده ، فقام فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجتذا إلى أن أتوه بمنثلها ، ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال : أركبها بأبي أنت وأنصرف فقد تركتني على مثل المقل من حرارة غناك ، فركبها على بساطه وأنصرف . وحكي أيضا أن ابن عائشة أنصرف من عند الوليد وقد غناه

أبعدك مَعْقِلًا أرجو وحِصْنًا ^(١) وراعتني المعاقِل والحِصُونُ

فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كَارَةِ الْقَصَارِ كُسُوَّةً ، فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى الفُرى وكان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ ، فقال لغلامه : من هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المغنى ، فدنا منه فقال : جُعلتُ فِدَاءَكَ أنتَ ابنُ عائشة أُم المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولى لقريش وعائشة أُمى وحسبك هذا ، قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسُوَّة ؟ قال : غنيتُ أمير المؤمنين صوتا فأطربه فكمر وترك الصلاة وأمر لى بهذا المال وهذه الكُسُوَّة ؛ قال : جُعلتُ فِدَاءَكَ فهل تمنى على أن تُسمِعنى ما أسمعته إياه ؟ فقال : ويلك ! أمثل يَكَلِّم بهذا فى الطريق ! قال : فما أصعب ؟ قال : ألحفتى بالباب ، وحرك ابنُ عائشة بغلته لينقطع عنه ، فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسى رَهَانٍ ، ودخل ابنُ عائشة فمكث طويلا طعما أن يضجّر فينصرف ، فلم يفعل حتى أعياء ، فقال لغلامه : أدخِلْه ، فلما دخل ، قال له : ويلك ! من أين صَبَّكَ الله على ! قال : أنا رجل من

(١) فى الأعاصِح ٢ من ٧٣ : « قد أعينى » .

(٢) القَصَار هو الذى يحوّر الثياب ويدقها والكَاَرَة ما يحمله من الثياب . قال صاحب اللسان : وسُميت

بذلك لأنه يكثر ثيابه فى ثوب واحد ويحملها ويكون بعضها على بعض . ٢٠

أهل وادى القرى أشتهى هذا الغناء، فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال : وما ذاك؟ قال : مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك، فقال له : جُعِلْتُ فداءك والله إن لى بُنية ما فى أذنْها — علم الله — حَلَقَةٌ من الورق فضلا عن الذهب، وإن لى زوجة ما عليها — شهد الله — قَيْصٌ، ولو أعطيتنى جميع ما أمرك به أمير المؤمنين على هذه الحالة والفقر الذى عرَّفْتَكُمَا وأضعفت لى هذا لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ، فتمجَّبَ أبْنُ عائشة وغنَّاه الصوتَ، فجعل يحرك رأسه ويطرب له طربا شديدا حتى ظن أن عقه ستنقص ثم خرج من عنده ولم يرزاه شيئا، وبلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد، فسأل أبْنَ عائشة عنه، فجعل يغيب عن الحديث، فلم يزل به حتى صَدَقَه الحديثُ، فطَلَبَ الرجلُ فطُلِبَ حتى أُحْضِرَ إليه ووَصَلَه صلة سنية وجعله من ندمائه ووَكَّلَه بالسقى فلم يزل معه حتى قتل رحمه الله .

وعن عليّ بن الجهم الشاعر، قال : حدثنى رجل أن أبْنَ عائشة كان واقفا بالموسم مهجرا^(١)، فتر به بعض أصحابه، فقال : ما يُقيمك هاهنا؟ قال : إني أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس هاهنا فلم يذهب أحد ولم ينجى، فقال له الرجل : ومن ذاك؟ قال : أنا؛ ثم أندفع يُغنى

بَحْرَتُ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي * نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى اللِّقَاءِ
بِنَفْسِي مَنِ تَذَكَّرُهُ سَقَامٌ * أُغَانِيهِ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

قال : لحبس الناس وأضطربت المحامل ومدَّت الإبلُ أعناقها فكادت الفتنة أن تقع، فَأَتَيْتُ به هِشَامَ بنَ عبد الملك، فقال له : يا عدو الله أردت أن تفتن الناس! قال : فأمسك عنه وكان تياها، فقال له هشام : أرفق بتيهك، فقال : يَحِقُّ لمن كانت هذه مفدرته على القلوب أن يكون تياها! فضحك هِشَامُ وخرَّ سبيله .

وَأُخْتَلِفَ فِي وَفَاةِ ابْنِ عَائِشَةَ وَسَبَبِهَا ، فَقِيلَ : كَانَتْ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
 وَقِيلَ : فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَهُوَ أَشْبَهُهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ نَادِمَ الْوَلِيدَ وَغَنَاهُ ؛
 وَالَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ تَوَفَّى فِي أَيَّامِ هِشَامٍ يُزْعَمُ أَنَّهُ نَادِمَ الْوَلِيدَ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ الْعَهْدَ .
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِذِي خُشْبٍ وَهُوَ عَلَى أَمِيالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . قِيلَ : كَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّ
 الْعَمْرُ بْنُ يَزِيدَ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا نَزَلَ قَصْرَ ذِي خُشْبٍ جَلَسَ عَلَى سَطْحِهِ ، فَغَنَّى
 ابْنُ عَائِشَةَ صَوْتًا طَرِبَ لَهُ الْعَمْرُ ، فَقَالَ : أَعِدْهُ ، فَأَبَى ، وَكَانَ لَا يَرْتَدُّ صَوْتًا لِسُوءِ خُلُقِهِ ،
 فَأَمْرَهُ بِفُطْرَحٍ مِنْ أَعْلَى السَّطْحِ فَهَات . وَقِيلَ : بَلْ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَبُولُ وَهُوَ سَكَرَانُ
 فَسَقَطَ مِنَ السَّطْحِ فَهَات . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ قَدْ رَجَعَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ فَلَمَّا
 قَرُبَ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ بِذِي خُشْبٍ وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْخَزَوِيُّ وَكَانَ
 فِي قَصْرِهِ هُنَاكَ ، فَدَعَاهُ فَأَقَامَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الشُّرْبِ أَخْرَجَ الْخَزَوِيُّ
 جَوَارِيَهُ فَنَظَرَ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ وَهُوَ يَغْمِزُ جَارِيَةً مِنْهُمْ ، فَقَالَ لِحَادِمِهِ : إِذَا خَرَجَ
 ابْنُ عَائِشَةَ يَرِيدُ حَاجَتَهُ فَأَرْمِ بِهِ مِنَ الْقَصْرِ ، وَكَانُوا يَشْرِبُونَ فِي سَطْحِ الْقَصْرِ ، فَلَمَّا
 قَامَ رَمَاهُ الْحَادِمُ فَهَات . وَقِيلَ : بَلْ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فَتَزَلَّ بِقَصْرِ ذِي خُشْبٍ فَشَرِبَ
 فِيهِ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ فَنَظَرَ إِلَى نِسْوَةِ يَمِشِينَ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي ، فَقَالَ لِصَحْبَائِهِ :
 هَلْ لَكُمْ فِيهِنَّ ؟ فَقَالُوا : وَكَيْفَ لَنَا بِهِنَّ ! فَلَبِسَ مَلَأَةً مَدْلُوكَةً ثُمَّ قَامَ عَلَى شُرْفَةٍ مِنْ
 شُرَفَاتِ الْقَصْرِ وَتَغَنَّى بِشِعْرِ ابْنِ أَدْنَةَ

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ : هَلَا زُهَيْرٍ تَلَاقِيَا

تَعَالَيْنِ فَقَدْ طَابَ * لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَطَرِبَ وَاسْتَدَارَ فَسَقَطَ فَهَاتَ غَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ ، وَقِيلَ : بَلْ

مَاتَ بِالْمَدِينَةِ . وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ

سُلَيْمَى أَرْمَعَتْ بَيْنَنَا * وَأَيِّنَ لِقَاؤُهَا أَيَّنَا

وقد قالت لأتراپ * لها زُهْرٌ تَلَقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فقد طابَ * لنا العِيشُ تَعَالَيْنَا
فاقبلنِ إلِها مُسْتَرِعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا
إلى مثل مَهَاة الرمثل تكسو المجلس الزِينَا
إلى خُود مُنْعَمَةٍ * حَفَفْنَ بِهَا وَقَدَيْنَا
تَمْنَيْنَ ^(١) مُنَاهُنْ * فَكَا مَا تَمْنَيْنَا

ذكر أخبار ابن مُحَرِّز

- هو مسلم . وقيل : عبد الله بن مُحَرِّز ، ويكنى أبا الخطاب ، مولى عبد الدار بن قُصَيٍّ ،
وكان أبوه من سَدَنَةِ الكعبة وأصله من الفُرس ، وكان يسكن المدينة مرّةً ومكّة مرّةً ،
فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عَزَّة المِيلَاء ثم يرجع إلى
مكّة فيقيم بها ثلاثة أشهر ثم شَخَّصَ إلى فارس فتعلّم ألحان الفُرس وأخذ غناءهم ، ثم
صار إلى الشام فتعلّم ألحان الشَّام ^(٢) وأخذ غناءهم ، وأسقط من ذلك ما لا يُستَحْسَن من
غناء الفريقين ونغمهم وأخذ محاسنها ، فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها
في أشعار العرب فأتى بما لم يسمع مثله ، وكان يقال له : صَنَّاجُ العرب . وقيل :
إنه أول من أخذ الغناء عن ابنِ مِسْجَح ، وهو أول من غنّى بالرمل وما غنّى قبله . وكان
ابن مُحَرِّز قليلَ الملابس للباس فأخمل ذلك ذكره ، وأخذ أكثر غنائه جاريه كانت
لصديق له من أهل مكّة كانت نألفه فأخذه اللباس عنها . ومات بعلّة الجُدَام ، وكان
ذلك سببَ امتناعه من معاشره الخلفاء ومحاطة اللباس .

(١) في الأصل : « ممين » والتصويب بن الأمانى ج ٢ ص ٧٨

(٢) في الأمانى ج ١ ص ١٥١ « الروم » .

وَحِكِي أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْقَادِسِيَّةَ لَقِيَهُ حُنَيْنٌ فَقَالَ لَهُ : كَمْ مَتَّكَ نَفْسُكَ مِنَ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : أَلْفَ دِينَارٍ ، قَالَ : هَذِهِ خَمْسُمِائَةُ دِينَارٍ نَخْذُهَا وَأَنْصَرِفَ وَأَحْلَفَ آلَا تَعُودَ ، ففَعَلَ ، فَلَمَّا شَاعَ مَا فَعَلَ حُنَيْنٌ لَأَمَهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ دَخَلَ الْعِرَاقَ مَا كَانَ لِي مَعَهُ خَبْزٌ أَكَلَهُ وَلَا طَرِجَةٌ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . وَلَمْ أَقِفْ مِنْ أَخْبَارِ ابْنِ مُحَرَّزٍ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَأُورِدَهُ وَالسَّلَامَ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ

هُوَ أَبُو الْوَلِيدِ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ ، وَأَسَمُ أَبِي السَّمْحِ جَابِرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الطَّائِي وَأُمُّهُ قُرَشِيَّةٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقِيلَ : بَلْ أُمُّ أَبِيهِ [مِنْهُمْ] ، وَقِيلَ فِيهِ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ أَبُوهُ مَنقُطَعًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَتِيمًا فِي حَجْرِهِ أَوْصَى بِهِ أَبُوهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَالِكٌ أَحْوَلَ طَوِيلًا ، وَأَخَذَ الْغَنَاءَ عَنْ جَمِيلَةٍ وَمَعْبُدٍ وَعُمَرَ وَأَدْرَكَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ، وَكَانَ مَنقُطَعًا إِلَى بَنِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . وَرَوَى الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى الْوَرْدَانِيِّ ، قَالَ : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ الْمُغْنَى مِنْ طَبِئٍ فَاصَابَتْهُمْ حُطْمَةٌ^(٢) فِي بِلَادِهِم بِالْحِلْيَيْنِ ، فَقَدِمَتْ بِهِ أُمُّهُ وَبِاخْوَةَ لَهُ وَأَخَوَاتٍ أَيْتَامَ لَا شَيْءَ لَهُمْ ، وَكَانَ يَسْأَلُ النَّاسَ عَلَى بَابِ حِمْزَةِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ مَعْبُدٍ مَنقُطَعًا إِلَى حِمْزَةِ يَكُونُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَسَمِعَ مَالِكٌ غَنَاءَهُ فَأَعْجَبَهُ وَأَشْتَهَاهُ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ بَابَ حِمْزَةٍ يَسْمَعُ غَنَاءَ مَعْبُدٍ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا يَطُوفُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَا يَرِيْمُ^(٣) مَوْضِعَهُ ، فَيَنْصَرِفُ إِلَى أُمِّهِ وَلَمْ يَكْسِبْ شَيْئًا فَتَضَرَّبَهُ ، وَهُوَ مَعَ

(١١٧)

(١) الزيادة عن الأغاني ج ٤ ص ١٦٨

(٢) السة الشديدة والجذب .

(٣) أى لا يرج .

- ذلك يترنم بألحان معبد فيؤذيها نغماً بغير لفظ، وجعل حمزة كلما غدا أو راح رآه ملازماً لبابه، فقال لغلامه يوماً: أَدْخِلْ هذا الغلامَ إلى فادخله الغلامُ إليه، فقال له حمزة: مَنْ أَنْتَ؟ قال: غلامٌ مِنْ طيِّبِ أَصَابِتِنَا حَطْمَةً بِالْجَلِيلِينَ فَهَيْطُنَا إِلَيْكُمْ وَمَعِيَ أُمٌّ لِي وَإِخْوَةٌ وَإِنِّي لَزِمْتُ بِأَبِكَ فَسَمِعْتُ مِنْ دَارِكَ صَوْتَا أُعْجِبْنِي وَلَزِمْتُ بِأَبِكَ مِنْ أَجْلِهِ، قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر، فقال: إن كنت صادقاً إنك لفهم^(١)، ودعا بمعبد فأمره أن يُغنى صوتاً فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقول له؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فغناه فأدّى نغمه بغير شعر يؤدّي مدّاته ولبّاته وعظّماته ونبراته ومتعلقاته لا يحرمُ منه حرفاً، فقال لمعبد: خذ هذا الغلامَ إليك ونحّجه فليكونَ له شأنٌ، قال معبد: لا أفعل ذلك، قال: لتكونَ محاسنُه منسوبة إليك وإلا عدّك إلى غيرك، فكانت محاسنُه منسوبةً إليه، فقال معبد: صدّق الأميرُ وأنا أفعل ما أمرتني به. قال حمزة لمالك: كيف مُلازمتُك لبابنا؟ قال: أرايتُ إن قلتُ فيك غيرَ الذي أنتَ له مُستحقٌّ من الباطل، أكنتَ ترضى بذلك؟ قال: لا، قال: وكذلك لا يسرّك أن تُحمدَ بما لم تفعل، قال: نعم، قال: فوالله ما شِيعْتُ على بابك شِيعَةً قط، ولا أَتَقَلَّبْتُ إلى أهلي منه بخير، فأمر له ولأُمّه ولإخوته بمنزل وأجرى عليهم رزقا وكِسوةً وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يَسْقِيهِم المَاءَ، وأجلس مالكا معه في مجالسه وأمر معبدا أن يُطَارِحَهُ فلم يَنْشَبْ أَنْ مَهَرَ، فخرج مالكا يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ، والشعر لأخى زيادة.

أبعد الذي بالنّصف نَعْفِ كُؤْيِكِب * رهينة رميس ذى ترابٍ وجندلٍ

(١) هكذا بالأصول والأغاني بدون فاء الجواب، ولعلها سقطت من النسخ.

(٢) في الأصول «شئى» والتصحيح عن الأغاني ج ٤ ص ١٦٩

أَذْكُرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي * وَذَلِكَ أَتَى جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ^(١)
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ * لَنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجِلَ
وَأَلَّا أُنَلْ تَأْرَى مِنْ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ * بَنِي عَمْنَا فَالْدَهْرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ
أُنْخِمْ عَلَيْنَا كُلَّكَالِ الْحَرْبِ مَرَّةً^(٢) * فَتَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَالٍ^(٣)

٥ فغنى في هذا الشعر حَئِنَ، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورَقَمَه وأصلحه،
والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير إني قد صنعتُ
غناءً في شعر سمعتُ أهلَ المدينة يُشَدُّونه وقد أعجبني فإن أذن الأمير غنيتَه، قال :
هات، فغنى اللحنَ الذى نحا فيه نحوَ معبد، فطرب حمزة وقال : أحسنتَ يا غلامُ،
هذا الغناءُ غناءُ معبد بطريقته، قال : لا تعجلُ أيها الأمير، وأسمع مِنِّي شيئاً ليس
١٠ من غناء معبد ولا طريقته، فغناه اللحنَ الذى تنسبه فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى
ألقي عليه حُلَّةٌ كانت عليه قيمتها مائتا دينار، ودخل معبد فرأى حُلَّةَ حمزة على مالكٍ
فأنكرها، وعلم حمزة بذلك فأخبر معبداً بالسبب وأمر مالكا فغناه الصوتين، ففَضِبَ
معبد لما سمع الصوتَ الأول وقال : قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلامَ فيتعلَّم غنائى فيدعيه
لنفسه، فقال حمزة : لا تعجل وأسمع غناءً^(٤) صنعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغنى
الصوتَ الآخر، فغناه فأطرق معبد، فقال له حمزة : والله لو أنفرد بهذا لضاهلك ثم تزايد
١٥ على الأيام، وكلما كبر وزاد شِغْتَ أَنْتَ وانتقصت، فلأن يكون منسوباً إليك أجهلُ، فقال

(١) كذا بالأصول وأورد صاحب اللسان في مادة «بقى» هذا البيت منسوباً الى أبي القمقام الأسدي

هكذا أَذْكُرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَا أَصَابَنِي * وَبَقَوَى أَتَى جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ

(٢) في الأصول «الدهر» والنصيب عن الأعشى ج ٤ ص ١٦٩

(٣) في الاصول «سنخوها» والنصيب عن الأعشى ج ٤ ص ١٦٩

(٤) الزيادة عن الأعشى ج ٤ ص ١٦٧

له معبد وهو مُنكسر: صَدَقَ الأَمِيرُ، فأمر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه، فقام مالك على رجله وقبل رأس معبد، وقال له: يا أبا عباد، أسألك ما سمعت مني؟ والله لا أغني لنفسي شيئا أبدا ما دمت حيا! وإن غلبتني نفسي فغفبت في شعر أستحسنته لا نَسَبْتُه إلا إليك، فَطَبْتُ نفساً وأَرْضَ عني، فقال له معبد:

أفعل هذا ونفى به؟ قال: إني والله وأزید، فكان مالك إذا غنى صوتا وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنيتُ لنفسي شيئا قط، وإنما أخذُ غناء معبد فأقلعه إلى الأشعار وأحسنه وأزید فيه وأنقص منه. وحضر مالك بن أبي السَّمْح عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وابن عائسة فغنوه فأمر لكل واحد منهم بألف دينار.

وَحِكَى عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: قال الوليد بن يزيد لمعبد: قد آذنتي وَلَوْلَاكَ هذه،

وقال لابن عائسة: قد آذاني أَسْهَلَاكَ هذا، فأطلب لي رجلا يكون مذهبه متوسطا بين مذهبيكما، فقالا له: مالك بن أبي السَّمْح، فكتب في إيشخاصه إليه وسائر من بالبحاز من المغنين، فلما قَدِمَ مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه نزل على العَمْرِ بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يُعْجِبْهُ، فلما أنصرف قال له العَمْرُ: إن أمير المؤمنين لم يُعْجِبْهُ شيءٌ من غنائك، فقال له: جعلني الله فداك، أطلب لي الإذن عليه مرة أخرى فإن أعجبه شيءٌ مما أغنيته وإلا أنصرفْتُ إلى بلادى، فلما جلس الوليدُ في مجلس ١٥ اللهو ذكره العَمْرُ له فأذن له، فشرب مالك ثلاثَ صُرَاحِيَّاتٍ صُرْفًا، ودخل على الوليد وهو يَحْطِرُ في مِشِيته، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسَلِّمْ وأخذ يَحْلَقُ الباب ثم رفع صوته فغنى

لَا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ* فَلَا تَلَحَّنِي وَلَا تَلَمْ

أَبِيضُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ السَّبَّارِقُ* فِي حَالِكِ مِنَ الظُّلَمِ ٢٠

فليس يعصيك إن رَشَدْتَ ولا * يَهْتِكُ حَقَّ الإسلامِ والحَرَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكرامِ ولا * يَجْهَلُ آتَى التَّرْخِصِ فِي اللَّمَمِ
يَارُبُّ لَيْلَ لَنَا كَاشِيَةَ السُّبُورِ وَيَوْمَ كَذَلِكَ لَمْ يَدُمْ
نَعِمْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ

فطرب الوليد ورفع يديه حتى بان لإبطاه وقام فاعتقه ثم أخذ في صوته ذلك فلم
يزالوا فيه أباما، وأجل له العطية حين أراد ألا نصرف، قال : ولما أتى مالك على
قوله : أبيض كالبدر، قال الوليد

أَحُولُ كَالْفِرْدِ أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنْ الظُّلَمِ

قالوا : وكان مالك بن أبي السمع مع الوليد بن يزيد يوم قُتل هو وآبُ عَائِشَةَ .
قال ابن عائشة : وكان مالك من أحق الخلق، فلما قُتل الوليد قال : أهرُبْ بنا،
قُلْتُ وما يريدون منا؟ قال : وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما
لِيُحَسِّنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! .

ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرد بن شَهْرِيَّار من ولد هُرْمَز مولى لعمر بن الزبير ،
ومنشؤه ومزله بالمدينة ، وكان أبوه فقيرا فأسلمه في الديوان وكان من ثُكَّابِهِ ، وأخذ
الغناء عن معبد وآبن سُرَيْج وآبن مُحَرَّز والغَرَبِضِ ، وكان أكثر روايته عن معبد ، ولم
يكن في أصحاب معبد أحد قُتِلَ منه ولا أقوم بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة
كثيرة وشعر جيد ، وهو أول من دَوَّنَ الغناء ، وله كتاب في الأغاني نسبها إلى مَنْ
غَنَّى فيها . وخرج إلى الشام في تجارة فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأحضره والوليد

إذ ذاك وليَّ العهد . قال : فلما وصلتُ إليه سلمتُ عليه ، فأمرني بالجلوس ثم دعا بالشراب والحوارى . قال يونس : فكنتنا يومنا وليلتنا فى أمر عجيب وغنيته فأعجب بغنائى إلى أن غنيته

إِنْ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَتَحْنُ بَخِيرٌ * قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجَى

- ثم تنهتُ ففقطعتُ الصوتَ وأخذتُ أعتذرُ من غائى بشعرى مُصْعَبٍ ، فضحك ٥ ثم قال : إنَّ مصعباً قد مضى وأتقطع أثره ولا عداوة بينى وبينه وإنما أريد الغناء ، فأَمِصُ الصوتَ ؛ فعدتُ فيه فغنيته ولم يزل يستعيده حتى أصبح فشرب مُصْطَبِحاً وهو يستعيدنى هذا الصوتَ ولا يتجاوزُه ، فلما مضت ثلاثة أيام قلت : جعلنى الله فذلك إني رجل تاجر خرجتُ مع تُجَّارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيعَ مالى ، فقال : أنت تغدو غداً ، وشرب باقى ليلته وأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، فَحَمَلْتُ إلى - وغدوتُ إلى ١٠ أصحابى ، فلما اسْتَحْلَفَ بعثَ إلى - فأتيته فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

(١١٩)

ذكر أخبار حنين

- هو حنينُ بنُ بلوع الحيرى ، وأختلف فى نسبه ، فقبيل (١) هو من العباديين من تميم وقيل : إنه من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم نبوا من طُئْم وجديس ، فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فَعَدَّ فيهم ، ويكنى أبا كعب ، وكان شاعراً مُغَنِّياً من ١٥ فحول المغنين ، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام وكان نصرانياً . وعن ابن المدائنى قال : كان حنينٌ غلاماً يحملُ الفاكهة بالحيرة ، وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت القيان (٢) ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطارين ، وراوا رشاقته

(١) فى الأغانى ج ٢ ص ١٢٠ "بقوا" .

(٢) فى الأغانى ج ٢ ص ١٢٢ « بيوت الغيتان » .

وحسنَ قَدَّه وحلاوته وخِفَّةَ رُوحه أَسَاحَلَوْه وأقامَ عندهم ، فكان يَسْمَعُ الغناء ويُصْنَعِي له حتى شَدَا منه أصواتا فاستمعه الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت ، وأشتهر غناؤه وشهر بالغناء ومَهَر فيه وبلغ فيه مبلغا كثيرا ثم رحل إلى عمرو بن داود الوادِي وإلى حَكَم الوادِي وأخذ منهما وغنَى لنفسه ، وأستولى على الغناء في عصره وهو الذي بذل لابن مُحَرِّز خمسمائة دينار حتى رجع عن العراق كما قدمناه في أخبار ابن محرز ، وبلغ من الناس بالغناء مبلغا عظيما حتى قيل له فيما حُكِيَ : إنك تُغَنِّي منذ خمسين سنة فما تركتَ للكرِيم مالا ولا دارا ولا عقارا إلا أتيتَ عليه ، فقال : بأني أتم إنمأ هي أنفاسي أقسمُها بين الناس أفتلوموني أن أغلِي بها الثمن .

وحكى المدائني قال : حجَّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي ، فوقف له حُنينٌ بظهر الكوفة ومعه عودٌ وزامرٌ له ، فلما مرَّ به هشام عرض له فقال : مَنْ هذا؟ قيل : حنينٌ ، فأمر به هشام فحُمِلَ في حِمْلٍ على جملٍ وعديله زامرُهُ وسيرُهُ أمامه فغناه

أَمِنْ سَلَمَى يَظْهَرُ الكُو * فَهِيَ الْآيَاتُ وَالطَّلَلُ

تلوح كما تلوح على * جفون الصيقل الحلل

فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة دينار . وحكى أن خالد بن عبد الله القسري حرَّم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس يوما في الدخول عليه عامة ، فدخل عليه حنين في جملة الناس ومعه عود تحت ثيابه فقال : أصالح الله الأمير ، كانت لي صِنَاعَةٌ أعود بها على عيالي فخرمها الأمير فأضّر ذلك بي وبهم ، فقال : وما كانت

(١) هكذا بالأصول باثبات الوار . والدى في تاج العروس في مادة «ودى» وفي الاغانى ج ٢

صِنَاعَتُكَ ؟ فَكَشَفَ عَنْ عَوْدِهِ وَقَالَ : هَذَا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : غَنٍّ ، فَعَرَكَ
أَوْتَارَهُ وَغَنَّى

أَيُّهَا الشَّامْتُ الْمَعِيرُ بِالْدهْرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أُذِنْتُ لك وحدك خاصة ، ولا تُجَالِسَ سَفِيهَا وَلَا
مُعْرِدًا ، فكَانَ إِذَا دُعِيَ قَالَ : أَفِيكُمْ سَفِيهٌ أَوْ مُعْرِدٌ ؟ فَإِذَا قَالُوا : لَا ، دَخَلَ .
وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب : عاش حنين بن بلوع
مائة سنة وسبع سنين .

- ١٠ ذكر أخبار [عبد الله أبي وهب المعروف بـ] ^(١)سياط
هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسياط لقب غلب عليه ، وهو مكى مولى
نخاعة ، كان مُقَدِّمًا فى الغناء رواية وصنعة مُقَدِّمًا فى الطرب . وهو أستاذ ابن جامع
وإبراهيم الموصلى وعنه أخذوا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب ، وكان سياط زوج أُم
ابن جامع ، قيل : وإنما لُقِّبَ سِيَّاطٌ بهذا اللقب لأنه كان كثيرًا ما يغنى
كأن مزاحف الحيات فيها * ^(٢)قُبِيلَ الصَّبْحِ آثَارُ السِّيَّاطِ

حكى أن إبراهيم الموصلى غنى صوتا لسياط فقال ابنه إسحاق : لمن هذا الغناء
يا أبت ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك خبزًا يأكله ، سياط . وحكى أن سياطا
مرَّ بأبى رَجَّانَه فى يوم بارد وهو جالس فى الشمس وعليه سَمَلٌ ثوب رقيق رث ،

(١٢٠)

(١) زيادة فى بعض النسخ .

(٢) فى الأغاني ح ٦ ص ٧ « فيه » .

فوثب إليه أبو ريحانة المدني، وقال : بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتك في شعر
أبن جُندب

فؤادى رهين في هواك ومُهجتي * تذوب وأجفاني عليك هُول

فغناه إياه، فشقّ قيصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهْدًا،
فقال له رجل : ما أغنى عك هذا من شقّ قيصك ! فقال : يابن أخى إن الشعر
الحسن من المغنى الحُسين ذى الصوت المُطرب أدفا للقرور من حَمَامٍ مُجَمَّى ، فقال له
رجل : أنت عندى من الذين قال الله تعالى فيهم : (فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)
فقال : بل أنا ممن قال الله تعالى فيهم : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وقد
حُكِيتُ هذه الحكاية أيضا من طريق آخر: أنه لما غناه هذا الصوت شقّ قيصه
حتى خرج منه وبق عاريا وغشي عليه واجتمع الناس حوله، وسيأط واقف يتعجب
ما فعل، ثم أفاق فقام إليه، فقال له سيات : مالك أيضا يامشئوم، أى شئ تريد؟
قال : غنّني بالله عليك ياسيدى

ودّع أمانة حان منك رحيل * إن الوداع لمن تُحب قليل

مثل القضيبي تماليت أعطافها * والريح تجذب منها قَمِيل

إن كان شأنكم الدلال فإنه * حسن دلائك يا أُميم جميل

فغناه، فلطم وجهه حتى خرج الدُم من أنفه ووقع صريعا، ومضى سيات وحمل
الناس أبا ريحانة إلى الشمس، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال نحو ما تقدم، قال :
ووجه إليه سيات بقميص وسراويل وجبة وعمامة . وكانت وفاة سيات في أيام
موسى الهادى، ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألك حاجة؟ قال :
نعم لا تزد في غنائى شيئا ولا تنقص منه، فإنما هو ثمانية عشر صوتا دعه، رأسا برأس .

- وقيل : بل كانت وفاته بفاة ، وذلك أنه دعاه بعض إخوانه فأتاهم ، وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزلهم بفاة إلى أمه وقالوا : يا هذه إننا دعونا أبنك لنكرمك ونسربه ونأنس بقربه فمات بفاة ، وها نحن بين يديك فاحكي ما شئت وناشدناك الله أن [لا] ^(١) تعرضينا للسلطان أو تدعي علينا ما لم نفعله ، قالت : ما كنت لأفعل وقد صدقتم وهكذا مات أبوه بفاة وتوجهت معهم فحملته إلى منزله ودفنته .

ذكر أخبار [عبيد الله بن القاسم الشهير بـ] الأبيجر ^(٢)

- هو عبيد الله بن القاسم بن منبه ويكنى أبا طالب ، وقيل : اسمه محمد بن القاسم ، والأبيجر لقب غلب عليه ، وهو مولى لكانة ثم لبني ليث بن بكر ، وكان ^(٣) يلقب بالحسحاس ، وكان مدينا منشؤه مكة أومكيا منشؤه المدينة . قال عورك اللهي :
 ١٠ لم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبيجر ، كانت حلتته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المازمين ويرفع عقيرته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضا . وروى الأصفهاني بسنده إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : جلس الأبيجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من

١٥

(١) زيادة في الأغاني ج ٦ ص ٩

(٢) زيادة في بعض النسخ .

(٣) في الأغاني ج ٣ ص ١١٥ «ضبية» .

(٤) هكذا بالأصول . وفي الأغاني ج ٣ ص ١١٥ «وهو مولى لكانة ثم لبني بكر ، ويقال إنه

مولى لبني ليث» .

٢٠

(٥) في الأصول «قرين» والتصحيح عن الأغاني ج ٣ ص ١١٥

التنعيم فإذا عسكر جرّار [قد أقبل^(١)] في آخر الليل وفيه دوابّ تُجَبَّبُ ومنها فرس
أدهمٌ عليه سرج حليته ذهب فاندفع يُغْنَى

عرفتُ ديارَ الحى خاليةً قفراً * كأن بها لما توهّمها سَطْرًا

فلما سمعه مَنْ في القباب والمحامل أمسكوا وصاح صائح : ويمحك أعيد الصوت !
فقال : لا والله إلا بالفرس الأدهم بَسْرجه ولجامه وأربعائة دينار ، وإذا الوليد بن

يزيد صاحب العسكر فنودي : أين منزلك ، ومَنْ أنت ؟ فقال : أنا الأجير ومنزلى على
زقاق باب الجزارين ، ففدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعائة دينار ونَحَتِ^(٢)

ثياب وثنى وغير ذلك ثم أتى به الوليدُ ، فاقام وراح مع أصحابه عشية التروية

وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام . وحكى عن عمرو بن حفص بن

أم كلاب ، قال : كان الأجير مولانا وكان متجًا وكان إذا قدم من مكة نزل علينا فقال^(٣)

لنا يومًا : أسمعونا غناء ابن عائشكم هذا ، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار ،

ففتى ابن عائشة ، فقال الأجير : كل مملوك له حرّ إن غنيتُ معك إلا بنصف صوتي ،

ثم أدخل إصبعة في شدقيه وغنى فسمع صوته مَنْ في السوق ، فحشّر الناس علينا فلم
يَقْتَرِقا حتى تَسَامَا .

ذكر أخبار أبي زيد الدّلال

هو أبو زيد ناقد ، مدني مولى عائشة بنت سعيد بن العاص وكان مخنثًا . قال

إسحاق : لم يكن في المخنثين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبا ولا أطرف من الدّلال

قالوا : ولم يكن بعد طويس أطرف منه ولا أكثر ملحًا ، وكان كثير النوادر تَزَرَّ

الحديث ، فإذا تكلم أضحك الثّكالي وكان ضاحك السن ولم يكن يُغْنَى إلا غناء مُضْعَفًا

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ١١٥ (٢) بالأغانى ج ٣ ص ١١٦ «الجزازين» .

(٣) في الأغانى ج ٣ ص ١١٦ «عن عمرو بن حفص بن أبي كلاب» .

- يعنى كثير العمل . وقال أيوب بن عبيدة : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم ونحروا به ، فعلمت أن ذلك لفضيلة كانت عنده . قالوا : وكان مُبتلى بالنساء والكونِ معهن فكان يُطلبُ فلا يُقدرُ عليه ، وكان صحيحَ الغناء حسنَ الجُزمِ ، قالوا : وإنما لُقِّبَ بالدلال لشكله وحسن ظُرفه ودلّة وحلاوة منطقه وحسن وجهه ، وكان مشغوفًا بمخالطة النساءِ يُكثرُ وصفهنّ للرجال ، وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ ٥ يجالسه عن الغناء بأحاديث النساءِ كراهةً منه للغناء ، وكان إذا غنّى أجاد كما حكاه ابنُ الماجشون عن أبيه قال : غنّاني الدلال يومًا بشعر مجنون بنى عامر فلقد خفت الفتنة على نفسى ، وأستحصره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرًا وغناه وأقام عنده شهرًا ثم صرفه إلى الحجاز مُكرّمًا . قال الأصمعيّ : حجّ هشام بن عبد الملك فلمّا قدم المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام وقوادم بجانب دار الدلال ، فكان الشاميّ ١٠ يسمع غناء الدلال ويُضغِي إليه ويصعد فوق السطح ليقربَ من الصوت ثم بعث إلى الدلال : إما أن تزورنا وإما أن نزورك ، فبعث إليه الدلال بل تزورنا ، فبعث الشاميّ ما يصلحُ ومضى إليه بغير غلامين من غلمانِه كأنهما دُرّتان مكنونتان ، فغنّاه الدلال ، فاستحسن الشاميّ غناؤه ، فقال : زدنى ، قال : أو ما يكفيك ما سمعتَ ؟ قال : لا والله ما يكفينى ، قال : فإن لى حاجةً ، قال : وما هيّ ؟ قال : تبغى ١٥ أحدَ هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : اختر أيهما شئت ، فاختر أحدهما ، فقال له الشاميّ : هو لك ، فقبله منه الدلال ثم غنّاه ، وغنّى

- دَعْنِي دَوَاعٍ مِنْ أُرْيَا فَهَيَّجَتْ * هَوَى كَانَ قَدَمًا مِنْ فَوَادِ طُرُوبٍ
لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى أَنْ يَعُودَ لِي * فَتَغْفِرَ أَرْوَى عِنْدَ ذَلِكَ ذُنُوبِي
سَبَنِي أُرْيَا يَوْمَ نَعْفِ مُحْسِرٍ * بُوْجِهْ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ ٢٠

فقال له الشامي: أحسنت، ثم قال له: أيها الرجل الجميل إن لي [إليك] حاجة، قال
الدَّلَالُ: وما هي؟ قال: أريدُ وصيفةً ولِدْتُ في حجرٍ صالحٍ ونشأتُ في خيرٍ، جميلةً
الوجه مجدولةً وضيئةً جعدةً في بياض مُشربةً حمرةً حسنةً الهامة سبَاطةً أسيلةً الخدَّ
عذبةً اللسان لها شكلٌ يملأ العين والنفس، فقال له الدَّلَالُ: قد أصبَّتها لك، فما لي عندك
إن دَلَّلْتُك عليها؟ قال: غلامي هذا، قال: إذا رأيته وقبَلتها فالغلامُ لي؟ قال: نعم،
قال: فأتى امرأةً كَتَّى عن اسمها، فقال لها: جُعِلْتُ فِدَاءُكَ، نزل بقربي رجلٌ من قُود
هشام، له ظَرْفٌ وسخاءٌ وجاءني زائرًا فأكرمتُه ورأيت معه غلامين كأنهما الشمسُ
الطالعةُ المنيرةُ والكواكبُ الزاهرةُ ما وقعت عيني على مثلهما ولا يطول لساني
بوصفهما، فوهب لي أحدهما والآخرُ عنده وإن لم يَصُرْ إلى نفسي ذاهبةً، قالت:
وتريد ما ذا؟ قال: طلب مني وصيفةٌ على صفةٍ لا أعلمها إلا في آبتك، فهل لك
أن تُريه إياها؟ قالت: وكيف لك بأن يدفع الغلامَ إليك إذا رآها؟ قال: إنني قد
شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع، قالت: شأنك لا يعلم هذا أحدٌ، فمضى
الدَّلَالُ وأتى بالشامي، فلما صار إلى المرأة وُضِعَ له كرسيٌّ وجلس، فقالت له المرأةُ:
أمن العرب أنت؟ قال: نعم، قالت: من أيهم؟ قال: من خُرَاعَة، قالت: مرحبا بك
وأهلاً! أي شيء طلبت؟ فوصف لها الصفة، قالت: قد أصبَّتها وأسرتُ إلى جارية
لها فدخلت ففكَّنتُ هنيئةً ثم خرجت، فنظرت فقالت: أخرجني، فخرجت وصيفةً
ما رأى [الراءون] مثلها، فقالت لها: أقبل فأقبلت، ثم قالت: أدري فأدبرت تملأُ
العين والنفس، فابق منها شيء إلا وضع يده عليه، فقالت له: أُنحِبُ أن تُوزَّرها لك؟
قال: نعم، قالت: أتدري فضمَّها الإزارُ وظهرت محاسنها الخفية، فضرب بيده إلى

- (١)
عجيزتها وصدرها، ثم قالت: أتحب أن تُجرِّدها لك؟ قال: نعم، قالت: [أى حبيبتى] وَصَّيْ، فألقت الإزار فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة، فقالت: يا أبا العرب كيف رأيت؟ قال: منية الممتنى، قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يوم النظر يوم البيع ولكن تعود غدا حتى نبأبعك فلا تنصرف إلا عن رضا، فأنصرف من عندها فقال له الدَّلَالُ: أَرْضِيتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا وإن الصفة لتقصُر دونها ثم دَفَعَ إليه الغلامَ الثاني، فلما كان من الغد قال له الشامي: أمض بنا، فضيا حتى قرعا الباب فأذن لهما، فدخلتا فسلما، فرحبت المرأة بهما ثم قالت للشامي: أعطنا ما تبدل، فقال: ما لها عندي ثمن إلا وهي أكثر منه فقولى أنت يا أمة الله، قالت: بل قل أنت فإننا لم نُوطئكَ أعقابنا ونحن نريد خلافَكَ وأنت لها رضا، قال: ثلاثة آلاف [دينار]، قالت: والله لقبله منها خير من ثلاثة آلاف [دينار]، قال: أربعة آلاف [دينار]، قالت: غفر الله لك أعطنا أيها الرجل، قال: والله ما معي غيرها — ولو كان لزدتك — إلا رقيق ودواب، قالت: ما أراك إلا صادقا، أتدرى من هذه؟ قال: تُخَيِّرِينِي، قالت: هذه أبتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان قم راشدا، فقال للدَّلَالِ: حَدِّثْنِي، قال: أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلام مثل غلامك؟ قال: أما هذا فنعَم، ونخرجنا من عندها. والدَّلَالُ أحد من خُصِي من المختئين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بنحصرهم.



ذكر أخبار عَطَرْدُ

هو أبو هريرة ^(١) عَطَرْدُ مولى الأنصار [ثم مولى] ^(٢) بن عمرو بن عوف ، وقيل :
 إنه مولى مُزَيْنَةَ ، مدني كان ينزل قُبَاءً ، وكان جميل الوجه حسن الغناء طيب
 الصوت جيد الصنعة حسن الزِّيِّ والمروءة فقيها قارئاً للقرآن ، وقيل : إنه كان
 مُعْتَدِلَ الشهادة بالمدينة ، وأدرك دولة بني أمية وبقى إلى أول أيام الرشيد ، وكان
 يُعْنَى مُرْتَجِلًا . وحكى أبو الفرج الأصبهاني بسند رفعه قال : لما أَسْتُخْلِفَ الوليدُ
 ابن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عَطَرْدِ المَعْنَى إليه ، ففعل ، قال
 عَطَرْدُ : فدخلت على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مُرَصَّصة مملوءة
 حمرا ليست بالكثيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سباحة] ^(٣) ، قال : فوالله ما تركني أَسَلَمَ
 حتى قال : أعَطَرْدُ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما زلتُ إليك مشتاقا
 يا أبا هريرة ، غَنَّى .

حَى الْجُمُولِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ * إِذْ لَا يَلَاثِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي
 اللَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتَ بِهِ * وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ

(١) كذا في الأغاني ج ٣ ص ٩٦ ويؤيده ما سياتي قريبا . والذي في الأصول

«أبو مروان» .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٩٦

(٣) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٩٨

(٤) هو ماء بين البصرة والجماعة .

(٥) في الأصول «بشاكل» . والتصويب عن الأغاني ج ٣ ص ٩٨ وتاج العروس ومعجم البلدان

لياقوت في مادة «عزل» .

إِنِّي بِجَبَلِكِ وَاصِلٌ حَبْلِي * وَرِيْشِ نَبْلِكِ رَأْسُ نَبْلِي

وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتِ وَمَا * نَبَحْتُ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

قال : فغنيته إياه ، فوالله ما أتممته حتى شق حُلَّةَ وَشِي كانت عليه لا أدري كم قيمتها ، فتجزد منها كما ولدته أمه ، وألقى نفسه في البركة فنهل منها حتى تبيئت أنها قد نقصت نقصانا يبتأ وأخرج منها وهو كالميت سُكْرًا ، فَأُصْجِعَ وَغُطِّيَ ، ٥
فأخذتُ الحُلَّةَ وقتُ وأنصرفتُ إلى منزلي مُتَعَجِّبًا من فعله ، فلما كان في غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني ، فلما دخلت عليه قال : يا عَطْرَدُ ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : غَنِّي

أَيْذَهْبُ عُمْرِي هَكَذَا لَمْ أَتْلُ بِهِ * مَجَالِسَ تَشْفِي قَرْحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ

وقالوا تَدَاوُ إِن فِي الطَّبِّ رَاحَةً * فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالْذَّوَاءِ فَلَمْ يُجِدِ ١٠

فغنيته إياه فشق حُلَّةَ وَشِي كانت تلمع عليه بالذهب احترفتُ والله الأولى عندها ثم ألقى نفسه في البركة فنهل منها حتى تبيئت نقصانها وأخرج كالميت سُكْرًا ، فَأُلْقِيَ وَغُطِّيَ وَنَامَ ، وأخذتُ الحُلَّةَ وأنصرفتُ ، فلما كان اليوم الثالث ، جاءني رسوله فدخلتُ إليه وهو في بهوٍ قد أُلْقِيَتْ سُتُورُهُ ، فكلمني من وراء الستور ، وقال : يا عَطْرَدُ ،

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كأني بك الآن قد أتيت إلى المدينة فقممت ١٥
في مجالسها وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ عليه فاقترح علي فغنيته فاطرته فشق ثيابه وأخذتُ سَلْبَهُ وفعل وفعل ، ووالله يابن الزانية إن تَحَرَّكَتْ شَفَتَاكَ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى لِأَخْزِرَيْنِ عُنُقَكَ ، يا غلامُ أعطِه ألف دينار ، خُذْهَا وَأَنْصِرِفْ

إلى المدينة، فقلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده ويزودنى نظرة منه وأغنيته صوتاً، فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرف، قال عطرْدُ : فخرجتُ من عنده وما علم الله أنى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضتُ من دولة بني هاشم مدةً . ودخل عطرْدُ على المهديّ وغناه . قيل : ودخل على الرشيد وغناه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عمرّ الوادى

هو عمرُّ بن داودَ بن زاذان، وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، وأخذ الغناء عن حَكَم، وقيل : بل أخذ حَكَمُ عنه، وهو من أهل وادى القُرَى، قَدِمَ الحرم وأخذ من غناء أهله فَخْدَقَ وصَنَعَ فأجاد، وكان طيبَ الصوت شجياً مُطَرِّباً، وهو أولُ مَنْ غَنَى من أهل وادى القُرَى، وآتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جدّاً، وكان يُسمّيه «جامعَ لذاتى ومُحِبِّ طَرَبِى»، وقُتِلَ الوليدُ وهو يُغَنِّيه، وكان آخرَ الناس به عهداً . قال : وكان يجتمع مع مَعْبُد ومالك بن أبى السَّمُج وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص به، وفي عمرّ هذا يقول الوليد بن يزيد

إِذَا فَكَّرْتُ فِي عُمَرَ * حين قال القول واختلجاً
إِنَّهُ لَلِسْتَنِيرِ بِهِ * قَرُّ قَدْ طَمَسَ السُّرْجَا
وَيَغْنَى الشَّعْرَ يَنْظُمُهُ * سَيِّدُ الْقَوْمِ الَّذِى فَلَجَا
أَكَلِ الْوَادِى صُنْعَتَهُ * فِي كِتَابِ الشَّعْرِ فَاذْجَا

أراد الوليدُ بن يزيدَ بقوله سيّدُ القوم نفسه .

ذكر أخبار حَكَم الوادى

- هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلاقاً يَحْلِقُ رَأْسَ الوليد، فاشتراه فأعتقه، وكان حَكَم طويلاً ^(١) أحول يُكْرِى الجمال ينقل [عليها] الزيت من الشام إلى المدينة، وقيل : كان أصله من الفرس. وكان واحدَ عصره في الحِذْق وكان يُغْنَى بالدُّف وَيُغْنَى مُرْتَجِلاً. وعمرَ عمرًا طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشُّطْر من خلافته، وأخذ الغناء عن عُمَرَ الوادى، وقد قيل : إن عُمَرَ أخذ عنه . قال حماد بن إسحاق : قال لى أبى : أربعة بلغت في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قَصُرَ عنه غيرهم : «معبد» في الثقليل، و «ابن سريج» في الرمل، «وحَكَمُ» في الهرج، « وإبراهيم» في الماخورى . قال أبو الفرج الأصفهاني : وزار حَكَم الوادى الرشيدَ فبره ووصله بثلاثمائة ألف درهم ، ١٠ وخيره فيمن يكتب له بها عليه . فقال : أكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي — وكان إبراهيم إذ ذاك عاملاً له بالشام — فقدم عليه حَكَم بكتاب الرشيد فأعطاه ما كتب له به ، ووصله بمثل ذلك إلا أنه نَقَصَه ألفَ درهم من الثلاثمائة ألف ، وقال له . لا أصلك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدي : وأقام عندى ثلاثين يوماً أخذت عنه فيها ثلاثمائة صوت ، كل صوت أحب إلى من الثلاثمائة ألف التى ١٥ وهبتها له . وقيل : إنه لم يشتهر بالغناء حتى صار إلى بنى العباس فانقطع إلى محمد ابن أبى العباس وذلك في خلافة المنصور ، فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه ، وكان يقال : إنه أهزجُ الناس ، ويقال : إنه غنى الأهرجَ في آخر عمره ، فلامه أبوه على ذلك ، وقال : أبعدَ الكِبَرِ تُغْنَى غِنَاءَ المَحْنَتَيْنِ ! فقال له : آسكت فانك جاهل ، غنيتُ [الثقليل] ستين سنة فلم أنلْ إلا القوتَ وغنيتُ الأهرجَ منذ سنتين ٢٠ فَكَمَيْتُكَ ما لم تَرَمْثَلَه قَطْ ، والله أعلم .

(١) كذا في الأغاني ج ٦ ص ٦٤ وفي الأصل «علاما» . (٢) الزيادة عن الأغاني ج ٦ ص ٦٤ و٦٦

ذكر أخبار [إسماعيل^(١)] بن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة
 ابن صبيرة بن سهم بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى، قالوا : وكان ابن جامع من
 أحفظ خلق الله لكاتب الله تعالى، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي
 الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس فلا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن
 ثم ينصرف إلى منزله، وكان حسن السميت كثير الصلاة، وكان يعتم بعمامة سوداء
 على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في زى أهل الحجاز. وروى
 عنه أنه قال : لولا أن القار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون
 الخبز. قال ابن جامع : أخذت من الرشيد بيتين غنيتُهُ إياهما عشرة آلاف دينار.
 قالوا : وكان إبراهيم بن المهدي يفضل ابن جامع فلا يقدم عليه أحداً. قال : وكان
 ابن جامع منقطعاً إلى موسى الهادي في أيام أبيه، فضربه المهدي وطرده، فلما مات
 المهدي بعث الفضل بن الربيع إلى مكة فأحضر ابن جامع في قبة ولم يعلم به أحداً
 فذكره موسى الهادي ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع،
 وقد عرفتم موقعه مني؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين
 وأحضره إليه، فوصل الفضل في تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته.

وحكى أنه دخل على الهادي فغناه فلم يعجبه، فقال له الفضل : تركت الخفيف
 وغنيت الثقيل، قال : فادخلني عليه أخرى فادخله، فغناه الخفيف، فأعطاه ثلاثين
 ألف دينار. قال أحمد بن يحيى المكي : كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا

(١) زيادة في إحدى النسخ .

(٢) في الأصول «مرمسا» والتصويب عن الأغاني ح ٦ ص ٦٩، والمريسي نسبة إلى مريس وهي
 أدنى بلاد النوبة التي تلي أرض أسوان وهي معروفة بجودة الخمر.

حَزَنَ، وَأَحَبَّ الرَّشِيدُ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : أَبَعَثَ بِخَرِيْطَةِ
فِيهَا نَعْيُ أُمِّ ابْنِ جَامِعٍ وَكَانَ بَرًّا بِأَمَةِ فَفَعَلَ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا ابْنَ جَامِعٍ فِي هَذِهِ
الْخَرِيْطَةِ نَعْيُ أُمِّكَ، فَانْدَفَعَ ابْنُ جَامِعٍ يَغْنَى بِتِلْكَ الْحُرْفَةِ وَالْحَزْنَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
كَمْ بِالْذُّرُوبِ وَأَرْضِ السَّنْدَمَنِ قَدَمٌ * وَمَنْ جَمَّاجِمٍ صَرَخَى مَا بِهَا قُبُرُوا
وَقَنْدَهَارُ وَمَنْ تَكْتَبُ مَنِيَّتَهُ * يَقْنَدُهَارُ يَرْجَمُ دُونَهُ الْخَبَرُ
قال : فوالله ما ملكتُكُمَا أنفسنا، ورأيتُ الغلمانَ يصربون برءوسهم الحيطانَ
والأساطينَ، وأمر له الرشيد بعشرة آلاف دينار .

وروى أبو العرج بسنده إلى عبد الله بن علي بن عيسى بن مَاهَانَ قال : سمعتُ
يزيدَ يُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ الرَّشِيدَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ
النَّدَمَاءِ وَلَا الْمَسَامِرِينَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمْ أُرْكَ مِنْذُ ثَلَاثِ
وَهَذَا الْيَوْمِ الرَّابِعِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : عَدَى ابْنُ جَامِعٍ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَتَهَنَّا
بِشَرْبٍ وَلَا سَمَاعٍ وَلَا غَيْرِهِمَا إِلَّا أَنْ تَشْرَكَنِي فِيهِ، مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ أَشْرَكَكَ فِي هَذَا
الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنِّي صَائِرٌ إِلَيْكَ السَّاعَةَ، ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ بِيَدِ ابْنِ جَامِعٍ وَقَالَ
لِلْخَادِمِ : أَمْضِ إِلَيْهَا وَأَعْلِمْهَا أَنِّي قَدْ جِئْتُ . وَأَقْبَلَ الرَّشِيدَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْخَادِمِ
وَالْوَصَائِفِ قَدْ اسْتَقْبَلُوهُ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ قَامَتْ تَسْتَقْبِلُهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهَا : يَا مَعِيَ ابْنُ جَامِعٍ
فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ الْمَقَاصِيرِ، وَجَاءَ الرَّشِيدُ وَصَيَّرَ ابْنَ جَامِعٍ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي
يُسَمَّعُ مِنْهَا فِيهَا، ثُمَّ أَمَرَ ابْنَ جَامِعٍ فَانْدَفَعَ يَغْنَى
مَا رَعَدَتْ رَعْدَةٌ وَلَا بَرَقَتْ : لَكِنَّا أَنْشَأْتُ لَنَا خُلُقَةً

(١) ورد هذا البيت في معجم البلدان بإقوت عند الكلام على «قندهار» هكذا :

كَمْ بِالْجُرُومِ وَأَرْضِ الْهِنْدِ مَنْ قَدَمٌ * وَمَنْ سَرَابِيلٍ قَتَلَ لَيْتَهُمْ قُبُرُوا

(٢) ج.ا. في معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح .

الماء يجرى ولا نظام له * لو يجد الماء مخرقاً خرقة
يئسوا وباتت على نمارقها * حتى بدا الصبح عينها أرقه
أن قيل إن الرحيل بعد غد * والدار بعد الجمع مفترقه

فقلت أم جعفر للرشيده : ما أحسن ما أشتيت والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت
لمسلم خادمها : أدفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم ، فقال الرشيد : غلبتنا
يابنة أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجلبسنا ، فلما خرج حمل الرشيد إليها
مكان كل درهم ديناراً .

ذكر أخبار عمرو بن أبي الككات^(١)

(١٢٥)

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أبو عثمان ، وقيل : أبو معاذ عمرو بن أبي الككات
مولى بنى جُمح ، وهو مكيٌّ مَغْنٍ حسن الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه ، وفيه
يقول الشاعر

أحسن الناس فاعلموه غناءً * رجُلٌ من بنى أبي الككات .

قال محمد بن عبد الله بن فروة : قالت لإسماعيل بن جامع يوماً : هل غلبك أحد
من المغنّين قط ؟ قال : نعم ، كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسول أمير المؤمنين هارون
الرشيد فأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرتُ إلى الدار فإذا أنا بالفضل بن الربيع
ومعه زلزل العواد وبرصوما ، فسلمتُ وجلستُ يسيراً ، فطاع خادم فقال للفضل :
هل جاء ؟ قال : لا ، قال : فابعت إليه ، ولم يزل المغنون يدخلون واحداً واحداً حتى

(١) في الأعاني ج ٦ ص ٧٧ « على » .

(٢) في الأصول « الككات » بالهاء بدل النون وهكذا ورد في هذا الفصل كله ، والمثبت بها هو ما ورد

في الأعاني ج ١٨ ص ١٢٦ وما سدها إلى آخر الترجمة .

- كَأَسْتَهْ أَوْ سَبْعَةً، ثُمَّ طَلَعَ الْخَادِمُ فَقَالَ : هَلْ جَاءَ ؟ فَقَالَ : لَا، فَقَالَ : قُمْ فَأَبْعَثْ فِي طَلَبِهِ، فَقَامَ فَنَاقَبَ غَيْرَ طَوِيلٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ بِعَمْرٍو بْنِ أَبِي الْكَكَّاتِ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي، فَقَالَ لِي : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قُلْتُ : مُغَنُّونَ : هَذَا «زَلْزَلٌ» وَهَذَا «بَرْصُومَا» فَقَالَ : لِأَغْنِيكَ غَنَاءً يَحْرِقُ هَذَا السَّقْفَ وَتُجَيِّبُهُ الْحَيَاطَانَ، ثُمَّ طَلَعَ الْخَصِيَّ فَدَعَا بِكَرَاسِيٍّ، وَخَرَجَ الْجَوَارِيُّ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ الْخَادِمُ : شُدُّوا فَشَدُّوا عِيدَانَهُمْ ثُمَّ قَالَ : يُغْنِي أَبْنُ جَامِعٍ، فَغَنَيْتُ سَبْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةَ أَصْوَاتٍ، قَالَ : أَسْكُتْ، وَلِيغْنِ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ، فَغَنَى مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ ثُمَّ سَكَتَ، وَغَنَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى فَرَّغُوا، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي الْكَكَّاتِ : غَنِّ، فَقَالَ لَزَلْزَلٌ : شُدُّ طَبَقَتِكَ فَشَدَّ ثُمَّ قَالَ لَهُ : شُدَّ فَشَدَّ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ بَجَسٍّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِيدُهُ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى هَذَا، وَابْتَدَأَ الصَّوْتِ الَّذِي أَوَّلُهُ «أَلَا لَا» فَوَاللَّهِ لَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ الْحَيَاطَانَ تُجَاوِبُهُ ثُمَّ رَجَعَ النِّعْمَةُ فِيهِ فَطَلَعَ الْخَصِيَّ فَقَالَ : أَسْكُتْ لَا تَتِمَّ الصَّوْتُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ : يَجْلِسُ عَمْرٍو ابْنُ أَبِي الْكَكَّاتِ وَيَنْصَرِفُ سَائِرُ الْمَغَنِّينَ، فَقُمْنَا بِأَسْوَى حَالٍ وَأَكْشَفَ بَالًا، وَلَا وَاللَّهِ مَا زَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَسْأَلُ صَاحِبَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَرُوهُ مِنَ الْغَنَاءِ الَّذِي أَوَّلُهُ «أَلَا لَا» طَمَعًا فِي أَنْ يَعْرِفَهُ وَأَنْ يَوَافِقَ غَنَاءَهُ فَمَا عَرَفَهُ مَا أَحَدٌ، وَبَاتَ عَمْرٍو عِنْدَ الرَّشِيدِ لَيْلَتَهُ وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ بِجَوَازِ وَصَلَاتٍ وَطُرْفِ سِدِّيَّةٍ . وَقَالَ مُوسَى بْنُ أَبِي الْمُهَاجِرِ : خَرَجَ ابْنُ جَامِعٍ وَابْنُ أَبِي الْكَكَّاتِ حِينَ دَفَعَ الْإِمَامُ (١١) مِنْ عُرْفَةٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَ الْمَازِمِينَ جَلَسَ عَمْرٍو عَلَى طَرَفِ الْجَبَلِ ثُمَّ أَدْفَعَ يُغْنِي، فَرَكِبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى صَاحُوا بِهِ وَاسْتَغَاثُوا : يَا هَذَا، اللَّهُ اللَّهُ ! أَسْكُتْ عَنَّا يَجْزِي النَّاسُ، فَضَبْطَ ابْنُ جَامِعٍ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ حَتَّى مَضَى النَّاسُ إِلَى مُزْدَلَفَةٍ .

قال علي بن الجهم : حدثني من أتق به قال : واقفتُ ابنَ أبي الككات على جسر بغداد أيام الرشيد ، فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه وقف في الموسم في أيام هشام ، فتر به بعض أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب منهم أحدٌ ولم ينجي ، فقلت له : من هذا الرجل ؟ قال : أنا ثم أندفع فغني ، فحبس الناس فاضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها ، فقال ابن أبي الككات وكان معجباً بنفسه : أنا أفعل كما فعل وقد رقي على القلوب أكثر من قدرته ثم أندفع فغني الصوت الذي غني فيه ابن عائشة وهو

بَـرَـتْ سُنْحًا فقلتُ لها أَجِيزِي * نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللَّقَاءُ
بِنَفْسِي مَن تَذَكُّرُهُ سَقَامٌ * أَعَالِجُهُ وَمَطْلُبُهُ عَنَاءُ

- ١٠ قال : فغناه وكنا إذ ذاك على جسر بغداد ، وكان على دجلة ثلاثة جُـسُـور ، فانقطعت الطرق وامتلات الجسور بالناس فازدحوا عليها واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لِثِقَلِ مَنْ عليها من الناس ، فأخذَ فَأَتَى به الرشيدُ ، فقال له : ياعدو الله أردت أن تفنن الناس ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام فأحببتُ أن يكون في أيامك مثله ، فأعجبهُ ذلك وأمرَ له بـمَالِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُغْنِيَ فغني ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فأحبسه عنده شهراً يستريده ، وكل يوم يُسْتَأْذَنُ له في الانصراف فلا يأذَنُ له حتى تَمَّ شهراً وأنصرف بأموال جسيمة . وقال عثمان بن موسى : كنا على شراب يوماً ومعنا عمرو بن أبي الككات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : من تحبون أن يجهنكم ؟ قلنا : منصور المجبي ، فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سُوقِ البقر ، فكثنا ساعة ثم أندفع يُغْنِي
- ٢٠

أَحْسَنُ النَّاسِ فَأَعْلَمُوهُ غِنَاءً * رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَثَّاتِ
عَفَّتِ الدَّارُ فَاهْضَابُ اللُّوَاتِي * ^(١) بَيْنَ نَوْرٍ قُلْتُقَى عَرَافَاتِ

١٢٦

- فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعد قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلنا له : من أين علمت بنا ؟ قال : سمعت صوت عمرو وأنا في سوق البقرة ، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال . وقال :
يحيى بن يعلى بن سعيد : بينا أنا ليلة في منزلي في الرَّمْضَةِ بأسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكَثَّاتِ كأنه معي ، فأمرتُ الغلام فأسرج لي دابتي وخرجتُ أريده فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالسا على الكتيب العارض ببطن عرفة يُغَيِّ خُذِي العَفْوَمِيَّ تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي * ولا تنطق في سَوْرِي حينَ أَغْضَبُ
ولا تُقَرِّبِي نَفْرَةَ الدَّفِّ مَرَّةً * فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغَيَّبُ
فإني رأيتُ الحُبَّ في الصدر والأذَى إذا اجتمعما لم يلبث الحبُّ يذهبُ

ذكر أخبار أبي المهنا مُحَارِق

- هو أبو المهنا مُحَارِق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد ؛ وقيل : بل ناووس لَقَّبَ أبيه يحيى وإنما لَقَّبَ بناووس لأنه بايع رجلا أنه يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قَدْرًا باللبل حتى ينضج ، فطرح رهنه بذلك ؛ ففدس الرجل الذي راهنه رجلا فالتقى نفسه في الناووس بين الموتى ، فلما فرغ ناووس من الطبخ مَدَّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمني ، فغفر بالمغفرة من المرققة وصحبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغفرة وقال له : أصبر حتى نُطْعَمَ الأحياء أولا ثم نتفرغ للموتى ، فَلَقَّبَ ناووسا

(١) في الأغاني ج ١٨ ص ١٢٧ * بسوار قُلْتُقَى عَرَافَاتِ

٢٠ ونور جبل مكة فيه العمار الذي احتفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما سَوَارٌ فبن قري البحرين
أنظر ياقوت ج ١ ص ٩٣٨ وح ٣ ص ١٨٠

لذلك . قال : وكان مخارق لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب . نشأ مخارق بالمدينة ؛ وقيل : كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزارا مملوكا وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه ؛ وقيل : اشتراه إبراهيم من مولاته بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم ؛ قال : ولما اشتراه قال له الفضل ابن يحيى : ما خبر غلام بلغني أنك اشتريته ؟ فقال : هو ما بلغك ، قال : فأرنيه ، فأحضره ، فغنى بين يديه ، فقال له : ما أرى فيه الذى رأيت ، قال : أنت تريد أن يكون فى الغناء مثلى فى ساعة واحدة ، فقال : بكم تبعه ؟ قال : اشتريته بثلاثين ألف درهم ، وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار ، فغضب الفضل وقال : إنما أردت ألا تبعه أو تجعله سببا لأن تأخذ منى ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، فقال إبراهيم : أنا أصنع بك خصلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك فى نصفه [وأعلمه^(١)] ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لى باقى المال وإلا بعته بعد وكان الربح بينى وبينك ، فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ منى المال الذى قدمت ذكره فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه وغضب ، فقال إبراهيم له : فأنا أهبه لك على أنه يساوى ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك ، وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له : يا إبراهيم ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ! ولا يكون مثله أبدا ، قال : فوجه إلى الفضل يأمره بإحضاره ، فوجه به إليه فغنى بين يديه فقال له : كم يساوى ؟ قال إبراهيم : يساوى

خَرَجَ مَصْرُوضِيَاءَهَا، قَالَ : وَيْحَكَ ! أَتَدْرِي مَا تَقُول ! مَبْلَغُ هَذَا الْمَالِ كَذَا وَكَذَا،
 قَالَ : وَمَا مَقْدَارُ هَذَا الْمَالِ فِي غِلَامٍ لَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِثْلَهُ قَطُّ ! قَالَ : فَالْتَفَتَ الرَّشِيدُ
 إِلَى مَسْرُورِ الْكَبِيرِ وَقَالَ : قَدْ عَرَفْتَ يَمِينِي أَنِّي لَا أَسْأَلُ أَحَدًا مِنَ الْبَرَامِكَةِ شَيْئًا،
 فَقَالَ مَسْرُورٌ : فَأَنَا أَمْضِي إِلَى الْفَضْلِ فَأَسْتَوْهِبُهُ مِنْهُ فَإِذَا كَانَ عِنْدِي فَهُوَ عِنْدَكَ،
 فَقَالَ لَهُ : شَأْنُكَ ، فَضَى مَسْرُورٌ إِلَى الْفَضْلِ وَأَسْتَوْهِبُهُ مِنْهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ . وَقِيلَ :
 بَلْ إِبْرَاهِيمُ هُوَ الَّذِي أَهْدَاهُ لِلرَّشِيدِ ، فَأَمَرَهُ الرَّشِيدُ بِتَعْلِيمِهِ فَعَلَّمَهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَهُ .
 قَالَ : وَكَانَ مَخَارِقُ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ مَعَ الْغُلَامِ لَا يَجْلِسُ وَيُغْنِي وَهُوَ وَاقِفٌ ،
 فَغَنَّى ابْنُ جَامِعٍ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ

كَأَنَّ نِيرَانًا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ * مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَّارٍ^(٢)
 هَوَتْ هِرْقَلَةً لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا * جَوَانِمًا تَرْمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ^(٣)

فَطَرِبَ الرَّشِيدُ وَأَسْتَعَادَهُ مَرَارًا ، وَهُوَ شَعَرَ مُدَحٍّ بِهِ الرَّشِيدُ فِي فَتْحِ هِرْقَلَةٍ ،
 فَأَقْبَلَ الرَّشِيدُ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ دُونَ غَيْرِهِ ، فَعَمَزَ مَخَارِقَ إِبْرَاهِيمَ بَعِينَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَلَاءِ ،
 فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟ فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِقْبَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ
 ابْنِ جَامِعٍ بِسَبَبِ هَذَا الصَّوْتِ ! فَقَالَ مَخَارِقُ : قَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُهُ فَقَالَ : وَيْحَكَ !
 إِنَّهُ الرَّشِيدُ ، وَابْنُ جَامِعٍ مَنْ تَعْلَمُ ، وَلَا يُمْكِنُ مَعَارَضَتُهُ إِلَّا بِمَا يَزِيدُ عَلَى غَاثِهِ وَإِلَّا فَهُوَ
 الْمَوْتُ ، فَقَالَ : دَعْنِي وَخَلَاكَ ذَمُّ وَعَرَفْتَهُ أَنِّي أَغْنَى بِهِ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فإِلَيْكَ يُنْسَبُ
 وَإِنْ أَسَأْتُ فإِلَيَّ يَعُودُ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلرَّشِيدِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَاكَ مُتَعَجِّبًا مِنْ
 هَذَا الصَّوْتِ بَغَيْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَوْجِبُهُ ! فَقَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ ابْنُ جَامِعٍ

(١) في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٣ « نيرانا » .

(٢) القَصَّارُ كَالْقَصْرِ : المَخْرُجُ لِلثَّيَابِ .

(٣) في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٣ « حوائم » .

ما شاء ، قال : أو لأبن جامع هو؟ قال : نعم ، كذا ذكر ، قال : فإن عبدك مخارقا يغنيه ، فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين قال : هاته ، فغناه وتحفظ فيه فأتى بالعجائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك ! ما هذا؟ فابتدأ يحلف بالطلاق وكل مُحْرِجَةٍ إنه لم يسمع ذلك الصوت قط من غيره وإنه صنعه وإنها حيلة جرت عليه ، فأقبل على إبراهيم وقال : آصْدُقْنِي بحياتي ، فصَدَّقَهُ عن قصّة مخارق فقال لمخارق : أجلس إذا مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعته ضيعة ومزلا .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن هارون بن مخارق ، قال : كان أبي إذا غنى هذا الصوت

يَارَّيْعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرْبَا * زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ وَصَبَا
رَجْعٌ تَبْدُلُ مِنْ كَانِ يَسْكُنُهُ * عُقَرَ الطَّبَاءِ وَظَلَمَانَا بِهِ عُصْبَا

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت فقلت له : كيف يا أبت؟ فقال : غنيته مولاي الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فسلني حاجتك فقلت : تُعْتَقْنِي يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ، فقال : أنت حرُّ وجه الله تعالى ، فأعد الصوت فأعدته ، فبكى وشرب رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فسلني حاجتك فقلت : ضيعة تقيمني غلتها ، فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر لي بمنزل وفرس وخدام فقال : ذلك لك ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقبلت الأرض بين يديه وقلت : حاجتي أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك ، فأنامولى هذا الصوت بعد مولاي .

وروى أيضا عن الحسين بن الضحّاك عن مخارق أن الرشيد قال يوما للمغنين وهو مُصْطَبِحٌ : مَنْ مِنْكُمْ يُغْنِي

* ياربَعٍ سِلَاسِي لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبَا *

فَقَمْتُ وَقُلْتُ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :
 عَلَى بَهْرَمَةِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا يَرِيدُ مِنْهُ ! بَجَاءِ هَرَمَّةٍ فَقَالَ لَهُ : مَخَارِقُ الشَّارِي .
 الَّذِي قَتَلَنَاهُ بَنَوَاحِي الْمَوْصِلَ مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْمَهْمَا فَقَالَ : أَنْصَرَفَ ،
 فَانْصَرَفَ ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّشِيدَ عَلَى فَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أبا الْمَهْمَا لِإِحْسَانِكَ ، وَأَمَرَ لِي
 بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَانْصَرَفَتْ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

قال أبو عبد الله بن حمدون كما عند الواثق وأمه عليلة ، فلما صُلِّيَ الْمَغْرِبَ دَخَلَ
 إِلَيْهَا وَأَمَرَ آلَ نَبْرَحٍ بِخُلْسَانَا فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَكَانَتْ أَيْلَةً مُقَمَّرَةً وَأَبْطَأَ الْوَاقِقُ عَلَيْنَا ،
 فَانْدَفَعَ مَخَارِقُ يُغْنِي فَاجْتَمَعَ عَلَيْنَا الْغُلَامَانُ ، وَخَرَجَ الْوَاقِقُ فِصَاحًا : يَا غَلَامَ ، فَلَمْ يَجِبْهُ
 أَحَدٌ ، وَمَشَى فِي الْمَجْلِسِ إِلَى أَنْ تَوَسَّطَ الدَّارَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَادَرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي :
 وَيْلَكَ ! هَلْ حَدَثَ فِي دَارِي شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : لَا يَا سَيِّدِي ، قَالَ : فَمَا بِالِي أَصْبَحَ فَلَا
 أَجَابَ ؟ فَقُلْتُ : مَخَارِقُ يُغْنِي وَالْغُلَامَانُ قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَلَيْسَ فِيهِمْ فَضْلٌ لِسَمَاعِ
 غَيْرِ مَا يَسْمَعُونَهُ ؛ فَقَالَ : عَذْرُ وَاللَّهِ لَهُمْ يَا بَنَ حَمْدُونَ وَأَيُّ عَذْرٍ ! ثُمَّ جَلَسَ وَجَلْسْنَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى السَّحَرِ . وَقَدْ رَوَى نَحْوَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ فِي أَمْرِ الْغُلَامَانِ مَعَ مَخَارِقُ عِنْدَ
 الْمُعْتَصِمِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ : قَالَ لِي الْوَاقِقُ : مَا غَنَّا مَخَارِقُ قَطُّ
 إِلَّا قَدَّرْتُ أَنَّهُ مِنْ قَلْبِي خُلِقَ . وَكَانَ يَقُولُ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَنْظُرُوا فَضْلَ مَخَارِقُ عَلَى
 جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ؟ انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْغُلَامَانِ الَّذِينَ يَقْفُونَ فِي السَّيَّاطِ فَكَانُوا يَتَفَقَّدُونَ وَهُمْ
 وَهُمْ وَقُوفٌ فَكُلُّهُمْ يَسْمَعُ الْغَنَاءَ مِنَ الْمَغْنِينِ جَمِيعًا وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ ضَابِطٌ لِنَفْسِهِ ،

فاذا تغنى مخارق خرجوا عن صُورِهِم فتحرّكت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وأزدحموا على الجبل الذى يقفون من ورائه .

وحكى أنه خرج مرّة الى باب الكُتّاسة بمدينة السلام والناس يرحلون الى مكة،

فنظر الى كثرتهم وأزدحامهم فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء فى الخبر أن

أبن سُرَيْح كان يغنى فى أيام الحجّ والناس يمشون فيستوقفهم بغناؤه وأسستوقف لكم

هؤلاء الناس وأستلهمهم جميعا لتعلموا أنه لم يكن ليفضّلنى إلا بصنعتي دون صوته؛

ثم أندفع يؤذّن ، فاستوقف أولئك الخلق وأستلهمهم حتى جعلت المحامل يغشى

بعضها بعضا . قالوا : وجاء أبو العتاهية الى باب مخارق وطرقه ، فخرج اليه فقال له :

يا حسنّ هذا الإقليم ، يا حكيم أرض بابل ، أصبّب فى أذنى شيئا يفرح به قلبي ونلتئم

به نفسى — وكان فى جماعة منهم محمد بن سَعِيد اليزيدى — فقال : آتزلوا ، فزلوا ،

فنتاهم ؛ فقال محمد بن سعيد : فكدتُ أسعى على وجهي طربا ، قال : وجعل أبو العتاهية

يبيكى ثم قال : يا دواء المجانين لفسد رَقَقْتُ حتى كدتُ أن أحسوك ، فلو كان الغناء

طعاما لكان غناؤك أدما ولو كان شرابا لكان ماء الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمر بن شَبَّه قال : حدّثنى بعض آل نُوبخت قال : كان

أبى وعبد الله بن أبى سهل وجماعة من آل نُوبخت وغيرهم وقفا بكُتّاسة الدواب

فى الجانب الغربى ببغداد يتحدّثون وإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه

قبض رقيق وبرداء مسهمٌ فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه ؛ فقال : دعونا من وسواسكم

هذا ، أى شىء لى عليكم إن رميتُ بنفسى بين قبرين من هذه القبور وغطيتُ وجهي

وغنيتُ صوتا فلم يبق أحدٌ بهذه الكُتّاسة ولا فى الطريق من مُشترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ

ولا واردٍ إلا ترك عمله وقرب منى وأتبع صوتي ؟ فقال عبد الله : إني لأحب أن أرى

هذا ، فقل ما شئت ؛ فقال مخارق : فرسك الأشقر الذى طلبته منك فمتعتنيهِ ، قال :

هولك إن فعلت ما قلت، قال: فرمى بنفسه بين قبرين وتعطى بردائه ثم أندفع يغنى
بشعر أبى العنابية

نادت بوشك رحيلك الأيام * أفلست تسمع أم بك استصمام
ومضى أمامك من رأيت وأنت للتسابقين حتى يلحقوك أمام
مالى أراك كأن عينك لا ترى * عبراً تمر كأنهن سهام
تمضى الخطوب وأنت متنبه لها * فإذا مضت فكأنها أحلام

قال : فرأيت الناس يأتون الى المقبرة أرسالا بين راكب وراجل وصاحب شغل
وماز في الطريق حتى لم يبق أحد، ثم قال لنا من تحت رداءه : هل بقي أحد؟ قلنا :
لا، وقد وجب الرهن، فقام فركب حماره، وعاد الناس إلى صنائعهم وقال لعبد الله :
أحضِر الفرس، قال : على أن تُقيم عندي، قال : نعم، فسلم الفرس إليه و بره وأحسن
رفسه .

وروى عن يحيى المكي قال : خرج مخارق مع بعض إخوانه الى بعض المنتزهات،
فنظر الى قوس مذهبة مع بعض من خرج معه، فسأله إياها، وكأن المستول ضن
بها، وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرايت إن تغنيت صوتا
فعطفت على^(١) به خدود هذه الظباء أندفع إلى القوس؟ قال : نعم، فاندفع يُغنى

ماذا تقول الظباء * أفرقة أم لقاء
أم عهداً بسليمي * وفي البيان شفاء
مرت بناسائح * وقد دنا الإماء
فأأحارت جوابا * وطال فيها العناء

قال : فعمطتِ الطباءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه تنظر إليه مُصغيةً الى صوته ، فعجب مَنْ حضر من رجوعها ووقوفها وناولها الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء [فعاودت الطباءُ نفاها ومضت راجعةً على سننها^(١)] .

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال : دخلت على أبي وهو جالس بين باين له ومخارق بين يديه وهو يغنيه

يا ربعَ بيرةٍ إن أضربَكَ اليلِ * فلقد رأيتُكَ آهلاً معموراً

قال : فرأيت أبي ودموعه تجرى على خديه من أربعةٍ أما كنَ وهو ينشجُ أحرَّ نَشيجٍ ، فلما رآني قال : يا إسحاق ، هدا والله صاحب اللواء غدا إن مات أبوك .

وروى عن مخارق قال : رأيت وأنا حَدَّثُ كَأَن شِيخاً جالسا على سرير في روضة حسنة ، فدعاني فقال لى : غَنِّى يا مخارق فقلت : أصوتا تقترحه أو ما حضر؟ فقال : ما حضر؛ فغَنَّيْتُهُ

دَعَى القلبَ لا يَزِدُّ خبالاً مع الذى * به منك أو داوى جَوَاهُ المَكَمَّا
وليس بتزويق اللسان وصَوْغُهُ * وَلَكِنَّهُ قد خالط اللحمَ والدَمَا

فقال لى : أحسنتَ يا مخارق ، ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلقه على المضرب ودفعه الى بفعل المضربُ يطول ويغلظ والوتر ينشرو ويعرض حتى صار المضرب كالبحر والوتر كالعذبة [عليه^(٢)] وصار فى يدي علما ثم آنتهت فحدثتُ برؤياى إبراهيم الموصلى فقال لى : الشيخُ بلا شك إبليسُ ، وقد عقد لواء صنعتك فأنت ما حييت رئيسُ أهلها .

(١) الريادة عن الأعانى ح ٢١ ص ٢٣٧

(٢) الزيادة عن الأعانى ح ٢١ ص ٢٣٣

وقال أحمد بن حمدون : غَضِبَ المعتصم على مخارق فأمر أن يُجْعَلَ في المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك ، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب ، فَأَذْنَتِ العَصْرُ ، فدخل الى السَّتر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جُهدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ، فبكى حتى جرت دموعه وبكى كلُّ من حصر ثم قال : أدخلوه عليّ ، وأقبل علينا ثم قال : سمعتمُ هكذا قط ؟ هذا الشيطان لا يترك أحدا يغضب عليه ! فدخل اليه فقبل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم اليه فأعطاه يده فقبلها وأمر بإحضار عوده فأحضر وأعادته الى مرتبته . وأخبره كثيرة ، وفيما أوردناه منها كفاية . وكانت وفاته في أول خلافة المتوكل ؛ وقيل : بل في آخر خلافة الواثق . وغنى خمسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق رحمهم الله تعالى .

١٠

ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكيّ

(١٢٩)

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكيّ مولى بنى أمية وكان يكتم ذلك لخدمته للخلفاء من بنى العباس ، وكان اذا سُئِلَ عن ولائه اتى الى قريش ، ولم يذكر البطن الذى ولاؤه له ويستغنى مَنْ يسأله عن ذلك . قال الأصفهانيّ : وعمر يحيى المكيّ مائة وعشرين سنة وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر ، وكان قدم مع المجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته فبقى بالعراق ؛ وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ^(٢) وتُليح يفزعون اليه في الغناء القديم فيأخذونه عنه ، ويُعاني بعضهم بعضا بما يأخذونه منه ، فاذا خرجت لهم

٢٠

(١) كذا في الأغاني ح ٢١ ص ٢٤٥ ، وفي الأصل « وأحصره » .

(٢) في الأغاني ح ٦ ص ١٧ « بما يأخذونه منه ويُعربُّ به على أصحابه » .

الجوائز أخذوه منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجناسها كبير جليل مشهور إلا أنه كالمطروح عند الرواة لكثرة تخطئه في رواياته . والعمل على كتاب ابنه أحمد فإنه صحيح كثيرا مما أفسده وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه ، وحقق مانسبه من الأغاني الى صانعه ؛ قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت . قال أحمد بن سعيد : كانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد . وسئل ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها ألف صوت وثلاثة عشر صوت ، منها مائة وسبعون صوتا ، غلب فيها على الناس جميعا من تقدم منهم و [من]^(٣) تأخر فلم يقم له أحد فيها . قال أحمد ابن يحيى قال لي إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائة وسبعون صوتا من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابع ؛ والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكيّ الملقّب بطنين^(٤)

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكيّ وكان يلقب طنيناً ، وهو أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المحكيّ الصنعة . كان إسحاق يقدّمه ويؤثره ويشدو بذكره ويجهز بتفضيله . قال أبو الفرج : وكتابه المجتد في الأغاني ونسبها أصلٌ من الأصول المعول عليها . قال : وكان مع جودة غناؤه وحسن صنعتة أحد الضراب الموصوفين

(١) يقال أخذى الرجل اذا أعطاه مما أصاب من عيبة أو جائزة .

(٢) في الأصل «خطب» ، والتصويب عن الأغاني ج ٦ ص ١٩ .

(٣) الزيادة عن الأغاني ج ٦ ص ١٩

(٤) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٥ «طنين» بالطاء .

(٥) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٥ «يشيد» .

المتقدمين . قال علي بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي - وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي - : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكا كم كان يساوي ؟ قال : أخبرك عن ذلك ، أنصرفت ليلة من دار الوائق فأجترت بدار الحسن ابن وهب فدخلت إليه فإذا أحمد عنده ، فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار ، قال : ثم رجع فغنى صوتا فقال لي الحسن : كم يساوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوي ثلاثين ألف دينار ، ثم تغنى صوتا آخر فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها ، ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد : غنى

لولا الحياء وأن السير من خلقي ^(١) * إذا قعدت إليك الدهر لم أقيم

أليس عندك شكر لتي جعلت ^(٢) * ما أبيض من قادمات الرأس كالحميم

فغناه فأحسن فيه كل الإحسان ، فلما قمت للانصراف قلت : يا أبا علي ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعك تقول لانه ولست أدري ما معناه ؟ فقال : نحن نبيك ونشريك منذ الليلة وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما : من يق من المغنين ؟ قلت : وجه القرعة محمد ابن عيسى فقال : صالح كيتس ، ومن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي ، قال : بنج بنج !! ذاك المحسن الحميل الضارب المغنى ، القائم بمجلسه لا يجوز أهل المجلس الى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

(١) كذا في الأغاني ج ١٥ ص ٦٦ وفي الأصل « السير » .

(٢) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٦ « سكر » وهو تعريف .

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أمية

يُكْنَى أبا العباس ؛ وكان موسى الهادى يُسميه أبا الغريض . قال أبو الفرج :

وهو حسن الصنعة غزيرها ؛ وفيه يقول الشاعر

يا وحشتي بعدك يا هاشم * غِبتَ فشَجَوِي بك لي لازم^(١)

اللهو واللذة يا هاشم * ما لم تكن حاضرة ماتم^(٢)

وقال الأصمهاني بسند رفعه الى هاشم : أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده

جماعة فقال : يا هاشم ، غنني

* أَهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعًا *

فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضية ؛ قال : فغنيتني وهو

أَهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعًا * وتركيني عبدا لكم مطوعا

بمحدثك الحسن الذي لو كُتِّمْتُ * وحشُ الفلاة به لحن سراعًا

وإذا مررتُ على البهار مُنْضِدًّا * في السوق هيج لي إليك نزاعًا

والله لو علم البهار بأنها * أضحت سميته لصار ذراعًا

فقال : أصبت وأحسنْت ، سل حاجتك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن يُملأ

هذا الكانونُ دراهم — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فملئ فوسع ثلاثين

ألف درهم فلما حصَلَتْها قال لي : يا ناقصَ الهمة ، والله لو سألت أن أملاه لك دنانير

لفعلت ، قلت : أقلني يا أمير المؤمنين ، قال : لا سبيل الى ذلك ولم يُسعِدْكَ

الجَدُّ به . وقد رويت هذه الحكاية في موضع آخر ، وذكر أن الذي غناه غير هذا

الشعر ، وأن الكانون وسع ست بدر فدفعها اليه .

(١) في الأغاني ح ١٤ ص ٤٤ «دائم» .

(٢) أصلها «ماتم» وسبغت الهجاء للصورة لأنها ألف التأسيس .

ذكر أخبار يزيد حوراء^(١)

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛
ويُكنى أبا خالد ؛ مُعْتَمِدٌ مُحْسِنٌ كثير الصنعة من طبقة آبن جامع وإبراهيم الموصلي ؛
وكان ممن قدم على المهديّ في خلافته فغناه ؛ وكان حسن الصوت حُلُوَ الشّماثل ،

- ٥ . فحسده إبراهيم الموصليّ على شمائله وإشاراته في الغناء فاشتري عدّة جوار وشاركه [فيهنّ]^(٢)
وقال له : علمهنّ ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهنّ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجعلن
وكُدهنّ^(٣) أخذاً لإشاراته ففعلن ذلك ، فكان إبراهيم يأخذها عنهنّ هو وآبته ويأمرهنّ
بتعليم كلّ من يعرفنه ذلك حتى شهرها في الناس فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك .

- قال عبد الله بن العباس الربيعيّ : كان يزيد بن حوراء نظيفاً ظريفاً حسن الوجه شكلاً ،
لم يقدّم عليهما من الحجاز أنظف منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلةً جميلةً
١٠ . لا تراها في أحد منهم إلا رأيتهما فيه ؛ وكان يتعصب لإبراهيم الموصليّ على آبن جامع ،
فكان إبراهيم يرفعُ منه ويُشيع ذكره بالجميل ويُنَبِّه على مواضع تقدّمه [وإحسانه]^(٢)
ويبعث بابنه إسحاق [إليه]^(٢) يأخذ عنه . وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد بن حوراء
قال : كُتِبَني أبو العاتية في أن أكلّم المهديّ في عُتْبَةٍ ، فقلت : إن الكلام لا يمكنني

ولكن قل شعرا أغنيه به ؛ فقال

نفسى بشيء من الدنيا مُعلّقةٌ * الله والقائمُ المهديّ يَكْفِيها

إني لأبأس منها ثم يُطْمِئِنِّي * فيها احتقارُك للدنيا وما فيها

(١) هكذا بالأصل وفي الأغاني ج ٣ ص ٧٣ بغير زيادة «ان» وسيأتي في بعض مواضع من هذا

الفصل «يزيد بن حوراء» وفي بعضها «يربد حوراء» .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٧٤

(٣) الوكْد : الهمّ والقصد .

قال : فعملتُ فيه لحنا وغنيتُهُ ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال :
ننظر فيما سأل ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، ثم مضى شهر بجفاءنى فقال : هل حدث
خبر ؟ قلت : لا ، قال : فاذا كرنى للمهدى ، فقلت : إن أحبيتَ ذلك فقل شعرا
تُحزّكه به وتُدكره وعدّه حتى أُغنيه به ؛ فقال

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * فلقد أحر الجوابُ لأمر

ما جوابٌ أولى بكلّ جميل * من جوابٍ يُردّ من بعد شهر

قال يزيد : فغنيت المهدى فقال : على بعتبة ، فأحضرتُ فقال : إن أبا العتاهية
كلمني فيك فما تقولين ؟ ولك عندي وله ما تُحِبّان مما ^(١) [لا] تبلغه أمانيكما ؛ فقالت :
قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاتى وأريد أن أذكر هذا لها
قال : فافعل ، قال : فأعلمتُ أبا العتاهية ، ومضت أيام فسألنى مُعاودة المهدى
فقلت : قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أُغنيه به ؛ فقال

أشربت قلبي من رجائك ماله * عني يحبُّ إليك بى ورسيمُ

وأملت نحو سماء جودك ناظرى * أرعى محاييل برقعها وأشيمُ ^(٢)

ولقد تنسّمت الرياح لحاجتى * فإذا لها من راحتك نسيمُ

ولربما استيأست ثم أقول لا * إن الذى وعد النجاح كريمُ

قال يزيد : فغنيت الشعر فقال : على بعتبة ، بجاءت ، فقال : ما صنعت ؟ فقالت :
ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته وأبت أن تفعل ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ؛ قال :
ما كنتُ لأفعل شيئا تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك ، فقال

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٣ ص ٧٤

(٢) كذا فى الاغانى ج ٣ ص ٧٥ وفى الأصل « قريها » .

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ * وَأَرْحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالٍ
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي * وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَعْزِلْنَ بِيَالِي
وَلَيْتَنِي طَمَعْتُ لِرَبِّ بَرَقَةِ خُلَيْبٍ * مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَآمَعَةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكاية وأختصرها ولم يذكر الأبيات التي منها

* أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالِهِ *

٥

إلا أنه غير قوله : أَشْرَبْتُ قَلْبِي بقوله : أَعْلَمْتُ نَفْسِي من رجائك ؛ وقال : فصنع فيه يزيد لحنا وغناه المهدى ، فدعا بابي العتاهية وقال له : أَمَا عُنْبَةٌ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا لَأَنْ مَوْلَانَهَا قَدْ مَنَعَتْ مِنْهَا وَلَكِنْ هَذِهِ نَحْمِسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَاشْتَرِ بَعْضَهَا خَيْرًا مِنْ عُنْبَةٍ ، فَخِمْلتُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .

١٠ وحكى عن حماد بن إسحاق قال ، قال يزيد حوراء : كُنْتُ أَجْلِسُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَبْوَابِ قَرِيشٍ وَكَانَتْ تَتَرَبَّيُّ جَارِيَةً تُخْتَلَفُ إِلَى الزَّرْقَاءِ لَتَتَعَلَّمَ مِنْهَا الْعَنَاءَ ؛ فَقُلْتُ لَهَا يَوْمًا : افْهَمِي قَوْلِي وَرُدِّي جَوَابِي وَكُونِي عِنْدَ ظَنِّي ؛ فَقَالَتْ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ ، فَقُلْتُ : يَا اللَّهُ مَا أَسْمِكُ ؟ فَقَالَتْ : مُنْعَمَةٌ ، فَأَطْرَقْتُ طَيْرَةً مِنْ أَسْمِهَا مَعَ طَمَعِي فِيهَا ثُمَّ قُلْتُ : بَلْ بِإِذْنِهِ وَمَبْدُولَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَاسْمِعِي مِنِّي ؛ فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْسُمُ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَقُلْ ، فَقُلْتُ

١٥

لِيَهْنِكَ مَتَى أَنْتَنِي لَسْتُ مُفْشِيًا * هَوَاكِ إِلَى غَيْرِي وَلَوْ مِتُّ مِنْ كَرْبِي
وَلَا مَانِحًا خَلْقًا سِوَاكِ مَحَبَّةً * وَلَا قَاتِلًا مَا عِشْتُ مِنْ حَكَمِ حَسْبِي

فَنظَرْتُ إِلَى طَوِيلَا ثُمَّ قَالَتْ : أُنْشِدُكَ اللَّهَ ، أَعَنْ فِرْطَ مَحَبَّةٍ أَمْ أَهْتِاجَ غُلْمَةٍ
[تَكَلَّمْتُ] ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا عَنْ فِرْطَ مَحَبَّةٍ ؛ فَقَالَتْ

(١) في الأغاني ج ٣ ص ٧٣ « أَشْرَبْتُ نَفْسِي » ، وفي ص ٧٥ « أَشْرَبْتُ قَلْبِي » .

٢٠

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٧٥ . (٣) في الأغاني ج ٣ ص ٧٥ « وَلَكِنْ » .

فوالله ربّ الناس لا ختكَ الهوى * ولا زلتَ مخصوصَ المحبة من قلبي

(١٢١)

فثق بي فإنّي قد وثقتُ ولا تكن * على غير ما أظهرتَ لي يا أخا الحبّ

قال : فوالله لكأنما أضمرت في قلبي نارا، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني فأنفّرج بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبني وتلاطفني دهرًا طويلًا .

ذكر أخبار فليح بن [أبي] العوراء

هو رجل من أهل مكة مولى لبني مخزوم وهو أحد مغني الدولة العباسية ؛ له محل كبير من صناعته ؛ وهو أحد الثلاثة الذين آخاروا المائة صوت للرشد الذي بنى أبو الفرج الأصفهاني كتابه المترجم بالأغاني عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ما سمعت أحسن من غناء فليح وأبن جامع ، وكان المهدي لا يغنيه مغن إلا من وراء الستارة إلا فليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه وبين المهدي . وهو أول مغن نظر وجهه المهدي .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي قال : كتب إلى جعفر بن يحيى — وأنا عامل الرشيد على [جند] دمشق — : قد قدم علينا فليح بن [أبي] العوراء فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله وأنا محتمل لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا ، فلم ألبث أن ورد على فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار، فورد على منه رجل أذكرني لقاءه الناس وأخبرني أنه قد ناهز

(١) كذا في الأغاني ج ٤ ص ٩٨ ، وفي الأصل «فليح بن العوراء» .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٤ ص ١٠١

المائة، فأقام عندى ثلاث سنين ، وأخذ جوارى عنه كل ما كان معه من الغناء ،
وأنشتر بعض غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكي عن فليح بن [أبي] العوراء قال :
كان بالمدينة فتي يعشق أبنه عم له فوعده أنها تزوره ، وشكا إلى أنها تأتيه ولا شيء
عنده ، فأعطيته دينارا للنفقة ، فلما زارته قالت له : مَنْ يُلْهِينا؟ قال : صديق لى ،
وصفنى لها ودعانى ، تأتيته وكان أول ما غنّيته

مِنْ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاها * ولم ترفع لوالدها شَنَارا

فقامت الى ثوبها فليست له لتصرف ، فتعلق بها وجهد كل الجهد فى أن تُقِيمَ
فلم تفعل وأنصرفت ، فأقبل يلومنى فى أن غنّيتها ذلك الصوت ، فقلت : والله ما هو
شيء أعتمدتُ به مَسَاءَتِكَ ولكنه شيء آتق ، قال : فلم نبرح حتى عاد رسولها ومعه
صُرة فيها ألف دينار فدفعها الى الفتى وقال : تقول لك أبنه عمك هذا مهري فادفعه
إلى أبى وأخطبني ، ففعل وترّوجها .

ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون ، وأصله من فارس ، ومولده فى سنة خمس وعشرين
ومائة بالكوفة ، ووفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة . قالوا : ومات ماهان
وترك إبراهيم صغيرا فكفله آل نُزَيْمِة بن خازم ، فكان ولاؤه لبنى تميم ، وكان السبب
فى نسبه إلى الموصلي أنه لما كبر واشتد وأدرك صحب الفتیان واشتهى الغناء وطلبه ،
فاشتد أخواله بنو عبد الله بن دارم عليه فى ذلك وبلغوا منه ، فهرب منهم إلى
الموصلي فأقام بها سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتیان : مرحبا

بالفتى الموصلى، فغلب عليه ثم ارتحل الى الرى^(١) فى طلب الغناء، فطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسى والعربى. قال إسحاق : حدثنى أبى قال : أوّل شيء أُعطيته بالغناء أنى كنت بالرى أنادى أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية مال كان معى، فتر بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمعنى عند رجل من أهل الرى فشغف بى وخلع على^(٢) دواجٍ سمّو له قيمة، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة، بغاءنى إلى منزلى الذى كنت أسكنه، فأقام عندى ثلاثة أيام ووهب لى نصف الكسوة [التي معه]^(٣) وألقى درهم، وكان ذلك أوّل مال كسبته من الغناء فقلت : والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التى أدايتها، ووُصف لى رجلٌ بالأبلّة أسمه : "جوانويه" وكان حاذقاً، فخرجتُ إليه وصحبتُ فيانها وأخذت عنهم وغنيبتهم فشغفوا بى. قال ابراهيم : ولما أتيت "جوانويه" لم أصادفه فى منزله فأقمت حتى جاء، فلما رآنى أحترمنى وكان مجوسياً فأخبرته بصاعى والحال التى قصدته فيها، فرحب بى وأفرد لى جناحاً فى داره ووكل بى جارية، فقدّمت لى ما أحتاج إليه، فلما كان العشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يُغنى، فترأتُ إليه بفاسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنّوا، فلم أجد فى غناء أحد منهم فائدة، وبلغت النوبة إلىّ فضربتُ وغنيتُ، فقاموا جميعاً إلىّ فقبلوا رأسى وقالوا : سخّرت بنا، نحن إلى تعليمك إيانا أحوج منك إلينا، فأقمت على تلك الحال أياماً حتى بلغ سليمان^(٤) بن على خبرى، فوجه إلىّ

(١) فى الأغانى ج ٥ ص ٣ «فلقب به» .

(٢) ضرب من الثياب . والسمور دابة معروفة تُسوى من جلودها فراءً عالية الأثمان .

(٣) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٤

(٤) فى الأغانى ج ٥ ص ٤ «أخته» .

(٥) كذا بالأصل وفى الأغانى ج ٥ ص ٤ «محمد بن سليمان بن على» .

فأحضرني وأمرني بملازمته، فقلت: أيها الأمير، لست أتكسب بهذه الصبغة وإنما ألتد بالغناء فلذلك تعلمته وأريد العود إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألني: من أين أنا؟ فانتسبت إلى الموصل، فلزمتني وعيرت بها، ولم أزل عنده مكروماً حتى قدم عليه خادم المهدى، فلما رآني عنده قال له: أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك، فدافعه عني، فلما قدم الخادم على المهدى سأله عما رأى في طريقه ومقصده، فأخبره بما رأى حتى انتهى إلى ذكرى فوصفني له، فأمره المهدى بالرجوع وإشخاصي إليه، بغاء وأشخصني إلى المهدى وحظيت عنده وقدمني. قال: وما سمع المهدى قبلي أحدا من المغنين سوى فليح بن [أبي] العوراء وسيباط، فإن الفضل بن الربيع وصفهما له. قال: وكان المهدى لا يشرب فارادني على ملازمته وترك الشرب، فأبئت عليه وكنت أغيب عنه الأيام فإذا جثته منتشياً فعاظه ذلك مني وضربني وحبسني، فخذقت القراءة والكتابة في الحبس ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرة إخواني ولو أمكنني تركها تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى، فعضب غضباً شديداً وقال: لا تدخل على موسى وهارون، فوالله إن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن، فقلت: نعم، ثم باغته أني دخلت عليهما وشربت معهما وكنا مشربين بالنبذ، فضربني ثلاثاً سوط وستين سوطاً، فقلت له وأنا أضرب: إن جرحتي ليس من الأجرام التي يحل بها سفك دمي، ووالله لو كان سرّ أبديك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قُطعتا، ولو فعلت ذلك كنت في حالة أبان العبد الساعي، فلما قلت ذلك ضربني بالسيف في جفنه فشحجني، فسقطت مغشياً عليّ وقال لعبد الله بن مالك: خذه

(١٣٦)

١٠

١٥

٢٠

(١) في الأصل «علت» والنصوب عن الأغاني ج ٥ ص ٤

(٢) في الأغاني ج ٥ ص ٥ «مستترين»

(٣) هو العبد الذي سعى به وبموسى وهارون إلى المهدى وحده بما كانوا فيه

إليك وأجمعه في مثل القبر ، فدعا عبداً الله بكبش فذبحه وسلخه وألبسني جلده
 ليسكن الضرب عني ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي ، فجعلني
 في قبر ووكل بي جارية ، فتأذيت بنزكان في القبر وبقى ، فقلت للجارية : أصلحي لي
 بحجرة وكُنْدراً^(١) ليذهب عني هذا البق ، ففعلت ، فلما دَخَنْتُ أظلم القبر وكادت نفسي
 تذهب ثم خَفَّ ذلك وزال البق وإذا حَيَاتَانِ مَقِيلَتَانِ نحوى من شَقِّ في القبر
 تدوران حولي ، فهممت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى ، فإِذَا
 علي وإِذَا لي ، ثم كُفَيْتُهُمَا ، فدخلتا في الثقب الذي خرجتا منه ، فكشفت في ذلك القبر
 ما شاء الله ، ثم أُخْرِجْتُ منه وأحلفني المهدى بالطلاق والعناق وكلَّ يمينٍ لا فسحة لي
 فيها ألا أدخل على آبنه موسى وهارون أبداً ولا أُغْنِيَهُمَا وَخَلَى سَبِيلِي . قال إبراهيم :
 وقلت وأنا في الحبس

ألا طال ليلى أُرَاعِي النجوم * أعالج في الساقِ كَبَلًا ثَقِيلاً
 بدارِ المَحوَانِ وشرَّ الديار * أَسَامُهَا الخُسْفَ صَبْرًا جَمِيلاً
 كثير الإِخْلَاءِ عند الرِخَاءِ * فلما حُبِسْتُ أَرَاهُم قَلِيلاً
 لطول بلائِي مَلَّ الصديق * فلا يَأْمَنَنَّ خَلِيلٌ خَلِيلاً

قال : فلما وَلِيَ موسى الهادى الخِلافةَ أَسْتَرَّ إبراهيمُ منه ولم يظهر له بسبب
 الأيمان التي حلف بها للمهدى ، فلم يزل يطلبه حتى أُتِيَ بِهِ فلما عاينه قال : ياسيدي
 [فَارَقْتُ] أُمٌ وَلَدِي أعزَّ الخلق عليّ ، ثم غناه^(٢)

يَا بْنَ خَيْرِ المَلُوكِ لَا تَرَكَتْنِي * غَرَضًا لِلْعَدُوِّ يَرِي حَيَالِي
 فَلَقَدْ فِي هَوَاكَ فَارَقْتُ أَهْلِي * ثُمَّ عَرَضْتُ مَهْجَتِي لِلزَّوَالِ
 وَلَقَدْ عَفْتُ فِي هَوَاكَ حَيَاتِي * وَتَغَرَّبْتُ بَيْنَ أَهْلِي وَمَالِي

قال إسحاق بن إبراهيم : فذوله الهادى وخوله ، وبحسبك أنه أخذ منه مائة ألف وخمسين ألف دينار فى يوم واحد ، ولو عاش لنا لبنينا حيطانَ دورنا بالذهب والفضة .

- قال حماد بن إسحاق : قال لى أبى : والله ما رأيتُ أكل مروءة من جدك ، كان له طعام يُعدُّ أبداً فى كل وقت ، فقلت لأبى : كيف كان يمكنه ذلك ؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شياهٍ : واحدة مقطعة فى القدور ، وأخرى مسلوخة معلقة ، وأخرى قائمة فى المطبخ ، فإذا أتاه قوم طعموا مما فى القدور ، فإذا فرغت القدورُ قُطِّعَت الشاةُ المعلقةُ ووضعت فى القدور وذُبِحَت القائمة وأُتِيَ بأخرى فأقيمت فى المطبخ ؛ وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى وسوى كسوته . ولقد كان مرةً عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ما فىهن واحدة إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخص جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدة الى مولاها وصلها وكساها ، ومات وما فى ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

- وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال : اشترى الرشيد من أبى جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل الى الفضل بن الربيع وقال له : إنا أشرينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صُفَةٍ وليست كما ظننا وما قَرَبُها وقد ثَقُلَ على الثرى وبينك وبينه ما بينكما فأذهب اليه فسله أن يُحْطَنَ من ثمنها ستة آلاف دينار ، قال : فأتاه الفضل فخرج اليه وتلقاه فقال له : دعى من هذه الكرامة التى لا مَسُونَةٌ فيها ، قد جئتُك فى أمر ثم أخبره الخبر ، فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يبلو قدرَكَ عندى قال : هو ذاك ، قال : فمالى فى المساكين صدقةٌ إن لم أُضِعْفه لك ، قد حططتكَ آخى عشر ألف دينار ، فرجع الفضل اليه بالخبر فقال : ويحك !

أحل إليه المالَ بجلته ، فما رأيت سُوقَةً أُمثلُ منه نفساً ! . قال إسحاق : وكنت قد
أُتيت أبي فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنى ولا هو قليل يُتغافل عنه ، قال لي :
يا أحمقُ أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلًا ما أخذته إلا وهو
كاره ولَحَقَدَ ذلك ، وكنت أكون عنده صغيرَ القدر ، وقد مننتُ عليه وعلى الفضل
وَأَنبَسَطْتُ نَفْسَهُ وَعَظَمْتُ قَدْرِي عنده ، وإنما أَشْتَرَيْتُ الجارية بأربعين ألف درهم
وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار ، فلما حَمِلَ إليه المالُ بكاله دعاني
وقال : كيف رأيتَ يا إسحاقُ ، مِن البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلت : أنت ، جعلني الله
فذلك . قال : وإبراهيمُ أَوَّلُ من علَّم الجوارى المَثْمَنَاتِ الغناء ، فإنه بلغ بالقيان كل
مبلغ ورفع من أقدارهن .

(١٣٣)

ومن أخبره مع الرشيد ما رَوَى عن إسحاق قال : حدثني أبي قال : إن الرشيد
غضب على فقيدني وحبسني بالرقّة وجلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه ،
فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غيبةُ إبراهيم الموصلي عنه ،
فأمره بإحضاري فَأَحْضَرْتُ في قيودي ففُكَّت عني يدي ، وأمرهم فناولوني
عوداً ، ثم قال : غنّ يا إبراهيم ، فغنيته

نَضَوَعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ * به زينبُ في نسوةٍ عَطَرَاتِ (٣)

فاستعاده وشرب وطرب وقال : هَنَاتِنِي وَسَاهَنِيَّكِ بالصلة ، وقد وهبتُ لك
الهنى والمرى ، فانصرفتُ ؛ فلما أَصْبَحْتُ عَوَّضْتُ منهما مائتي ألف درهم .

(١) في الأعاني ج ٥ ص ٧ «أبل» . (٢) في الأصل «أو» .

(٣) في الأعاني ج ٥ ص ٧ «خمرات» .

(٤) الهنى والمرى . بهرام بإزاء الرقة والزامة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما واسط الرقة

أظهر ياقوت طبع أوربا ج ٤ ص ٩٩٤

قال إبراهيم : دخلت على موسى الهادى فقال لى : يا إبراهيم ، غنّ من الغناء ما ألدُّ وأطربُ عليه ولك حكاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن لم يقابلنى زُحْلُ بَرْدِهِ رَجَوْتُ ذلك ، فغنّيته

وإنى تَعَرُونِى لِدُرَاكِ هِزَّةٍ^(١) * كما آتَنَفُضَ الْعَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطَرُ

فَضْرَبَ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ دُرَاعَتِهِ فَخَطَّهُ ذِرَاعًا ؛ ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! زِدْنِى فَغَنِّيتُ ٥
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِى جَوَى كُلِّ لَيْسَلَةٍ * وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ

فَضْرَبَ يَدَهُ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَخَطَّهَا ذِرَاعًا آخَرَ وَقَالَ : زِدْنِى وَبِكَ ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ
وَوَجِبَ حَكَكَ ، فَغَنِّيتُ

هَجْرَتِكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الْهَوَى ١٠ وَزَرَّتِكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ^(٢)

فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ أَبُوكَ ! هَاتِ مَا تَرِيدُ ؛ فقلت : يَا سَيِّدِى
عَيْنُ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ ، فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا الْجَمْرَتَانِ وَقَالَ :
يَا بَنَ الْخَمَاءِ أَرَدْتُ أَنْ تُشَهِّرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ أَطْرَبُهُ فَحُكِّمَ عَلَيْهِ فَتَجَعَلَنِي
سَمَرًا وَحَدِيثًا ! يَا إِبْرَاهِيمَ الْخَدَّائِي ، خَذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ مَالِ الْخَاصَةِ فَإِنَّ^(٣)

(١) كذا رويت في شرح حُرَاةِ الْأَدَبِ ج ١ ص ٥٥٢ والمقاصد النحوية شرح شواهد الألفية
التي يهاشم شرح خزامة الأدب ج ٣ ص ٦٧ وفي الأصول «قرة» ٥ وروى «قرة» وهى رواية البيت
١٥ دكرها البعدادى فى شرح الخزامة ج ١ ص ٥٥٣ وسبها الى أنى على القائل فى أماليه وبتن وجه صحتها
ولكن الوارد فى الأمالى ج ١ ص ١٥٠ طبع بولاق «هزة» ٥

(٢) الدرّاعة جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف ٥

(٣) جاء هذا البيت فى أمالى القائل ج ١ ص ١٥٠ هكذا

٢٠ هَجْرَتِكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ التَّلَى * وَزَرَّتِكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
وكذلك يله المصحح يهاشم الأمالى هكذا : المشهور «وصلتك» بدل «هجرتك» ٥

(٤) هكذا فى إحدى النسخ وفى أخرى «الخدائى» بالخاء المهملة وفى الأغانى ج ٥ ص ١٦
«الخرافى» ٥

أخذ كل ما فيه نخله وإياه؛ فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار . وهذا الشعر
لأبي صخر الهذلي وأوله

عجبتُ لسعى الدهر بيني وبينها * فلما آنقضى ما بيننا سكن الدهرُ
فياحبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الأيام موعِدُك الحشرُ
ويا هجر ليلى قد بلغتْ بي المدى * وزدتْ على ما ليس يبلغه الهجرُ^(١)
وإني اتعروني لذكرِك هِزَّة * كما آتتفض العصفور بلله القطرُ
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبرُ
أما والذي أبكى وأضحك والذي * أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسدُ الوحش أن أرى * أليفين منها لا يروعهما الدُعرُ

١٠ ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى :
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة سنورد منها طرفا . منها ما حكى
عن مخارق قال : أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نُقيم في منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا
انه يشتغل فيها مع الحرم ، فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم وقد أصبحت السماء
مُتَغَيِّمَةً تَطَشُّ طَشِيْشًا خَفِيْفًا فقلت : والله لأذهبن الى أستاذي إبراهيم فأعرف
خبره ثم أعود ، وأمرت مَنْ عدى أن يسووا لنا مجلسا الى وقت رجوعي ، فبغت
١٥ الى إبراهيم ، فدخلت إليه فإذا هو جالس في رِوْافٍ له والستارة منصوبةٌ والجواري
خلفها ، فدخلت أترتم بعض الأصواب وقلت له : ما بال الستارة لست أسمع من
ورائها صوتا ؟ فقال : أقعد ويحك ! إني أصبحت بخاءني خبر ضيعة تُجَاوِرني

(١) ورد هذا الشطر هكذا في الأمانح ٥ ص ١٦ وأمالى القالى ج ١ ص ١٥٠ ، وفي الاصل

* وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر *

قد والله طلبتها زمانا وتمنيتها ولم أملكها وقد أعطى بها مائة ألف درهم، فقلت له : ما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر، قال : صدقت ولكن استأطيب نفسا بأن أخرج هذا المال، فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟ قال : والله ما أطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه ! ثم قال : آجلس خذ هذا الصوت، ثم نفرّ بقضيب على الدواة وألقِ على هذا الصوت ٥
 نام الخليلون من همي ومن سقمي * ويت من كثرة الأحزان لم أتم
 يا طالب الجود والمعروف مجتهدا * إعمد ليحي حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكمته ، ثم قال لي : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعد ، فاستأذن عليه قبل أن يصل اليه أحد فإنه ينكر مجيئك ويقول : من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فخذته بقصدك إياي وما ألقيتُ اليك من خبر الضيعة وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وأعجبني ولم أر أحدا يستحقه إلا جاريته فلانة وأنى ألقيته عليك [حتى أحكمته] لطرحة عليها ، فسيدعوها ويأمر بالسّارة فتُنصب ، ويوضع لها كرسي ويقول لك : أطرحة عليها بحضرتي ، فأفعل وأتّى بما يكون بعد ذلك من الخبر . قال مخارق :
 بحثت الى باب يحيى بن خالد فوجدته كما وصف ، وسألني فأعلمته بما أمرني به ، ففعل ١٥
 كل شيء قاله لي إبراهيم وأحضر الجارية فألقيناه عليها ، ثم قال لي : تقيم عندنا يا أبا المهنا أو تتصرف؟ فقلت : بل أنصرف ، أطل الله بقاءك ، فقد علمت ما أذن لنا فيه ، فقال : يا غلام ، أحمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم وأحمل الى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثم ٢٠
 هذه الضيعة ، فحملت عشرة الآلاف معي ، وأتيت منزلي وقلت : أَسَرَّ

(١٣٤)

يومى هذا وأَسْرَمَ مَنْ عِنْدَى . ومضى الرسول بالمال الى إبراهيم ، فدخلتُ منزلى
ونثرتُ على مَنْ عِنْدَى دراهم من تلك البَدْرَةِ وتوسَّدْتُهَا وأَكَلْتُ وشربتُ وطربتُ
وَسِرَرْتُ يومى كله ، فلما أصبحتُ قلتُ : والله لَأَتَيْنَ أَسْتَاذَى ولَأَعْرِفَنَّ خبره ،
فَأَتَيْتُهُ فوجدته كهيئته بالأمس على مثل ما كان عليه ، فترنَّمتُ وطربتُ فلم يتلق ذلك
بما يجب ، فقلتُ : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال بالأمس ؟ فقال : بلى ، فما كان خبرك
أمس ؟ فأخبرته بما كان وقلتُ : ما تنتظر ؟ فقال : أرفع السَّجْفَ فرفعته فإذا عشرة
بدر ، فقلتُ : فأى شىء بقى عليك فى أمر الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله
إلا أن دخلتُ منزلى حتى نَحِجَّتْ عليها وصارت مثل ما حويتُ قديما ، فقلتُ :
سبحان الله ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتا صنعته يفوق ذاك ، فقممت
فجلست بين يديه ، فالتقى على

٥

١٠

وَيَفْرَحُ بالمولود من آل برمك * بغاة الندى ، والسيِّفُ والرمحُ والتَّصِلُ
وتَبْسِطُ الآمالُ فيه لفضله * ولا سيما إن كان والده الفضلُ

قال مخارق : فلما ألقى على الصوت سمعتُ مالم أسمع مثله قطَّ وصَغُرَ فى عيني
الأوَّلُ ، فأحكمتُه ثم قال : آمض الساعة إلى الفضل بن يحيى فإنك تجدُه لم يَأْذَن
لأحد بعدُ وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فاستأذِن عليه وحَدَّثَه بحديثنا وما كان
من أبيه وإليها وأعلمه أنى صنعتُ هذا الصوت وكان عِنْدَى أرفع منزلةً من الصوت
الأوَّل الذى صنعته بالأمس ، وأنى أَلْقَيْتُهُ عليك حتى أحكمتُه ووجهْتُ بك قاصدا
تُلْقِيَه على فلانة جارِئِته ، فصرْتُ إلى باب الفصل فوجدتُ الأمر على ما ذكره ،
فاستأذنتُ فوصلتُ إليه ، وسألنى عن الخبر ، فأعلمته بخبرى وما وصل إلى وإليه من
المال ، فقال : أحرى الله إبراهيم ، ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :
اضرب السَّتَارَةَ ، فضرِبها ، فقال لى : أَلِهْه ، فلما أَلْقَيْتُهُ وغتته الجارية لم أُنِمَّه حتى

١٥

٢٠

أقبل يَمْزِطُ مطرفه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال : أحسنَ واللهِ أستاذُك وأحسنَت أنت يا مخارق ، ولم أبرح حتى أحكمته الحارِيةُ فُسِّرَ بذلك سرورا عظيما وقال : أقيم عندى اليوم ، فقلت : يا سيدى إنما بقى لنا يوم واحد ولولا أننى أحب سرورك لم أخرج من منزلى ، فقال : يا غلام ، آحمل مع أبى المهنا عشرين ألف درهم وإلى أبى إسحاق مائتى ألف درهم ، فانصرفْتُ إلى منزلى بالمال ، وفتحتُ بَدْرَةً ٥ ونثرت منها على الجوارى وشربت وسُرِرْتُ أنا ومن عندى يومنا ، فلما أصبحتُ بَكَرْتُ إلى إبراهيم أتعرِّفُ خبره وأُعرِّفه خبرى فوجدته على الحال التى كان عليها أولا وآخرا ، فدخلت أترنم وأُصَفِّقُ فقال لى : ادن ، فقلت : ما بقى عليك ؟ فقال : أجلس وأرفع سَجَفَ هذا الباب فرفعته فإذا عشرون بَدْرَةً مع تلك العشرة ، فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو إلا أن حصلتُ حتى جرت مجرى ما تقدم ، ١٠ فقلت : والله ما أظن أحدا نال من هذه الدولة ما نلت ! فلم تجعل على نفسك بشيء تَمَيَّنْتَهُ دهرًا وقد ملكك الله أضعافه ! ثم قال : أجلس نخذ هذا الصوت ، فالتقى على صوتنا أنسانى صوتى الأولين وهو

أفى كل يوم أنت صبّ وليلة * إلى أم بكر لا تُفَيِّقُ فَتَقْصِرُ
أحبّ على المهجران أكلَّافَ بِلْتها * فيالك من بيت يُحِبُّ وَيُهَجِّرُ ١٥
إلى جعفر سارت بنا كلُّ جَسْرَةٍ * طواها سُراها نحوّه والتَّهَجَّرُ
إلى واسع للجبنتين فَنَأُوهُ * تروح عطاياه عليهم وتَبْكُ

وهو شعر مروان بن أبى حفصة يمدح جعفرا . قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعت مثل هذا قط ؟ فقلت : ما سمعت قط مثله ! فلم يزل يردده على حتى أخذته ، ثم قال لى : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأبيه وأخيه ، قال : فضيت ٢٠ ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت فُسِّرَ به ودعا خادما

فأمره أن يضرب الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسي ثم قال : هات يا مخارق ، فألقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال : أحسنت يا مخارق وأحسن أستاذك ، فهل لك في المقام عندنا اليوم ؟ فقلت : يا سيدي هذا آخر أيامنا وإنما جئت لموقع الصوت متى حتى ألقيته على الجارية . فقال : يا غلام ، أحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل^(١) ثلثمائة ألف درهم ، فصرت إلى منزلي بالمال وأقمت ومن عندي مسرورين نشرب طول يومنا ونطرب ثم بكرت إلى إبراهيم فلتقاني قائما ثم قال لي : أحسنت يا مخارق ! فقلت : ما الخبر ؟ قال : آجس ، فجلس^(٢) وقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أتم عليه ثم رفع السجف فإذا المال ، فقلت : ما خبر الضيعة ؟ فأدخل يده تحت مسورة وهو متكئ عليها فقال : هذا صدك الضيعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلى : قد علمت أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضيعة من مال يحصل لك ولو حويت الدنيا كلها ، وقد آبتعها من مالي ، ووجه إلى بصكها وهذا المال كما ترى ، ثم بكى وقال : يا مخارق ، إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا احتكرت فاتحكر مثل هؤلاء ، ستائة ألف ، وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، متى يدرك مثل هؤلاء .

وروى عنه قال : أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له : يا أبا العباس ، جعلت فداك هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس بره ، فقال : ويحك يا أبا اسحاق ما عندي ما أرضاه لك ، ثم قال : هاه ! إلا أن هاهنا خصلة^(٣) ، أنا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه ، ووجه [إلينا] بخسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا ، فما فعلت ضياء جاريتك ؟ قلت : عندي جعلت فداك ، قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها

(١) المسور والمسورة متكا من آدم . (٢) الزيادة عن الأغاني ج ٥ ص ٢١

(٣) هكذا بالأغاني ج ٥ ص ٢١ وفي الأصل « حتى يشترونها » بذكر حتى .

منك فلا تتَّقُصّها من خمسين ألف دينار، فقَبِلْتُ رأسه ثم أنصرفت، فبَكَرَ عَلَى رَسُولِ
صَاحِبِ الْيَمَنِ ومعه صديق له ولى فقال: جَارِيَتِكَ فَلَانَةُ [عِنْدَكَ]؟ قلت: عِنْدِي،
قال: اعْرِضْهَا عَلَيَّ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فقال: بِكُمْ؟ فقلت: بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
وَلَا أَتَقْصُصُ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا، وَقَدْ أَعْطَانِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَمْسَ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ،
فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمةٍ؟ وَكَانَ مُشْتَرِي الْجَارِيَةِ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ،
فَلَمَّا وَقَعَ فِي أَذُنِي ذَكَرَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ أَرْسَلْتُ عَلَى وَلِحَقْنِي جَزَعٌ وَأَشَارَ عَلَى صَدِيقِي
الَّذِي مَعَهُ بِالْبَيْعِ وَخَفْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى،
فَسَلَمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ ثُمَّ بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَلَمَّا نَظَرُ
إِلَى ضَحْكَ وَقَالَ لِي: يَا ضَيْقُ الْعَطَنِ وَالْحَوْصَلَةِ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛
فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، دَعِذَا عَنْكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ دَخَلَنِي شَيْءٌ أَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهِ
وَحِيفَتُ أَنْ تَحْدُثَ بِي حَادِثَةٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمُشْتَرِي أَوْ بِكَ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ،
فَبَادَرْتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَقَالَ: لِأَضْمِرَ، يَا غَلَامُ جِيْ بِجَارِيَتِهِ، لَخِيْ
بِهَا، فَقَالَ: خَذْ بَيْدَهَا وَأَنْصَرِفْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، مَا أَرَدْنَا إِلَّا مَنَفْعَتَكَ وَلَمْ تُرِدْ
الْجَارِيَةَ، فَلَمَّا نَهَضْتُ قَالَ لِي: مَكَانَكَ، إِنِّي رَسُولُ صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةٍ قَدْ جَاءَنَا
فَقَضِينَا حَوَائِجَهُ وَنَفَذْنَا كَتَبَهُ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَشْتَرِي لَنَا بِهَا
مَا نَحْبُ، فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ جَارِيَتِكَ هَذِهِ وَلَا تَتَّقُصْهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَانصرفت
بِالْجَارِيَةِ، وَبَكَرَ عَلَى رَسُولِ صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةٍ ومعه صديق لي آخَرُ فَقَاوَلَنِي بِالْجَارِيَةِ
فقلت: لَنْ أَتَقْصُصَهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَقَالَ لِي: مَعِيَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ
مُسَلَّمةٌ خَذْهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَدَخَلَنِي وَاللَّهِ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى

وخفتُ مثل خوفى الأول، فسألتها وأخذتُ المال وبكرتُ على الفضل فإذا هو وحده، فلما رآنى ضحك وضرب برجله ثم قال : ويحك، حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت : أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت فى المرة الأولى ، فقال : لاضرير، [أخرج^(١)] يا غلام جاريته، يخىء بها، فقال : خذها ما أردناها وما أردنا إلا منفعتك، فلما ولت الجارية صحتُ بها : إرجعى، فرجعتُ ، فقلت : أشهدك جعلتُ فداك هى حرة لوجه الله تعالى، وإنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لى فى يومين نحسين ألف دينار فإجراؤها إلا هذا، فقال : وقفت إن شاء الله تعالى .

وأخباره مع البرامكة كثيرة وصلاتهم له وافرة، وقد ذكرنا منها ما فيه غنية عن زيادة، فلنذكر وفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات فى يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمارة، فرُفعَ ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلى عليهم، فخرج وصلى عليهم . قال إسحاق : لما مرض إبراهيم^(٢) مرضَ موته ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعودوه وهو جالس فى الأبن^(٣) فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدى كما قال الشاعر

سقيمٌ ملٌّ منه أقربوه * وأسلمهُ المداوى والحميم

فقال الرشيد : إنا لله، فخرج فما بعدَ حتى سمِعَ الواعية^(٣) عليه .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٢١

(٢) الأبرنُ مثلثة الأول حوض يُقتل فيه وقد يُتخذ من نحاس ، مبرّ أب زَن .

(٣) الواعية الصراخ على الميت ونعيه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ؛
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة . اورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم
البكرى التيمى " القرشى " المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ،
يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الخامس
ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلى

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣/٥٩ / ٢٠٠٠)
